

Bibliotheca Alexandrina

0121625

38778
30039

مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ بِدِمَشْقَ

910,4

٥٦٢

رِسَالَةُ ابْنِ فَضْلَانَ

أَحْمَدُ بْنُ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَاشِدٍ بْنِ حَمَّادٍ

فِي وَصْفِ الرِّحْلَةِ إِلَى بِلَادِ التُّرْكِ وَالْخَزَرِ وَالرُّوسِ وَالصَّقَالِبِ

سَنَةِ ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

الكتاب	٣٤٨٤٢
رقم الكتاب	
رقم المجلد	
رقم النسخة	
رقم التوقيع	

محققها د. عامر علي بن زيد
الدكتور سامي الزهاوي
عن مطبع المجمع العلمي العربي بدمشق



دیشق

۱۳۷۹ هـ - ۱۹۵۹ م

الإهداء

إلى روح المرحوم العلامة الرئيس محمد كرز علي
ذكرى خالدة على الزمان
وأكبراً لأبائيه على العربية

محمد سامي الدهان

مقدمته لمحقق

تمهيد — رحلة ابن فضال — تحقيق الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

في صيف سنة ١٩٥١ ، زرتُ أستاذنا العلامة الرئيس الجليل محمد كرد علي — رحمه الله وطيب ثراه — في بيته بدمشق ، وكان يتصفح المجلات والصحف التي ترد إلى المجمع العلمي ، يطلع على ما فيها ويقرأ مقالات المستشرقين والعلماء العرب لا تفوته صفحة أو إشارة ، فإذا به يدفع إليّ مجلة هنغارية ، صدرت في بودابست قبل شهر ، وفيها مقالة بالألمانية عن رحلة ابن فضلان ، كتبها أحد المستشرقين معلقاً على ما نشر أو ترجم من الرحلة ، يصحح ما يرى من وجوه التصحيح ، ويقترح روايات جديدة ، مشيراً في ذلك إلى نص الرحلة بالعربية وقد أثبتته في صور شمسية مع المقال .

قلبتُ المجلة بين يديّ ، ورددتها إلى أستاذنا الفقيه ، ولم أدرك سرّ توجيهي إلى المقال ، فإذا بالرئيس يحدثني عن أهمية هذه الرسالة وعن حاجة المثقفين العرب إلى قراءتها وفهمها ، واستخراج العبر منها ، واكبار الأجداد في هماتهم وسعيهم وثقافتهم ، فهي تصف بلاد الروس والبلغار والأتراك في القرن العاشر للميلاد ،

وصفاً لا يكاد يقع إلاّ في هذا المصدر ، والروس أنفسهم عادوا إليه وقرؤه ودرسوه ونشروا منه وترجموه منذ مئة عام ، وجعلوه في مصادرهم الثمينة ، كمرجع أساسي لاغنى عنه . وهم ما يزالون منذ سنين عديدة يعودون إليه ، في مقالات وفي دراسات ، ليزدادوا به فهماً ومعركة ، ففيه أسماء وأعلام ، وفيه ألبسة وأطعمة ، وعادات وتقاليد ، تكشف رموزها وإشاراتنا عن أشياء جديدة كلما أنعم المستشرقون نظرهم في قراءة النص وفي تقليب غوامضه وحلّ مشكلاته .

وهذه الدراسات والمقالات وصل إلينا بعضها ، وضل السبيل بعض آخر ، فلم يعرف أكثر العرب ما كان من هذه الذخيرة الدفينة ولم يقفوا على أثرها في أدب القرن الرابع للهجرة ، بل في آدابنا كلها ، وذلك لأن أقساماً من الرحلة طُبعت في الغرب ، وترجمت ، ولكن هذه الطبعات لم تصل إلى خزائننا العربية العامة ، بله خزائن الأفراد فهي على هذا مجهولة لم تنل النور في مطابعنا العربية وهي نادرة الوجود .

وهنا حثني الرئيس الجليل — رحمه الله — على العناية بها وإخراجها كاملة وتحقيقها والتعليق عليها . ففرحت بالثقة ، وظننت أن الأمر هين لين ، وعدت من دار الرئيس بالغنيمة كما كنت أعود دائماً .

فلما أقبلت على الصورة الشمسية أقرؤها ، وأنعم النظر في عباراتها ، وقفت طويلاً دون الفهم ، وتعثرت طويلاً في التخريج ، وأدركني بعد الإعادة والتكرار يأس من فهمها ونشرها ، وعرفت سبب عزوف الناشرين العرب عن تحقيقها ،

فهي نسخة مفردة وحيدة يتيمّة مصحّفة أشدّ التصحيف ، مبتورة في كثير من تعابيرها ، تنصّ بأسماء الألبسة والأعلام والأماكن ، فكأنّ كل كلمة من كلماتها موضعُ الريبة والشك ، تحوج إلى المراجعة والتثبت والتعليق . وكدتُ أنصرف عن العناية بها ، لولا أنّ صديقي المستشرق « نيكيتا أليسييف »^(١) - وهو يجيد الروسية - أرشدني إلى المصادر الروسية والألمانية ، وأرادني كذلك على المضى في العناية بها ، وقد كان هو نفسه يُعنى بها كرسالة لذكورية ، فإذا به ينصرف عنها إلى غيرها ، ويعلّق عليّ الأمل في إخراجها .

ولقيتُ بعد ذلك في كمبريج المستشرق الانكليزي (دنلوب) فحدثته في أمرها ، فإذا هو معنيٌّ كذلك بتوضيح بعض ما فيها ، وإذا به يدفع إليّ مقالاً نشره في التعليق على بعض عباراتها ، مما يخصّ قبائل الترك فيها ، فرجعتُ إليه وأفدتُ منه ، ولكنه يلمّ بناحية واحدة من نواح ما تزال غامضة صعبة .

وحين زرتُ جامعة هارفارد في الولايات المتحدة ١٩٥٤ قدّم إليّ الأستاذ « ريتشارد فراي » رسالة وقّعها مع صديقه الأستاذ « بلاك » ، وجعلها في التعليق على ما في رسالة ابن فضلان كذلك ، وخصّ عنايته بتصحيح بعض كلمات في أوراق معدودة من الرسالة .

وفي السنة نفسها أبلغني سيادة رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك شرف اختياري في الوفد الجمعي إلى الاتحاد السوفياتي ، بدعوة من أعضاء المجمع

مقدمة المحقق - تمهيد

العامي هناك ، فكان أول همي أن أفوز بنسخة من الرسالة مترجمة إلى الروسية مع التعليقات ، وقد تفضل عليّ بها الأستاذ (ف . بيلاييف) ، مشكوراً ، وفيها الصورة الشمسية الواضحة لرسالة ابن فضلان ، وكانت تعليقاً لها منارة لي وهدي . وعكفتُ منذ ذلك الحين على هذه الرسالة أقرأ سطورها الغامضة وعباراتها الناقصة ، وأقابلُ ما فيها على ما نقلَ ياقوت الحموي وما أورد غيره من الجغرافيين العرب ، حتى تمَّ لي إنجازها وأنا على مثل الشكِّ في بعض عباراتها ، فإنَّ خَلَّتْ من الأخطاء فقد سدَّد الله خطاي ، وإنَّ أصابني فيها بعضُ العِثَارِ فالمعذرة من يؤمن بضعف الانسان عن إدراك الكمال ، والفضلُ الأول للرئيس المرحوم الأستاذ محمد كرد علي ، فقد هيا لبعتها ونشرها لأول مرة في الدنيا العربية ، والفضل كذلك لسيادة رئيس المجمع الجليل الأستاذ خليل مردم بك ، أطال الله في عمره^(١) ومتعه بالصحة ، فهو خير خلف لخير سلف ، رحب بالرسالة كما رحَّب سلفه ، فجعلها في مطبوعات مجمعنا العامي ، مشكوراً .

فالحمد لله الذي أعان على إتمام تحقيقها وتقديمها على هذا الوجه وله الشكر والدعاء في البدء والختام .

(١) لعي الأستاذ الجليل وجه ربه خلال طبع هذه الصفحات ، فأورثنا حسرة وحزاناً ورائعاً لا يعوض . رحمه الله رحمة واسعة .

الفصل الأول

رحلة ابن فضال

كتب الرحلة في العصر - حال العصر - الوفد والخطبة -
وصف الرحلة وأهميتها .

رحلة ابن فضلون

كتب الرملة في العصر

يبدو أن الشعب العربي كان منطورياً على حب الرحلة والسفر منذ فجر نشأته فقد ذكر التاريخ أنباء متواترة عن تنقله وأسفاره ، في سبيل الرزق والتجارة والمعرفة . زار كثير من أفراد بقاء وأقاليم بعيدة ، فبلغ إلى أقاصي بلاد الشام والحبيشة ، وطوّف كثير من أبنائه في بلاد نائية ، فكأنه لم يعرف الهدوء والقرار على مصاعب السفر والرحلة آنذاك . وقد كان للقبائل رحلات ، وللأفراد أسفار ، ذكر بعضها في الشعر ، فكانت رحلات الشعراء إلى الحيرة ودمشق وبلاد الروم حتى لقد بلغ امرؤ القيس القسطنطينية ونسب إليه شعر قاله في أنقرة . وكان لقريش رحلتان إحداهما في الصيف والأخرى في الشتاء .

ولما جاء الاسلام اندفع الشعب العربي إلى خارج الجزيرة وبلغ في عصر واحد تخوم المشرق والمغرب ، فعرف بلاداً كانت في قمة الحضارة والرقى ، أخذ عنها ، وأفاد منها ، فأدخل منها في حياته وعيشه وملبسه ما أدخل ، ووقف عند

مستوى حضاري رفيع ، ظل يرقى به ، ويحافظ عليه ، حتى تحدثت من حوله الأمم وسقطت همتها في الرقي ، وبقي وحده منارة وينبوعاً ، تستنير بهديه الشعوب في حلقة حياتها وظلمة انحدارها .

وما أشرق القرن الثامن للميلاد حتى كان للعرب ملك فسيح الرقعة في امبراطورية عريضة ، حدودها تخوم الهند في الشرق والمحيط الأطلسي في الغرب وجبال القوقاز في الشمال وصحارى افريقية في الجنوب .

وكانت ادارة هذه الامبراطورية تفرض أموراً كثيرة منها معرفة الجزية والخراج ، فقد كان معظم الولايات تعد الخليفة العباسي رئيسها الديني ، تؤدي إليه الأموال ، فبعض باسم الضمان ، وبعض باسم المصالحة ، وآخرون باسم الهدية ، وكانت هذه الأموال تقوم بكثير من نفقات الخلافة ، وتعزز السلطان وتحفظ مهابته وكيانه . فكان من أوجب الأمور لمعرفة الجباية وجمع الأموال أن يعرف الحاكمون حال المسالك والممالك ، والبلاد والأقاليم ، وأن يقوم بوصف ذلك رجال وقفوا كثيراً من وقتهم على الرحلة وتسقط المعلومات والأخبار ، فنشأت كتب الرحلة ، وظهرت كتب الجغرافيا ، على نمط قريب مما ألف اليونان في هذا الباب .

ومنذ القرن الثالث الهجري ، كثر التأليف في المسالك والممالك فألف المصنفون في الأقاليم والتقسيم ، وصوروا ما عليها من مدن وجبال وأنهار ، فكتب الكندي وابن خرداذبة ، وقدامة بن جعفر ، واليعقوبي ، وابن الفقيه

الهمذاني، وابن رسته، وابن حوقل، والاصطخري وغيرهم، ووصفوا بلاد المشرق والمغرب من الصين إلى الأندلس، وذكروا حال الشعوب وتقاليدها وعقائدها ووصفوا حال البلاد وطرقها وحاصلاتها وخارجها على الوجه الذي تم لهم. فبلغ بعضهم إلى الدقة والتوفيق حين سجل ما رأى، ونقد ما سمع. وفشل بعضهم في جمع كل ما طرق سمعه من أخبار لا يكاد العتل يصدقها. ولكنهم على كل حال كانوا صورة لما يدور في حلقات العلم والمعرفة لعصرهم من آراء ومعلومات وأخبار قد نقف أمام بعضها موقف الشك والنقد، بعد عشرة قرون أو تزيد، وقد توفرت لنا سبل عديدة لم تكن متوفرة لذلك الزمان، فأصبح رسم الدروب والمناطق ووضع الجرائط والمصورات بحثاً علمياً مستقلاً في أبعد حدود الرقي، وغدت الرحلة والتنقل والمشاهدة على أيسر ما يستطيع الإنسان أن يفعل، ولكن الفضل أبداً للمتقدم، والموازنة المُنصفة تقتضي أن نذكر ما بين زمانهم وزماننا من وسائل ووسائط وطرق.

والحق أن بعض هؤلاء المؤلفين رأى بنفسه وعين وشاهد — كما قلنا — وكان على إمام بما يرى، فقد كان ابن خرداذبة عاملاً للبريد والخبر خلال أواسط القرن الثالث للهجرة، في نواحي الجبل من أرض فارس، وقال المقدسي إنه رحل وسافر وأنفق في أسفاره ما يزيد على عشرة آلاف درهم. وقال ابن حوقل إنه شاهد كل ما كتب عنه وعينه إلا الصحراء الكبرى، وعن المقدسي وابن حوقل أخذ أكثر الجغرافيين.

ولكننا نلاحظ أن هذه الكتب في جملتها قد أوجزت حين رسمت أحوال الشعوب وتقاليدها ، وملابسها ، فجعلت حصتها من الصفحات كنسبة رقعتها من الأرض ، لم تبسّط ولم تفصل الأمر . ولعلها كانت تنظر قبل كل شيء إلى الخراج والمال ، وإلى صلة هذه الأصقاع بعاصمة الخلافة ، فقد بدأت هذه الامبراطورية العربية تفقد وحدتها السياسية منذ انتصف القرن الثاني للهجرة ، وأصبحت روابط الدين والثقافة وحدها جامعة لشمّل هذا الملك الواسع ، ولم أطرافه . وقامت صلات التجار مقام السفراء الاقتصاديين اليوم ، فنهض المسلمون إلى أطراف الأرض ينقلون البضائع ويشترون السلع ، وبلغوا إلى أقصى بحار الصين وسواحل البلطيق والأندلس والأطلسي وجزر المحيط الهندي ، وخلفوا في هذه الممالك نقوداً وآثاراً ، يكتشفها الباحثون يوماً بعد يوم ، وعليها أثر هؤلاء التجار .

وذكر المقدسي في كتابه ، أن المسلمين كانوا يجلبون كثيراً من السلع من جنوبي روسيا والبلاد الأوربية الشمالية ، عدّها منها الجلود والفراء والشمع والقلائس والعمل والسيوف ، وقال أنهم كانوا يستجلبون الرقيق من الصقالبة . والصقالبة في عرفهم كانت تشمل السلافيين والجرمان وبعض سكان أوربة . وكان أهم ما يحمله هؤلاء التجار إلى الأقاليم النائية ، أنواع المنسوجات والتحف والفواكه .

تلك كانت رحلات التجار ومساعدتهم الفردية، وكانت السلطات والحكومات

تبعثُ بوفودها - كما نقول اليوم - إلى الأقطار والممالك ، وتحملها مسؤوليات ومهام تقوم بها ، إما سياسية ، أو ثقافية ، أو دينية ، أو تجارية ، أو استطلاعية خالصة . ومن هذه الوفود بعثة برية أرسلها الخليفة الواثق بالله (٢٢٧ هـ - ٢٣٢ هـ) إلى سدّ يأجوج ومأجوج ، حوالي منتصف القرن الثالث الهجري ، حفظ منها ياقوت الحموي في معجمه على لسان « سلام الترجمان » ، ما يحسن الرجوع إليه والتفككه بنوادره ، والوقوف على عقلية الرحالين في ذلك الزمان . ومنها كذلك وفد أرسل إلى الصين أيام المحادثات بين السامانيين وملك الصين ، وفيه أبو دلف وصف الرحلة وصفاً بديعاً . ومن هذه الوفود الرسمية بعثات جاسوسية من الرجال والنساء كانت تستطلع الأخبار ، كما حدث ابن حوقل عن عهد هارون الرشيد أنه أرسل رجلاً يتجسس الأخبار من بلاد الروم عشرين سنة وكان سأل هارون الرشيد عن عجائب الأمور ، فكان يخبره .

ونحن لا نطمح في هذه المقدمة أن نستقصي أخبار الرحالة^(١) المسلمين وأسماء الوفود الرسمية في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ووصف ما وقع منهم وما تركوه من كتب ، فذلك كثير واسع . ولكننا أردنا أن نمهد للحديث عن هذه لرحلة ، ونبسط أهميتها ، ونرسم عاصمة الخلافة ، وتحدث عن ابن فضلان ورحلته .

(١) للدكتور زكي محمد حسن كتاب في الرحالة والرحلة يحسن الرجوع إليه ، عنوانه « الرحالة المسلمون

في المصور الوسطى » ج ١٩٤٥ .

مال العصر

ذكر المؤرخون أن المقتدر بالله أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد ، بويح بالخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وعمره ثلاث عشرة سنة ، وقال عنه ابن الطقطقي ^(١) إنه كان سمحاً كريماً كثير الإنفاق ، أكثر من الخلع والصلوات وكان في داره أحد عشر ألف خادم خصي من الروم والسودان ، وكانت خزينة الجوهر في أيامه مترعة بالجواهر النفيسة . وذكر أن دولته كانت ذات تخليط لصغر سنه ، ولاستيلاء أمه ونسائه وخدمه عليه ، فكانت دولته تدور أمورها على تدبير النساء والخدم ، وهو مشغول ببلذته فخربت الدنيا في أيامه ، وخت بيوت الأموال ، حتى قال بعض المؤرخين إنه أنفق سبعين مليون دينار ضياعاً وتبذيراً ، ما عدا نفقات الدولة ، فقد اضطر في استرضاء الجند والغلمان أن يبيع ضياعه وفرشه وآنيته الذهب ، وقد خلع وأعيد ثم قتل ، ومكثت جثته مرمية على قارعة الطريق سنة ٣٢٠ هـ . وقد استوزر هذا الخليفة أبا الحسن علي بن الفرات ، وكان من أجل الناس وأعظمهم ، ثم استوزر علي بن عيسى بن الجراح ، وحامد بن العباس . وهؤلاء الثلاثة كانوا من ألمع الوزراء وأقواهم في تدبير الملك ، ولكن الفتن الداخلية والخارجية سدّت عليهم سبيل العمل المشمر ، فحالف المملكة سوء الحظ ولولا ذلك لكانت خلافة المقتدر من أجدى العهود على الناس ، وعلى الرغم من هذا قام الوزراء بأعمال كثيرة بسط أمرها المؤرخ الصابي في كتابه « تحفة الأمراء

(١) انظر الفخرى . ط . أوربة ص ٣٠٥ .

في تاريخ الوزراء»^(١) وفصله تفصيلاً لم يترك فيه زيادة لمستزيد يرغب في دراسة العصر والحكم وحال الشعب .

والذين يريدون أن يقفوا على حال الخلافة وهيبتها وسمعتها في الخارج — كما نقول اليوم — يستطيعون أن يرجعوا إلى كتب التاريخ ليروا إلى أي مدى كان الوزراء يطمحون في إعلاء شأن الحكم وإظهار حال السلطان . فقد بسط ابن مسكويه في كتابه « تجارب الأمم »^(٢) حادثاً نجح أن ثبتته هنا ، لنصور حال بغداد وحكومتها سنة ٣٠٥ للهجرة أي قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان قال مسكويه : « ودخلت سنة خمس وثلاثمائة : وفيها ورد رسولان لملك الروم إلى مدينة السلام ، على طريق الفرات بهدايا عظيمة وألطف كثيرة ، يلتصمسان الهدية . وكان دخولهما يوم الاثنين لليلتين خلتا من المحرم ، فأنزلا في دار صاعد بن مخلد . وتقدم أبو الحسن ابن الفرات بأن يفرش لهما ويعدّ فيه كل ما يحتاجان إليه من الآلات والأواني وجميع الأصناف ، وأن يقام لهما ولهن معها الأنزال الواسعة والحيوان الكثير والحلاوة ، حتى يتسع بذلك كل من معهما .

« والتمسوا الوصول إلى المقتدر بالله ليبلغاه الرسالة التي معها فأعلموا أن ذلك متعذر صعب ، لا يجوز إلا بعد لقاء وزيره ومخاطبته فيما قصدوا إليه ، وتقرير الأمر معه ، والرغبة إليه في تسهيل الأذن على الخليفة ، والمشورة عليه بالاجابة إلى

(١) طبع هذا التاريخ المشرق آمدروز في بيروت سنة ١٩٠٤ ، وأعيد طبعه بمصر بعد ذلك .

(٢) تجارب الأمم لمسكويه ، طبع آمدروز ، بمصر ١٩١٤ ، ٥٣ / ٥ .

ما التمسنا . فسأل أبو عمر عدّي ابن عبد الباقي الوارد معها من الشجر أبا الحسن ابن الفرات الأذن لهما في الوصول إليه ، فوعده بذلك في يوم ذكره له .

« وتقدم الوزير بأن يكون الجيش مصطفياً في دار صاعد الى الدار التي أقطعها بالخرم ، وأن يكون غامانه وجنده وخلفاء الحجاب المرسومين بداره منتظمين من باب الدار إلى موضع مجلسه ، وبسط له في مجلس عظيم مذهب السقوف في دار منها ، يعرف بدار البستان ، بالفرش الفاخر العجيب ، وعلقت الستور التي تشبه الفرش ، واستزاد في الفرش والبسط والستور ، ما بلغ ثمنه ثلاثين ألف دينار ولم يبق شيء تجمل به الدار ، ويفخم به الأمر ، إلا فعل . وجعل على مصلى عظيم من ورائه مسند عال ، والخدم بين يديه ، وخلفه ، وعن يمينه ، وشماله ، والقواد والأولياء قد ملأوا الصحن . ودخل إليه الرسولان فشاهدا في طريقهما من الجيش وكثرة الجمع ماهاهما . »

وتابع مسكويه وصفه المفصل البديع ، فرسم الرواق والرجال قد امتلأت بهم الدار ، وصحن البستان ، والمجلس الذي جلس فيه الوزير ، وذكر أن معها المترجم يصف لهما ويشرح ، وأنهما جاءا في طلب الفداء فوعدهما الوزير ، والتمس لهما مقابلة يوصلهما فيها إلى الخليفة ، فلما كان اليوم المرسوم اصطلف الجنود من دار صاعد إلى دار السلطان فوقفوا في الزي الحسن والسلاح والتمام « وتقدم بأن تشحن رحاب الدار والدهاليز والممرات بالرجال والسلاح » ووصف مسكويه كيف أخذ الرجال من ممر يفضي إلى صحن ، ومنه إلى ممر فصحن ، يخرقان

الصحون والممرات حتى كلاً من المشي وانبهر ، لكثرة الرجال والسلاح ، ثم أدخلوا على الخليفة المقتدر .

وكان المقتدر جالساً على سرير ملوكه ، وحوله الأولياء وقوف على مراتبهم فلما دخلاً قبلاً الأرض ووقفوا حيث استوقفهما الحاجب ، فأدى الرسالة ، فأجابهما عنه الوزير وانتهت المقابلة . فلما خرجا من حضرة خلع عليهما مطارف خزّ وعمائم خزّ . وأطلق على القواد الشاخصين من بيت المال مائة ألف وسبعون ألف دينار . وحمل إلى كل واحد من الرسولين عشرون ألف درهم صلة لهما ، وخرجا مع المترجم من حدود البلاد ، وتمّ الفداء .

ولعلنا أسهبنا في الرواية والنقل والتأخير ولكننا أردنا أن نرسم حال بغداد والخلافة والوزراء ، والجند ، والمراسم ، قبل أربع سنوات من سفر ابن فضلان وخروجه من بغداد ، وأن نصور البلد الذي خرج منه في حضارته وعمرانه وزيه وتقاليده وأن نشير إلى الغنى والثروة والجاه والمنعة والقوة وبراعة التمثيل ، مما يبرز أعرق الممالك في الحفاظ على التقاليد القديمة من دول أوربة اليوم . فما نظن أن واحدة منها تقف اليوم في مراسمها من الجند واللباس والفرش وتوزيع المال والاغداق ، لما كانت تفعل بغداد منذ عشرة قرون . بل اننا لا نكاد نرى شيئاً للموازنة في اصطناع الهيبة وإنظار السفراء وبهر أبصارهم بين ماكانت عليه بغداد وماهي عليه أغنى عواصم الملك اليوم في الغرب .

وسنرى أثر هذا كله عند ابن فضلان ، فهو بعد أن عرف ما في عاصمته

ومملكته من ترف وحضارة ، أصبح يستصغر أحوال الممالك التي رآها ، وخاصة أوربة الشمالية ، فرسمها رسماً غريباً ، يشعرنا بأنه كان ينظر إليها في عجب كما ينظر بعض سفراء الغرب اليوم إلى من يسمونهم بسكان الممالك المختلفة . وهذا أوان الحديث عن الرحلة وصاحبها .

الوفد والخطبة

رسمنا جانباً من حال الخلافة والخليفة ، لننتهي إلى أن سمعة بغداد في الخارج كانت جيدة بل عظيمة ، يتهافتُ الملوك والامراء عليها ليعقدوا معها أجمل الصلات وأوثق المحالفات . حتى أن « الصقالبة » وهم من سكان الشمال في أوربة ، على أطراف نهر الفولغا ، وعاصمتهم على مقربة من « قازان »^(١) اليوم في خط يوازي مدينة موسكو ، قد طلبوا عون الخلافة ومساعدتها . فقد ذكر ابن فضلان أن مليكهم « ألمش ابن يلطوار »^(٢) « طلب إلى أمير المؤمنين المقتدر بالله أن يرسل إليه بعثة من قبله ، تفقه في الدين وتعرفه شرائع الاسلام ، وتبني له مسجداً ، وتنصب له منبراً يُقيم عليه الدعوة للخليفة في جميع مملكته وسأله إلى ذلك أن يبني له حصناً يتحصن فيه من الملوك المخالفين له . وقد بسط ابن فضلان أمر هؤلاء المخالفين

(١) عاصمة البلغار المنهدمة ، على ستة كيلو مترات ونصف من نهر الفولغا .

(٢) ذكرنا في حواشي النسخة ثقلب الناسخ في رسم الاسم ، فقد وضعه مرة باسم الحسن بن يلطوار ، ومرة أخرى باسم « ألمش بن يلطوار » وقد حام المستشرقون كثيراً حول تحقيق التسمية ، فاففروا بطائل لأن تاريخ روسية لذلك الزمان لا يثبت التفاصيل ، ولا يعنى بها ، بل لا يعرف تاريخاً واسماً ، فالعرب مصدر هام من مصادرهم ، وخاصة هذه الرسالة .

فقال إنهم ملوك الخزر وهم من اليهود ، كانوا يعتدون على قومه ، ويفرضون عليهم الضرائب يؤدونها عن كل بيت في المملكة جلد سمور ، وابن ملك الخزر يخطب من يريد من بنات ملك الصقالبة ويتزوجها غصباً ، والخزري يهودي ، وابنة الصقلي مسامة . وقد رأى ابن فضلان أن مملكة الصقالبة واسعة وأموالها جمّة وخراجها كثير فسأل الملك عن سبب استنجاهه بخليفة المسلمين فأجاب بأنّه يتبرّك بأموال المسلمين ويعتزّ بدولتهم^(١) .

وهذا الأمر يدعو إلى الزهو من جانب بغداد ، ويوضح هيبة الخليفة ، ويرسم مكانة السلطان في أوربة آنذاك ، وخاصة حين يستنجد به ملك للمملكة واسعة ، ويسعى معه إلى حاف ثقافي ديني عسكري ، كما نعبّر عن ذلك اليوم .

ويبدو أن الخليفة أو وزيره حامد بن العباس^(٢) أو كلاهما معاً — فقد كانت سنّ الخليفة سبعاً وعشرين سنة — ارتضيا هذه المعاهدة حين وفد رسول ملك الصقالبة يسعى لها وهو « عبد الله بن باشتو الخزري » وعجيب أن يرسل الصقالبة رجلاً خزرّي الأصل ، ولعلمهم اختاروه لمعرفة اللغة العربية ، أو لثقتهم به وبجسن إسلامه .

وتقرر أن يكون الوفد الرسمي من أربعة أشخاص هم سوسن الرستى مولى نذير الخرمي ، وتكين التركي ، وبارس الصقلاي ، وأحمد بن فضلان ، ومعهم دليل هو رسول الصقالبة . ويُخيّل إلينا أن اثنين من أعضاء الوفد البغدادي يعرفان

(١) الرسالة بالورقة ٢٠٩ ظ .

(٢) في الرسالة أن ابن فضلان حمل كتابين من الوزير ومن الخليفة معاً .

الروسية ، فالأول (سوسن) يبدو في نسبته من بلاد الروس قد استجلب كرقيق ثم تعلم العربية وحسن اسلامه وتقدمت به مراتبه^(١) والثاني بارس الصقلاي واسمه ونسبته دليمان على أصله^(٢) . وأما الثالث فهو تركي الأصل يجيد لغات الأتراك التي يمرّ ببلادها الوفد في طريقه إلى الفولغا ، وقد كان حدادا في خوارزم ، وقف على بيع الحديد في بلد الكفار وهو الذي أقنع نذير الخرمي بإيصال كتاب ملك الروس إلى الخليفة المقتدر بالله — فيما تقول الرسالة — وأما الرابع أحمد بن فضلان فهو فيما تعلمنا الرسالة يجمل اللغات الأجنبية ، ولكنه على إلمام تام باللغة العربية وبالشرعية الاسلامية ، وإليه فيما رأينا رئاسة الوفد وقياده ، فهو في كل الظروف يأمر وينهى ويقرر الرحلة أو البقاء ، وهو نفسه يقول^(٣) : « فندبت أنا لقراءة الكتاب عليه ، وتسليم الهدايا ، والاشراف على الفقهاء والمعلمين » . وقد علمنا من الرسالة أن الوفد سيحصل على المال اللازم للفقهاء والمعلمين ولبناء الحصن من خراج ضيعة معينة من ضياع ابن الفرات الوزير السابق^(٤) ، وقد خلع قبلها ، وصودرت أملاكه ووزعت جراياتها ، وجُعلت للدولة تُنفقها كما فعلت في نفقات هذا الوفد . وقد أرفق الوفد بأشخاص ثانويين ذكرهم ابن فضلان فقال : « الفقيه والمعلم والغلمان الذين خرجوا معنا من مدينة السلام » ولعلمهم في مرتبة الملحقين المعاوين كما نسميهم بلغة الدبلوماسية اليوم (بالورقة ١٩٩ و) .

(١) كان حاجب المكتفي فيما يبدو . انظر التعليقات الآتية .

(٢) بارس الحاجب قائد وافر ، وهو غلام اسماعيل بن احمد صاحب خراسان ، كما في التعليقات .

(٣) الرسالة بالورقة ١٩٧ هـ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات من أجل الناس ، وزر للمقتدر ثم خلع ، وتفصيل أمره في التعليقات الآتية .

وقد حمل الوفد فيما حمل « أدوية » كان ملك الصقالبة طلبها من نذير الخوري وهذه شهادة أخرى على تقدم المملكة العباسية ، وغنى حضارتها ، ووفرة الأدوية عندها ، وفقدانها في بلاد البلغار آنذاك .

وصف الرحلة

وفي الرسالة تفصيلات دقيقة على ايجازها وقصرها ، تحدد لنا تاريخ الرحلة وأيامها وخطتها وسيرها ، وتتيح لنا أن نرسم الطريق الذي مرت فيه ، والأوقات التي قضتها في كل مدينة وقرية ، وعند كل نهر أو مفازة .

فقد رحل الوفد من بغداد يوم الخميس ١١ صفر ٣٠٩ هـ (الموافق ٢١ حزيران ٩٢١) وظل يصعد شرقاً وشمالاً ماراً بأقليم الجبال ، فهمذان فالرّي قرب طهران اليوم ، وعبر نهر جيحون ، فبلغ إلى بخارى ، ثم أوغل في البراري والبوادي حتى وصل إلى الفولغا ، عند ملك الصقالبة ، يوم الأحد ١٢ محرم ٣١٠ هـ (الموافق ١١ أيار ٩٢٢) ، فاستغرقت رحلته أحد عشر شهراً في الذهاب ، لاقى خلالها مصاعب كثيرة وأهوالاً مذهلة ، وصفها ابن فضلان وصفاً جميلاً بارعاً يضعه في الصف الأول من الرحالة الأدباء .

فقد ذكر أنه تنكر في القافلة قبيل نيسابور خوفاً على نفسه ثم دهمه الشتاء في الجرجانية على نهر جيحون ، فإذا باب من الزمهرين قد فُتح ، وإذا الريح عاصف شديدة ، فإذا خرج من الحمام إلى البيت جمدت لحيته فأصبحت قطعة واحدة من الثلج ، وإذا هو يبيت في بيت داخل بيت ، ويتدثر بالأكسية والفراء ، ومع ذلك

يلتصق خدّه على المخدّة لشدة البرد . وحين أوغل في بلد الترك لقي الضر والبرد حتى أشرف على التلف فيمن معه . ولقيه واحد من قطاع الطرق فأوقف القافلة بأسرها وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة آلاف رجل ، فنجوا منه بالهدية والحسنى وعبر الأنهار في جهد جهيد والغرق يتهدّد به مع القافلة كلها .

وهو على هذه الأخطار التي واجهته ، والدسائس التي تربصت به ، والمشقة الطويلة التي عاناها ، كان شديد الايمان بالله ، عظيم التمسك بدينه وأخلاقه وتقواه لا يخون الأمانة ولو خانها رفاقه ، ولا يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طوال الرسالة ، فتراه يضرع إلى الله أن ينجيه من شرّ ما يلقاه ، ويبرأ إليه من شرور الناس الذين يراهم في طريقه . يتقزز من القذارة والأوساخ . والاسلام أمر بالنظافة وجعلها من الإيمان . ويهوله أن يرى النساء إلى جانب الرجال ، بل يفزع به أن يراهنّ في عرى مخجل فيدعوهنّ إلى التستر^(١) ، فإذا شاهدن في الماء بغير ثياب طارصوا به ، وفزع إلى الله من شر الكفر الذي كان يسمعه من الكفار في سبيله . وكم تلفت إلى أمور الدين وهو في أشدّ المواقف خطراً ، فنعى على القوم أنهم « لا يستنجون من غائط ولا بول ولا يغتسلون من جنابة^(٢) » ، وكم ستر وجهه حين تكشف النسوة عن عوراتهن . وكان يرتجف لسماع أسئلة ملؤها الكفر ، فيستغفر الله لسائله حين يقول له « ألربنا عز وجل امرأة ؟ » ولفت نظره أن الرجال هناك ينتفون لحاهم ويرسلون سبأهم فشبّههم بالتيوس . وغمّه أن يسجد

(١) في الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ط : « وما زلت أجتهد أن يستتر النساء من الرجال في السباحة فها استوى لي ذلك »

(٢) الرسالة ، بالورقة ٢٠٠ و .

أقوام لحشب ينحتونه على أشكال مخزية ، أو أن يتخذوا أرباباً كثيرة ، فيتلو للحال آية الله الكريمة : « تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً » وساء أن تعبد طائفة من الطوائف سمكاً أو حيات أو كراكي .

بل إنه ليتمسك بالدين وتقاليد الاسلام ، فيأمر الملك برد السلام على أمير المؤمنين ، ويمنعه من تسمية نفسه بالملك ، لأن الله هو الملك وإنما يستطيع أن يلقب نفسه بعبد الله وأورد في ذلك حديثاً للنبي صلوات الله عليه في هذا الصدد ثم انه يأمر المؤذن بأفراد الإقامة وكان يثنيها إذا أذن ، حتى لقد عرف الملك شدة تقواه فسماه « أبا بكر الصديق » وآثره وقربه وباعد أصحابه ، وقد اعترف بأن رجلاً أسلم على يديه وكان اسمه « طالوت » فسماه « عبد الله »^(١) وأسلمت امرأته وأمه وأولاده فسموا كلهم باسم « محمد » وعلم الرجل سور القرآن القصار ، فكان فرحه بذلك أكثر من فرحه إذا صار له ملك الصقالبة .

ويطول بنا الأمر ان رحنا نستعرض ما في الرسالة من تمسك ابن فضلات بدينه ، وفرحه لشعائر الاسلام ، وغضبه لانتهاك حرمة المسامة حين ذكر أن ملك الحنزر اليهودي يغصب المسامة الروسية على الزواج منه . وذلك كثير في الرسالة يشير إلى أن الرجل قام بمهمته في الدعوة للدين والتبشير به خير قيام ، فقد وفد لهذا ، وذكر أن البعثة كانت تريد تفقيه الشعب هناك بالدين في جملة مهماتها . ونظن أنه إنما فصل الأمر في احراق الروس أنفسهم ، واحراق جارية مع الميت ، كان

(١) الرسالة ، بالورقة ، ٢٠٧ ظ .

لكرهه ذلك ، وغضبه من مرأى الجارية يتناولها الفجار من اصحاب الميت في
أوضاع يأبأها الاسلام والدين والنوق .

*
* *

والعجب أشد العجب في هذه الرسالة ، يخطها رجل فقيه ، فيجيد في الوصف
على أروع ما يجود فيه الأدباء ، يصور مايجول في نفسه من مشاعر الفرح والغبطة
والخوف والفرع ، والعجب والدهشة ، فيقربنا من المشاهد التي رأى تقريب
أديب أريب لافقيه مبشر . ولولا أنه ذكر مهمته وألح على بيانها ، وأكثر من
النصح والنهي ، لسلكناه في الأدباء والقصاصين فحسب ، وذلك لبراعة قلمه وحسن
بيانه وجودة عبارته ، وشدة أسره ، وعظيم إيجازه في التعبير ، ودقته في اللفظ
وانسيال الجمل على قلمه في سهولة ويسر ، وفي تتابع من غير تقطيع ولا استطراد .
فلم نقع على تقعر في المفردات ، ولا تكلف في الانشاء ، فأسلوبه من السهل الممتنع
وبيانه من الإيجاز بحيث يقع في صدور الكتّاب وفي طليعة المنشئين . وأما رسالته
من حيث المنهج فهي أشبه بالقصة ، تتناسك حلقاتها وأحداثها ، كرواية متشابكة
متصل أولها بآخرها .

وهو على إirاده الأرقام والأعداد في ذكر التواريخ والمسافات والأبعاد
والأيام ، لا يبتعد عن أسلوب الأديب ، ولا يتقرب من أسلوب الجغرافي . فلا
نرى له ذكراً لدرجات الطول والعرض ومواقع البلدان ، ودرجات الحرارة
وموازنة الأقاليم بعضها ببعض كما يصنع الجغرافيون . ويعتمد في حكايته للأحداث

التي مرت به والأشخاص الذين لقيهم على المحاورة المباشرة ، كقصة كتبت لأيامنا وهذا سر نجاحه في رسالته ، وسر الإعجاب بها والعكوف عليها ، حين اتخذها المستشرقون موضعاً للترجمة والنقل فأروا فيها قطعة من الأدب الرائع في الرحلة .

وقد أفاده أدب القرآن والحديث في أسلوبه ، فاقتبس منهما من غير أن يتكلف ذلك ، كأنه تشبّع به فسأل بيانه مشرقاً متيناً لا ضعف فيه ولا انحطاط . فإذا بدا بعض التفكك في هذه النشرة فردّه إلى حال النسخة وتصحيحها وإلى الترقيع الذي أدخل عليها في التصحيح ، فالثوب الرائع لا يصلح رتقه إلاّ بالناسج الرائع . وأنى لبينا أن يصلح من بيانه ما أفسد الدهر والنساخ .

أهمية الرحلة :

يقول المستشرق الأستاذ « فوهن » حين قدّم لدراسة ابن فضلان في الألمانية ان تاريخ روسية وما جاورها في العصور القديمة غير معروف وهو ما يزال غامضاً مبهماً في أكثر نواحيه لم يضىء من جوانبه أحد من الأوربيين . وفي زمن نسطور « Nestor » كتب عن البنزطيين والفرنك والسكاندنافيين ولكن ما كتب لم يتوسع في أخبار الروس . فإذا كان الغرب قد أغفل روسية فإن العرب والشرقيين تحدّثوا عنها ، فألقى العرب أنواراً كثيرة على تاريخ الغرب القديم ، وأدلى بمعلومات نافعة وخاصة عن البلغار وروسية في عهدها البعيد ، وبذلك فتح العرب عيون الغرب على معلومات في الكون عجيبة من أقصى الهند والصين إلى المحيط الأطلسي . فقد كتبوا عن مجاورهم في حدود واسعة ، ووصفوا الهند والنيجر

والقولنا . وذلك لأن تعاليم الدين الاسلامي توحى بطلب العلم وتفرضه وتطلب السعي إليه .

ذلك ما قاله المستشرق منذ مائة عام في فضل العرب على الغرب من حيث كتب الرحلة ، أثبتناه ، لنبيين أهمية ما كتبه الأجداد ، وفيهم ابن فضلان ، ولنشير إلى يدهم في الكتابة عن أقطار الغرب ، وعن روسية خاصة . فالقوم لا يعرفون من تاريخها القديم كبير أمر . فلما وقعت إليهم رسالة ابن فضلان فرحوا بها لأنها تسدّ ثغرة كبيرة في الحديث عنهم لماضيهم البعيد ، ولعلها وحدها تنير صفحات واسعة في حياتهم ، وتحدث عن معيشتهم في أمانة ودقة وتوفيق .

ونحن لا ننظر إلى الرسالة من هذه الناحية فحسب ، وإنما نرى أن الرجل قد صور الرحلة والعادات والتقاليد والحياة والأخلاق في ذلك العصر ، في مختلف المناطق التي مر بها أو قام فيها ، فلم يغفل كثيراً عما يحتاج إليه ذلك الزمان ، وكان دقيق الملاحظة ، يسجل أكثر ما يرى السائح ، وينقل إليه ما يدور خلال السباحة من حوار ودسائس ، ويصف الحكم والأمراء ورجال الشعب على حدّ سواء ويرسم الهيئات والوجوه على إيجاز الرسالة وقصرها .

مر ببخاري فوصف الدراهم الغطريفية وتركيها وقيمتها ، وفعل مثل ذلك حين وصل إلى خوارزم فوصف دراهمها وتركيها وتسميتها بالطرازجة ورسم وحشية أهلها وصور كلامهم بأنه أشبه شيء بصياح الزراير ، كما صور كلام قرية قريبة بأنه أشبه شيء بنقيق الضفادع فبين حال الأجني حين يسمع لغة لم يألّفها سمعه ، فحار في تشبيهها ورسمها .

ورسم اللباس في البلاد التي مرّ بها ، وقرب إلينا أشكاله حتى يستطيع الرسام أن ينقل منه صوراً لأزياء البلاد في ذلك الزمان ، عن رحالة شاهد بعينه وصور بقلمه ، وأسماء الألبسة مهمة جداً لمن يريد أن يدرس الحياة الاجتماعية والبشرية .

وأما عادات تلك الشعوب في عيشها وحديثها وتديّنها فقد أحسن في بسطها فشرح حال الزواج والمهر وشروطه ، وأوضاع السكنى والمأكل والمشرب ووفاء الديّين وحال المدين ، والضياقة واستقبال الزائرين والغرباء ومراسم ذلك كله في هذه الأصقاع .

والمهم في هذه الرسالة أنه خص بلاد البلغار والروس بوصف محيط دقيق وصف الصقالبه فأفاض في مراسم الاستقبال ، وفي عيش القوم ، وجلس المليك وطريقة الأكل مما يخالف حياة العرب ومأكلهم . ووصف المائدة . وقد جلس مليكهم فأخذ سكيناً ، وقطع لقمة من اللحم المشوي وأكلها ، ثم دفع قطعة إلى غيره ، فلا يمدّ أحد يده إلى الأكل حتى يناوله المليك قطعته . وكان كلّ يأكل من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً .

ووصف قصر اللّيل وطول النهار في تلك البلاد ، حين حار في تأدية صلاة المغرب مع صلاة الصبح وقرب طلوع الفجر . وذكر أن القوم يأكلون لحم الدابة وأنهم لا يجدون موضعاً يجمعون فيه الطعام ، فيعمدون إلى آبار يحفرونها في الأرض ويجعلون فيها الطعام ، ولا تمضي عليه أيام حتى يتغير وينتن . وليس عندهم زيت أو شيرج وإنما يستعملون زيت السمك .

ثم ذكر أن القوم يلبسون القلانس ، ويرفعونها عن رؤوسهم حين يمر بهم الملكُ ويجعلونها تحت آباطهم ، وينهضون له واقفين ، فاذا جاوزهم ردوا القلانس إلى الرؤوس . وأنهم يحيون الملك بمثل ذلك ، حين الدخول عليه ، ويحنون له الرؤوس وينتظرون الاذن بالجلوس . وذكر أنهم ينزلون إلى النهر فيغتسلون رجالاً ونساءً وهم عراة ، وقانونهم في الزنا شديدٌ فهم يقطعون المجرم بالفأس من رقبتة إلى فخذه .

ودفن الموق عند المسامين منهم يكون بعد الغسل بأن يحملوا الميت في عجلة ، وأن يواروه اللحد ، ويجعلون بعد ذلك سلاحه عنده حول قبره ولا يقطعون البكاء عليه سنتين .

ثم وصف الروس في أبدانهم فرأى أنهم شقر حمر ، وأن الرجل منهم يحمل سيفاً وفأساً وسكيناً لا تفارقه . والمرأة تجعل على ثديها حقة مشدودة من حديد أو فضة أو نحاس أو ذهب على قدر غناها ، وفي كل حقة سكين مشدودة على الثدي ، وفي عنقها طوق أو طوقان على قدر ثروتها كذلك . وقال إنهم يجتمعون على السكنى في بيت واحد عشرة أو عشرون ولكل منهم سرير يجلس عليه ، وحياتهم الزوجية عجيبة مكشوفة لاحتياء فيها ولا عار ، على قذارة في الثياب والأبدان . فهم يغسلون وجوههم في طست واحد يطاف عليهم به يرسلون فيه كل ما يخرج من أفواههم وأنوفهم . وأنهم يسجدون لحشب ركزوه في الأرض وقد صنع على شكل صور ، يستشفعون إليه ويتضرعون وله يتصدقون .

وفصل الأمر في الموت عند الروس تفصيلاً بارعاً ، فقد وقف على ذلك بنفسه وشاهده بعينه ، فقص علينا ما رأى من موت روسيٍّ جليل . فقال إنهم جعلوه في قبر وسقفوا عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع ثيابه . ثم سألوا جواريه مَنْ تموت معه ، فإذا كان يوم الحرق شربت الجارية وَغَتَّتْ ، وأحضرت إلى سفينة معدة لذلك الأمر . وأخرجوا الميت من قبره وجعلوا معه نبيذاً وفاكهة وطينوراً ، وألبسوه أجمل الثياب الفاخرة وأدخلوه القبة ، وطرحوا بين يديه المأكّل ، ثم دفعوا الجارية بعد أن تودع صواحبها ، فخنقوها وقطعوا أضلاعها ، ثم أحرقوا الخشب تحت السفينة ، حتى أصبحت رماداً تذروه الرياح ، وغرسوا في موضعها خشبة عليها اسم الميت واسم ملك الروس .

ولا نستطيع أن نسرف في رواية ماجاء عند ابن فضلان وما قصّ من مشاهداته في بلاد الروس ، فالرسالة بين الأيدي تفصل الدقائق وتوضح الحركات في شكل دقيق لانراه في مصدر عربيٍّ أو غربيٍّ غيرها . ويستطيع المصور أن يتخذ من التفصيلات مادة للوحة الحرق عند الروس في ذلك الزمان ، لدقتها الشديدة ووضوحها البين . وقد استقى فنان روسي اسمه (هنري سميرادسكي ^(١)) من هذه الرسالة لوحة للدفن ، تزيّن اليوم أزهى متاحف الروس في لشنغراد رفعت اسم ابن فضلان إلى مراتب الخلود والشهرة ، وأكسبت رسالته سمعة عالمية .

ونحن لا نريد بهذا أن نقول إن ابن فضلان وحده ذكر احراق الموتى عند الروس ، ولكننا نريد أن نشير إلى أنه وحده فصل الأمر ووصف الحرق ووصف شاهد معين . فالجغرافيون العرب في القرن الرابع ذكروا أن الروس كالهنود

يحرقون موتاهم ، فقال ابن حوقل : « والروس قوم يحرقون أنفسهم إذا ماتوا ويحترق مع مياسيرهم الجوّاري منهم بطيب أنفسهم ، كما يفعل بغانة وكوكة ونواحي بلاد الهند » وقال المسعودي ^(١) : « فأما من في بلاده من الجاهلية فأجناس منهم صقلية وروس وهم في أحد جاثي هذه المدينة ، ويحرقون موتاهم ودوابهم ، والآلة والحليّة . وإذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهي في الحياة ، وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل ، وإن مات منهم عزب زوج بعد وفاته . والنساء يرغبن في تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجنة ، وهذا فعل من أفعال الهند » . وقال غيرهما مثل هذا ، ولكن هذه الأقوال ليس فيها كبير غناء من حيث الدقة والقصة والحكاية ، فهي أخبار منقولة تواترت ، وربما كانت في أكثرها مأخوذة عن ابن فضالان ؛ والفضل للمتقدم .

وهنا يجب أن نشيد بفضل الرسالة على الجغرافيين والمؤرخين من العرب فهم كلما تحدثوا عن هذه الأصقاع نقلوا عن ابن فضالان من غير أن يذكروا غالباً اسمه أو رسالته ، اللهم إلا ياقوت الحموي ، فقد نقل عنه حرفياً صفحات كثيرة من الرسالة — كما نبين بعد قليل — ونقده وخالفه في بعض المواضع ، وأخذ عليه أشياء ، وكذبه في أشياء ، ولكنه على كل حال أثبت اسمه في كل موضع نقل عنه من مواضع معجم البلدان . فالرسالة في ذلك مرجع من أهم المراجع عن البلاد التي زارها وخاصة بلاد البلغار وبلاد الروس . وذلك سبب عناية المستشرقين بها ، بل لعله أحد الأسباب التي دفعتنا إلى تحقيقها والعمل لها على الطريقة التي نشرحها في الفصل التالي .

(١) مروج الذهب ، طبعة باريس ١ / ٢ .

الفصل الثاني

تحقيق الرسالة

مؤلفها — فصول من الرسالة — مخطوطة الرسالة -- طريقتنا في التحقيق

تحقيق الرسالة

مؤلفها

رأينا أن ابن فضلان بدأ رحلته في ٢١ حزيران ٩٢١ ، من بغداد وبلغ إلى نهر الفولغا عند ملك الصقالبة يوم الأحد ١١ أيار ٩٢٢ م ، فاستغرقت رحلته في الذهاب أحد عشر شهراً ، ولكننا لم نعرف طريقه في العودة ، ولم نقف على تاريخها والمدة التي قضاها في ذلك حتى وصل بغداد . وإنما نعرف عن ياقوت أن الرجل عاد من رحلته إلى العاصمة ، فقال عنه : « منذ خرج من بغداد إلى أن عاد إليها^(١) » .

والمصادر التاريخية لا تفصح عن شيء من أمر هذه الرحلة ومن صاحبها فلم نقع على ترجمة لابن فضلان في كتب الجغرافية والتاريخ والأخبار ، ولم نر سطوراً واحداً يُشير إليه ، فنحن نجهل كل الجهل ما كان من اسمه . فهو عند ياقوت « أحمد ابن فضلان بن العباس بن راشد^(٢) بن حماد مولى محمد بن سليمان رسول المقتدر بالله » وهذا يطابق ما جاء في الرسالة المخطوطة بالعنوان ، ولكنه يخالف ما جاء في المخطوطة نفسها حين أعلننا ابن فضلان أنه أسلم على يديه رجل اسمه « طالوت »

(١) معجم البلدان ٢ / ٤٨٥ وما بعدها .

(٢) صحف ياقوت هذا الاسم في بعض الموانع فقال : « ابن اسد » ولعله من النساخ .

فأسماء عبد الله ، فقال الرجل : « أريد أن تسميني باسمك محمداً ^(١) » ويقول المؤلف : « ففعلت » فهل نرى في هذا تناقضاً واختلافاً ، أم نرى فيه تصحيحاً من الناسخ ؟ أم نقبل فيه بأن خير الأسماء ما محمد وعبد .

وليس الاسم وحده هو الذي يستوقفنا ، وإنما اسم فضلان ، فالوزن عربي معروف ، ولكننا لم نقع على « فضلان » في الأسماء المشهورة لذلك العصر مع أن الرسالة تقول إنه مولى لفاتح مصر محمد بن سليمان ^(٢) ، ويقول ياقوت إنه كان مولى لمحمد بن سليمان ثم مولى أمير المؤمنين فهو من العجم الموالي ^(٣) لذلك الزمان .

والمؤلف في رسالته يدعونا إلى الاعتقاد بغير ذلك ، فينقل إلينا قول ملك الصقالية يخاطبه معرّضاً بأصحابه في الرحلة : « انما أعرفك أنت ، وذلك أن هؤلاء قوم عجم » . فهل يريد بذلك أنه عربي اللسان أم عربي الجنس ؟ أم أن الملك يجهل أصله فدعاه كذلك ؟

وأين ولد ابن فضلان من بلاد العجم أو العرب ، وكيف نشأ ، وماذا شغل من مناصب دينية قبل البعثة إلى البلغار ، وماهي صلته بالوزير حامد بن العباس ،

(١) الرسالة ، بالورقة ٢٠٧ ط .

(٢) محمد بن سليمان بن المنفق أبو علي الكاتب كما جاء اسمه في تجارب الأمم ١/٥ هـ ، فتح مصر وشنت آل طولون ودخلها سنة ٢٩٢ هـ ، وقتل سنة ٣٠٤ هـ ، وحصلت الري بيد أحمد بن علي صموك بعده . انظر الفرج بسد الشدة ١ / ١٨٠ .

(٣) في المولى ... انظر دراسة المستشرق فون كريبير ، عن الثقافة في عهد الخلفاء (بالألمانية) ١ / ١٠٤ ، طبع سنة ١٨٨٨ م - ولاحظ أن ياقوت يسميه « مولى أمير المؤمنين ثم مولى محمد بن سليمان »

وماهي ثقافته الأدبية والدينية ، وماذا خلف من كتب غير هذه الرسالة ؟ . إننا انتهينا في تحليلها قبل قليل إلى أن الرجل كان على ثقافة دينية وأدب رفيع ، وأسلوب جميل ، وورع وخلق وحب لنشر الاسلام وصدق في الحديث ، وعفة في المال ، ولكننا رأينا عنده سدا جة ، لعلها راجعة إما إلى سنّه المتقدمة أو إلى حالته الخاصة .

أما السن فقد لاحظنا أنه تحمّل هذه الأسفار فنخاض الأنهار وسكن قرب الشلوج وركب الجمال والسفن وعبر البوادي والصحارى والتفار والغابات وسار سيراً حثيثاً بأشد ما يكون في الجبال والوديان ، وغامر مغامرة الشباب وخاطر بحياته فرأى الموت بعينه . فهل كان في جال جسمية تتحمل مثل هذا العذاب في الرحلة أم كان في سنّ قريبة من الشباب ؟ ومهما يكن من أمر ، فالذي ساقه من حكايات كان راجعاً إلى عقليته التي تقبل هذا الخيال ، فقد نظر إلى السماء في بلاد البلغار ، فإذا بالجو يحمر وإذا بأصوات شديدة وهممة عالية ، وإذا بأشباح تحمل السيوف والرماح على قطعة أخرى فيها أشباح تحمل السيوف والرماح وفي كل منها رجال ودواب وسلاح ، كما تحمل الكتبية على الكتبية . ففرع من ذلك وأقبل على التضرع والدعاء . والقوم يضحكون منه ومن زملائه ويتعجبون . فإذا سأل عن ذلك زعموا له أن هذا الفعل من مؤمني الجنّ وكفارهم يقتلون في كلّ عشية .

وكذلك وصفه لرجل من قوم يأجوج ومأجوج . قصّ الملك عليه قصته ، له رأس أكبر من القدور الكبيرة ، وأنف أكثر من شبر ، وعينان عظيمتان . فروى ابن فضال الخبر ، ثم زاد عليه بأن الله يُخرج للقوم كلّ يوم سمكة من

البحر ، يحتزّ منها الواحد ما يكفيه ويكفي عياله ، ثم يردّها إلى البحر تتقلّب ، فإذا أخذ فوق حاجته اشتكى بطنه .

وما بسطنا هذا لننقد ابن فضلان أو نزي بقدره فلعله كان يتوهم حقاً هذا الذي يصف ، أو لعله خاف فتخيل الذي قال ، فليس من هين الأمور أن يبلغ رجل في عصره ما بلغ إليه من رحلة بعيدة يصل فيها إلى بلاد البلغار والروس ، وأن يرى العجائب التي رأى على وسائل ذلك الزمان ، ومصاعب المواصلات . وكثير من الرحالة والجغرافيين رووا مثلاً روى وأوغلوا في الأساطير ، حتى لقد دخل ذلك في كتب التاريخ عندنا ، وروى المؤرخون مثله على سعة عقولهم وأحلامهم . ولكننا أردنا أن نشير إلى ما كان من ثقافة ابن فضلان وتأثره بالقصص القديمة السائرة في عصره والتواريخ المنشورة المترجمة عن الفرس ، مما أدخله اليهود وغير اليهود في عقول الناس لذلك الزمان . ولأمر ما كان يدور على الألسنة في ذلك العصر خطر الدخول إلى تلك البلاد ، حتى قال ابن حوقل وهو في القرن نفسه عن بلاد الروس : « فلم أسمع أحداً يذكر أنه دخلها مع الغرباء لأنهم يقتلون كل من وطئ أرضهم من الغرباء ، وإنما ينحدرون في الماء يتجرون ولا يخبرون بشيء من أمرهم ومتاجرهم . ولا يتركون أحداً يصحبهم » .

وابن فضلان دخل البلغار . ورأى الروس يتجرون في تلك البلاد وعاد منها بوصف لرحلته ، أشبه ما يكون بالتقارير الرسمية التي يكتبها السفراء اليوم عن بلاد عجيبة غريبة ، فوفق في ذلك أشد التوفيق ، بل وفق أكثر من بعض السفراء

الدبلوماسيين لعصرنا في تقريره ، فنحن نرى في خلطهم اليوم في فهم الشعوب وعاداتها وتقاليدها ما يجعل ابن فضلان سيّداً من سادة الساسة في عصره وغير عصره .

وهذا دليل على أن الرجل نجح في مهمته ورسالاته وكان حقاً عند حسن ظن المسؤولين به عندما اختاروه لهذه الوفادة الشاقة ، فلا شك في أنهم كانوا ينظرون إليه على أنه شخصية ممتازة . فقد وقع عليه اختيار الخليفة أو اختيار الوزير حامد ابن العباس لرئاسة هذا الوفد ، وكافاه بتسليم رسالة لكل منهما يحملها إلى ملك أوربي يعرفان أتم المعرفة أن الصلات بمملكته حين تتوثق ستزيد المسلمين قوة ودعاية ورفعة . وليس من اليسير أن يختار الخليفة أو وزيره رجلاً لا يكون محنكاً أو مجرباً .

ويبدو أن الأوائل قبلنا جهلوا عنه كل شيء ، فنقل عنه الجغرافيون كما قلنا ولم يذكروا اسمه ، ولم يعرضوا له في مصادرهم التي أخذوا منها . فقد قرأ الرسالة منذ القرن الرابع وما بعده الأضطخري ؛ وابن رسته ؛ والمسعودي ، ولكنهم لم يثبتوا في كتبهم أنهم نقلوا منه ، فاختلف عندهم ما جمعه من غيره بما نقلوه عنه . وفي القرن السابع كان ياقوت أول من أشار إلى فضله ، واختار فصولاً من الرسالة جعلها في كتابه « معجم البلدان » وهي التي عرفت به في العصر الحديث وسيرت ذكره

فصول من الرسالة

قال يا قوت في كتابه^(١) : « وقصة ابن فضلان وانفاذ المقتدر له إلى بلغار مدونة معروفة مشهورة بأيدي الناس . رأيتُ منها عدة نسخ » وبذلك نعرف أن نسخ الرسالة كانت متوفرة في القرن السابع ، يعرفها الناس ويتداولونها ، ولا شك في أن يا قوت رأى بعض هذه النسخ خلال رحلاته وأسفاره في بلاد العجم والأترك ، فنقل من إحداها فصولاً عدة ، وجعلها في كتابه مادة يستشير بها ويستشهد على الأقايم والبلدان التي أراد أن يصفها على عادته . وهذا بيان بالفصول التي نقلها مرتبة وفاق صفحات الرسالة وإلى جانبها ما يقابلها من الأوراق في هذه المخطوطة التي ننشرها :

١ - خوارزم^(٢) : ١٩٨ و ١٩٨ ظ .

٢ - باشغرد^(٣) : ٢٠٣ و .

٣ - بلغار^(٤) : ٢٠٣ ظ - ٢٠٦ ظ .

٤ - اتل^(٥) : ٢٠٨ و - ٢٠٩ و .

٥ - روس^(٦) : ٢٠٩ ظ - ٢١٢ ظ .

٦ - خزر^(٧) : ٢١٢ ظ .

(١) مجمع البلدان ، الطبعة الأوروبية ، ١ / ١١٣ .	
(٢) مجمع البلدان ، « « ، ٢ / ٤٨١ - ٤٨٥ .	
(٣) المصدر المذكور ، « « ، ١ / ٤٦٨ - ٤٦٩ .	
(٤) « « ، « « ، ١ / ٧٢٢ - ٧٢٥ .	
(٥) « « ، « « ، ١ / ١١٢ - ١١٣ .	
(٦) « « ، « « ، ٢ / ٨٣٤ - ٨٤٠ .	
(٧) « « ، « « ، ٢ / ٤٣٨ - ٤٣٩ .	

فهو قد أثبت قرابة عشرين صفحة من هذه الرسالة ، وترك خمس عشرة صفحة منها ، فكأنه نقل ثلثيها ، وبقي ثلث واحد — على الأقل — مجهولاً لم يظهر في مصدر أو كتاب . وطريقة نقله واضحة يدّنه ، فهو يفتتح غالباً بقوله : « قرأتُ في كتاب ^(١) أحمد بن فضلان . . . ويختتم : « هذا ما حكاه » ، أو يفتتح بقوله : « قال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة أحمد بن فضلان . . . حكى فيها ما عاينه منذ انفصل عن بغداد إلى أن عاد إليها ، فحكيتُ ما ذكره على وجهه استعجاباً به » .

وتعليقاته على ما ينقل من ابن فضلان تحمل طابعه في الصراحة والنقد والشدّة فيقول بعد أن يروي الوصف في إتل : « قال المؤلف رحمه الله : هذا وامثاله هو الذي قدمتُ البراءة منه ، ولم أضمن صحته » . ويقول معلقاً على وصفه للخزر : « قال عبد الله الفقير : وهذا كذب منه فان أكثر ما يحمّد خمسة أشبار وهذا ما يكون نادراً ، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة شاهدته وسألتُ عنه أهل تلك البلاد ، ولعلّه ظن أن النهر يحمّد كله وليس الأمر كذلك » . ويعلق بعد سطور : « قلتُ : وهذا أيضاً كذب لأن العجلة أكثر ما تجر على ما اختبرته وحملت قماشاً لي عليه ألف رطل لأن عجلتهم جميعها لا تجرها إلا رأس واحد إما بقر أو حمار أو فرس . وأما رخص الخطب فيحتمل أن كان في زمانه بذلك الرخص فأما وقت كوني بها فان مائة من كان بثلاثة دينار ركني » ثم يقول معلقاً بعد

(١) نلاحظ أن ياقوت يسمي الرسالة تارة « كتاب أحمد » ١١٢ / ١ وطوراً « قصة ابن فضلان » وأحياناً « رسالة » .

سطور : « قلتُ أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه في الرستاق دوت المدينة شاهدة ذلك » .

ونلاحظ أن ياقوت الحموي لا يكتفي برواية الخبر ونقله ، وإنما يقلبه على وجوهه ، فإن كان قد زار البلاد ، كما وقع في الحزر ، فهو يناقش الرواية ويذكر ما كان لزمانه ، ويدينها ثلاثة قرون على الأقل^(١) . وإن كان لم يزرها أبدى استعجابه بما يقرأ كما فعل في وصف الروس ، أو تبرأ سلفاً مما ينقل كما فعل في وصف نهر إتل ويوافق ابن فضلان حين يتأكد صحة روايته . وهو فيما عدا ذلك أمين صادق ثبت ، شديد الفهم لما يقرأ ، قويّ التتبع لما ينقل ، إلا حين يحذف من الأخبار والأحداث ما لا يدخل في كتابه . ولذلك كان كتابه معجم البلدان أحسن كتاب يعرض فصول ابن فضلان ويمثلها تمثيلاً صحيحاً بالجملة .

والمستشرقون هم أول من تنبّه إلى خطر هذه الرسالة ، فبحثوا عنها في المراجع العربية ، ورأوا أن فصولاً منها أثبتتها ياقوت وحده مشيراً إلى صاحبها ، فراحوا منذ أهل القرن التاسع عشر يُعنون بها دراسة وتعليقاً ، وترجمة ، فنشر بعضهم سنة ١٨٠٠ م مقاله الجغرافيون العرب عن الروس وفيهم الادريسي والمسعودي وابن فضلان .

وفي سنة ١٨١٤ جمع المستشرق راسموسن Rasmussen مقاطع من هذه

(١) ولد ياقوت الحموي في آسية الصغرى سنة ٥٧٤ هـ ، وتوفي بحلب سنة ٦٢٦ هـ ، وطاف أسقاعاً كثيرة مما رأى ابن فضلان ، وكان ثقة صادقاً فيما ينقل .

الفصول وترجمها إلى الروسية ، ونقلها عنه إلى الانكليزية نيكلسون بعد أربع سنوات .

وفي سنة ١٨١٩ راح المستشرق الألماني فراهن^(١) Fraehn يجمع مخطوطات ياقوت ليستخرج منها ما نقله عن ابن فضلان ، وينشرها تباعاً فشر سنة ١٨٢٢ الفصل الخاص بالخزر إلى اللاتينية ، ومعه مقال ابن حوقل فيهم . وفي سنة ١٨٢٣ نشر الفصل الخاص بالروس إلى اللغة الألمانية مع شيء كثير من التفصيلات والتعليقات فكان مؤلفه كتاباً ضخماً كبيراً بلغ ٢٦٨ صفحة من القطع الكبير . مع العلم بأن الفصل عن الروس لا يتجاوز إحدى عشرة صفحة ، ترجمها في إحدى عشرة صفحة مقابلة إلى الألمانية ، وعلق عليها في ١١٥ صفحة زخرت بالنقول عن اليونانية والفرنسية والانكليزية والعربية ، وأتبعها بالفهارس والملاحق على نفقة المجمع العلمي القيصري آنذاك^(٢) .

وهذا الكتاب على قدمه جدير بالترجمة والنقد والدراسة لمن يعنون بما قال العرب عن روسية ، وما وقع لعلماء الآثار من النقود والأقشة مما يلم بتاريخ تلك البلاد منذ عصر المقتدر ، فقد ذكر الرجل أن نقوداً عربية ماتزال محفوظة

(١) ولد فراهن الألماني في مدينة روستوك سنة ١٧٨٢ ، وتوفي في روسية سنة ١٨٥١ ، وكان من كبار المستشرقين الآن ، واشتهر خصوصاً بالنقود الشرقية ، وله من التأليف ما يزيد على مائتي كتاب ، وكان عضواً في مجامع عدة بسان بطرسبورغ واستوكهلم وكوبنهاغن وباريس وغيرها . . .

(٢) عنوان الكتاب بالألمانية : رسالة ابن فضلان ، والجغرافيين العرب الآخرين عن الروس في أقدم الأزمان . نص وترجمة مع نقد لغوي وملاحظات وثلاثة ملاحق ، بطرسبورغ ١٨٢٣ وتفضات دار الكتب المصرية فأعارته لنا مشكورة .

في متحف لئنغراد ضربت في عهد المقتدر ، ولعلها جاءت منذ زيارة ابن فضلان وبعثته إلى البلغار . وذكر الرجل خلال هذه التعليقات ما قال الجغرافيون والمؤرخون العرب عن هذه الأصقاع وبحث عن البلدان الروسية كويابة (كييف) وبجر ورنك (اهرنك) كما ذكره العرب وغيرهما من البلدان والمواقع . وفي سنة ١٨٣٢ نشر فريه نفسه الفصل الخاص بالبلغار ونهر الفولغا (إتل) في منشورات الجمعية الآسيوية بلننغراد (سان بطرسبرغ) . وهكذا نشر الرجل أكثر فصول الكتاب عن ياقوت وعني به عناية فائقة ، وتمنى أن يحصل على مخطوطة الرسالة كاملة ، ولكنه قضى قبل أن يصل إلى أمنيته الغالية .

وفي سنة ١٨٦٣ نشر « وستنفلد » عن الرحلات عند ياقوت وفيها رحلة ابن فضلان ، دراسة بالألمانية ، وكان يجمع مخطوطات ياقوت لنشر معجم البلدان ^(١) . وفي سنة ١٨٩٩ نشر فستبرغ Weatherberg دراسة كذلك عن ابن فضلان .

وفي سنة ١٩٠٢ نشر المستشرق فون روزن Rosen مقالاً بالروسية عن ابن فضلان وأوصافه لاتل ، وخوارزم ، والروسية ^(٢) .

وفي سنة ١٩١١ ، كتب المستشرق التشيكي دفورجالك Dvorák دراسة عن رحلة ابن فضلان نشرها في براغ . وبعد عامين نشر برتولد Barthold بالروسية دراسة عن موضوع الرحلات إلى روسية عند العرب ^(٣) .

(١) مجلة Z D M G ، المجلد ١٨ .

(٢) Z B O ، المجلد ١٥ ، ص ٣٩ - ٧٣ .

(٣) Z B O ، المجلد ٢١ ، سنة ١٩١٣ ، فيها عن الاصطخري وابن رسته والبكري .

وفي سنة ١٩٢٤ ، أصدر مار كوارت Markwart ، دراسة عن الرحالة في ليبسك . وفي هذه السنة وقع الحدث الخطير في المعلومات عن ابن فضلان ، اذ تسلم المعهد الآسيوي للاستشراق في بطرسبورغ ورقتين مصورتين من النسخة الخطية التي اكتشفت في مدينة مشهد « طوس » من ايران ، ووصلت بقية الأوراق مصورة بعد عشر سنوات إلى هذا المعهد ، فتغير سير الدراسات عن الرحلة بعد الحصول على النسخة وسرى ما يكون من ذلك .

مخطوطة الرسالة

منذ عام ١٩٢٤ نشر مقال بالروسية^(١) في التعريف بهذه النسخة الخطية الثمينة التي اكتشفت في خزانة المخطوطات بمشهد ، وبعد سنتين ١٩٢٦ صدر فهرس هذه الخزانة ، وفيه وصف هذه النسخة ، تحت رقم ٢ « أخبار البلدان » عربي ، فاذا المخطوطة تحوي أربع رسائل^(٢) :

- ١ - الأولى : رسالة أبي داف .
- ٢ - الثانية : رسالة أولها : أما بعد حمد الله . وخاتمتها « عبرة لأولي الألباب »
- ٣ - الثالثة : رسالة في أخبار البلدان .
- ٤ - الرابعة : كتاب ابن فضلان . وأوله : « قال أحمد بن فضلان لما وصل

(١) P. A. II المجلد ٦ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، وصف المخطوطة .

(٢) جلد سوم - أذربيست كتب كنيغالة مباركة استاذ قدس رضوى على مشرفا آلاف السلام ، شهر الحرم ١٣٤٥ هـ ، دار الطباعة ، طوس (مشهد مقدس) ، ص ٢٩٩ .

كتابُ الحسن بن بطوار ، ملك الصقالبة الى أمير المؤمنين وآخره : وله يذعن الملوك الذين يصاقبوناه .

وقد كتبت المخطوطة بخط نسخ ، في كل صفحة منها ١٩ سطراً ، وقف ابن خاتون « وتاريخ الوقف ١٠٦٧ هـ » . وأوراقها ٢١٢ ورقة ، آخرها مبتور مخروم ، وهو بذلك ينقص من أوراق رسالة ابن فضلان مع الأسف .

ومنذ ظهور المخطوطة توجه المستشرقون إلى دراستها والتعريف بها ، فنهض العالم التركي زكي وليدي طوغان ، إلى تحقيقها والتعليق عليها وترجمتها . فأكمل ما فيها ، وقابلها على ياقوت وغيره ، وأتبعها بنصوص من الجغرافيين العرب ، ونشرها بالحروف العربية والترجمة الألمانية ، وطبعها سنة ١٩٣٩^(١) . ونشر هو نفسه قبل ذلك مقالاً يبين فيه أهمية الرسالة وفائدة هذا الكشف^(٢) . وظهرت بعد ذلك مقالات في الصحف الغربية عن الرسالة لافائدة من أعدادها هنا كلها^(٣) لأنها في الفوائد اللغوية والتصحيحات الجغرافية .

وفي السنة نفسها صدرت دراسة بالروسية ، برعاية المستشرق الكبير

(١) Ibn Fadlan, s Reiseberichte Abhandlungen Für Die Kunde Des Morgenlandes XXIV, 1939

(٢) JA, 204, 149

(٣) منها مقالة الاستاذ ريتز في الملاحظات على نشرة وليدي ، صدرت سنة ١٩٤٢ في مجلة ZDMG ص ٩٨ - ١٢٦ ، ومقالة بالجزيرة في مجلة Acta Orientalia ، سنة ١٩٥١ ، ص ٢١٧ ، ٢٦٠ ، أشرنا إليها في تمهيدنا ، ومقالة للاستاذ دنلوب Dunlop في مجلة « عالم الشرق » بالانكليزية ، صدرت في مدينة شنتونغ في أربع صفحات ، ومقالة للاستاذين اراي وبلاك R. Frye, R. Blake بالانكليزية كذلك ، صدرت سنة ١٩٤٩ ، في ٣٧ صفحة .

كراتشكوفسكي ، في مدينة موسكو ، وقد جاءت مقدمتها الروسية في دراسة الرحلة وصاحبها ، على إحدى وخمسين صفحة . ثم تلتها ترجمة الرسالة إلى الروسية في مئة وعشرين صفحة ، ورقة فورية ، في ملاحظات قيمة ثمينة جداً ، وأعقبها الملاحق ، والفهارس . وفي آخر هذه الدراسة نشرت صورة شمسية (فوتوغرافية) للرسالة كلها عن مخطوطة « مشهد » بحجم كبير واضح ، ورقت أوراقها ^(١) .

والحق أن هذه الدراسة هي أدق ماصدر عن ابن فضلان ورسالته وهي أصح التعليقات وأقربها إلى فهم النص ، وخاصة فيما يلم بالبلغار وروسية ، فهي تعتمد على المقالات والدراسات التي نشرت قبلها ، وترجع إلى المصادر الحديثة الواسعة ، على قوة في الملاحظة ، ووقوف على العربية . ولكنها جعلت للمستشرقين عامة والروس منهم خاصة ، لأنها اكتفت بنشر الصور الفوتوغرافية « الشمسية » كما هي ، ولم تُعن بطبع النص العربي محققاً ومصححاً بحروف الطباعة العربية ، كما فعل زكي وليدي ، وإنما اكتفت بالصور ، يصحح روايتها القارئ الروسي من التعليقات ، ويبدل بذلك جهداً في التنقل بين المخطوطة وبين الحواشي والتعقيبات . أما القارئ العربي فلن يفيد منها أمراً إلا إذا صحح عن الروسية هذه الصور وقوم العبارات فيها ، وأكمل المبتور والناقص والمخروم بيده ، وفي ذلك جهد جديد لا ينهض به إلا ناشر أو محقق ، وليس هذا من عمل القراء في شيء .

(١) من منشورات المجمع العلمي بالاتحاد السوفيتي بعنوان ، رحلة ابن فضلان إلى البلغار ، مع مقدمة المستشرق الأكاديمي أغناطيوس كراتشكوفسكي في موسكو ١٩٣٩ ، ١٩٣٠ صفحة ٣٣ - صورة شمسية .

وإذن فرسالة ابن فضلان طبعت مرة واحدة بالحروف العربية على يد زكي وليدي طوغان مع الترجمة والتعليق، ونشرت صورها الشمسية مرات ، وصدرت عنها دراسات ومقالات في الألمانية والروسية ^(١) والانكليزية: وهذه الطبعة والصور والدراسات هي في الغالب مفقودة في خزانتنا العربية العامة ، لا تكاد تملك منها طبعة أو دراسة ، فكأن الرسالة لم تنشر أو كأنها بقيت مخطوطة. ومع ذلك فإن طبعة زكي وليدي الوحيدة تحتاج إلى تصحيح وعناية وتقويم ، فهي تنقص بالأخطاء ، كما أشار المعلقون من المستشرقين ، وهي على أخطائها نادرة لاتصل إليها الأيدي لأنها ظهرت في مجلة ألمانية من الصعب الحصول على نسخة منها ، ونشرها نفسه لا يكاد يملك فيما قال لنا إلا نسخته الخاصة .

وبذلك أصاب ابن فضلان ظلم كثير في الأقطار العربية ، فلم ينهض له ناشر أو محقق يجمع شتات التعليقات والمعلومات ، ويعود إلى الصورة المخطوطة ، فيتناولها بالقراءة والدراسة والتقويم كلمة كلمة ، وينشرها في جمهور المثقفين المثوقين إلى تراثنا الخالد ، وخاصة في هذه الأيام ، ليعرف العرب أي يد كانت لهم منذ القرن العاشر للميلاد في نصرة البلغار على الخزر ، وعون هؤلاء الأقوام على أطراف الفولغا ضد الخزر اليهود ، فقد طغت اليهودية على هذه الأمة وهددت كيائها ، وسلبت نساءها ، وأذلتها في عقردارها ، وفرضت عليها رسوماً وضرائب كانت تدفعها عن يدي وهي صاغرة . فهب العرب من بغداد لنجدة القوم المستضعفين ، وأرسلوا إليهم

(١) آخر الدراسات عن ابن فضلان ، صدرت في خاركوف سنة ١٩٥٧ بناية كوفالفسكي في ٣٠٩ صفحات بحجم الربع ، مع ٢٣ صفحة للنص العربي في صورة المخطوطة ، وفيها شروح وتعليقات بالروسية .

المال ، ووعدهم بتحسين الحدود ، وقدموا لهم ما يملكون من وسائل الحضارة بما يُعينهم على العيش الكريم ، فكانت هذه البعثة الرسمية التي وصف مهمتها ابن فضلان في رسالته ، ورسم المراحل التي اجتازتها ، والعقبات التي مرت بها . فهي وثيقة سياسية تاريخية هامة ، تُعني بها الغربيون من جانبهم وبقي على العرب أن يُعنعوا بها ، وهم أصحاب الفضل واليد ، منذ عشرة قرون كان الغرب قبلها يتخبط في الجهل والظلم ، وهذا سبب من الأسباب التي دفعتنا إلى العناية بها وتحقيقها .

طريقتنا في التحقيق

لهذا نهضنا بالمهمة منذ سنة ١٩٥١ ، نزولاً على إشارة الرئيس المرحوم العلامة محمد كرد علي ، واتخذنا الصورة الشمسية للرسالة أصلاً للتحقيق . فنقلناها ورحنا نقرأ عباراتها لنفهم منها ما يقيم ألفاظها ، فإذا بها قد كتبت بيد ناسخ عاش في القرن الحادي عشر للهجرة ، متأخر ، لم يفهم الرسالة ولم يفقه مراميها ، فتصحفت عليه وجوه القراءة فرسمها كما استطاع ، ولم يكن من السهل عليه أن يفهم كل ما فيها ففيها من الصعوبات ما يشق عليه تذليله . ويبدو أنه كان ضعيفاً في العربية ، لا يعرف قواعد النحو البسيطة ، مثل قاعدة الأعداد ، أو المفعول به أو الممنوع من الصرف^(١) ، وذلك من اليسير رده وتصحيحه على الناشر . والأمثلة عليه كثيرة لا نريد أن نثقل بها هذه المقدمة ، ففي حواشينا أدلة متوفرة كافية للبرهان على

(١) أما عن طريقة النسخ في رسم الحروف والكلمات فقد عرضنا صفحات بالتصوير كإناج لخطه جملانها بعد هذه المقدمة .

ما نقول . وليس هذا وحده ، وإنما في الرسالة أشياء لم يفهمها فصورها كما هي ، وأعلام لم يسمع بها ، وألبسة لا يعرفها ، فهو ناسخ ضعيف ، لا يرقى إلى مرتبة النسخ المثقفين .

ومن هنا كانت صعوبة القراءة ، فعمدنا قبل كل شيء إلى مقابلة ما في المخطوطة على ما نقل منها ياقوت الحموي إلى معجم البلدان ، فإذا بياقوت يتفق في كثير من الروايات ويختلف في قليل ، وذلك لأنه وقع على نسخة قريبة من هذه النسخة أشد القرب ، ولعل هذه المخطوطة من حفيداتها ^(١) ، لولا شدة تصحيفها .

وشيء آخر أصاب هذه الرسالة فقد عدا عليها الإهمال ونزلت بها الرطوبة ، فطمست كلمات منها في كثير من مواضع الصفحات ، وحلت بها الأرضة فمحت مواضع أخرى ثم تناقلتها الأيدي فمزقت آخرها ، على عادة المخطوطات ، لقلة التجليد وضعف العناية بالمخطوطات . أما ما وقعنا عليه في ياقوت بما يكمل المتبور ويوضح المطموس فقد أعدناه إلى مكانه وملأنا فراغه ، وجعلناه بين معقوفتين ؛ دلالة على إضافته من ياقوت . وأما ما لم نقع عليه في « معجم البلدان » فقد أعملنا فيه التخمين والحدس ، وجعلناه كذلك بين معقوفتين . وبقي أمر هام نحب أن نقف عنده ، وذلك هو آخر النسخة فهي تقف عند الورقة (٢١٢ ظ) ، وتختتم بثلاثة سطور جاء فيها الحديث عن الخزر ، بصورة مفاجئة ، من غير تمهيد . وقد

(١) ذكر ياقوت في معجم البلدان مادة « مرو » أنه أفاد من خزائن هذه المدينة وأقام بها ثلاثة أعوام ينزل ويقتبس ، فلعله رأى رسالة ابن فضلان في هذه المدينة .

عودنا ابن فضلان أن يقص علينا أمر انتقاله من بلد إلى بلد ومن مملكة إلى مملكة وأن يشير إلى الطريق التي سلكها ، والأيام التي قضاها ، والطريقة التي قوبل بها . ولكنه هنا بعد أن ينتهي من الحديث عن ملك الروس وعاداته ينتقل فجأة إلى ملك الخزر ، فيقول : « فأما ملك الخزر ... » فهل يصف هذا الاقليم بعد عودته من الروسية ، أم يصفه في طريق الذهاب إليها ، أم يوازن بين الروس والخزر في عاداتهم ؟ إنه وضع خطته في عنوان رسالته فقال : « يذكر ما شاهد في بلد الترك والخزر والروس والصقالبة والباشغرد وغيرهم » ، وقد تحدث عن خوارزم ثم عن الترك وقبائلهم وعاداتهم وأطال في ذلك ، ثم عن البجناك ، ثم الباشغرد ، ثم بلغ إلى ملك الصقالبة ، فأسهب في الحديث عن مهمته عندهم وعند مليكهم وعن طبيعة بلادهم وعجائبها . فاذا رأى الروس وافوا في تجارتهم إلى « نهر إاتل » عند الصقالبة تحدث عنهم ، وقصّ حكاية الدفن فأفاض في صفحات ختمها بكلامه عن ملك الروس ، وإذا به يتكلم عن ملك الخزر في ثلاثة سطور بترت بعدها الأوراق ، وحل محلها الشك . وتكلم المستشرقون وتناقشوا في هذا الأمر كثيراً

وقد رجعنا إلى ياقوت نستجد به كما استجدوا ، فرأينا أنه يتحدث عن الخزر فيقول^(١) : « وقال أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى الصقالبة في رسالة له ذكر فيها ما شاهده بتلك البلاد فقال : الخزر اسم اقليم من قصبة تسمى إاتل ، وإاتل اسم النهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار ... » فصدمننا صدمة عجيبة ،

(١) معجم البلدان ، الطبعة الأوربية ، ٢ / ٤٣٦ .

لأن ابن فضلان لم يعودنا الطريقة الجغرافية في الحديث عما زاره ، وإنما يقول كما رأينا أنه انتقل فرأى كذا ، ثم وصل إلى بلد كذا ، فهو حين يصل إلى الباشغرد يقول : « فوقفنا في بلد قوم من الأتراك يقال لهم الباشغرد ، فحذرناهم أشد الحذر » وحين أراد الحديث عن الصقالبة قال : « فلما كنا من ملك الصقالبة وهو الذي قصدنا له على مسيرة يوم وليلة ، وجه لاستقبالنا ... » وتحدث عن الروسية فقال : ورأيت الروسية ، وقد وافوا في تجارتهم ، ونزلوا على نهر إتل فلم أر أتم منهم أبداً ... » فليس من المعقول في شيء أن يبتدىء حديثه عن الخزر بذكر الاقليم وتعريفه والنهر وجريانه ، ولا يحدد لذلك بقول كأقواله السابقة . ولكن ياقوت عودنا الصدق وأمانة النقل ، وهو في كل ما نقله إلى معجمه عن ابن فضلان كان ثقة وكان يطابق ما في مخطوطتنا ، فكيف وقعت منه هذه النسبة إلى ابن فضلان ؟

إن الاصطخري وابن حوقل يتحدثان عن الخزر^(١) ، ويقولان الكلام الذي قاله ياقوت في النصف الأول كلمة كلمة ، لا يكادان يختلفان عنه إلا في بعض الكلمات ، وإلا فيما تخطيء فيه العين حين النقل ، أو يميله الحفظ واللب حين الكتابة . فالنصف الأول هو هو في الكتابين وفي ياقوت يتحدث عن الملك ، ثم عن الفرق الدينية ، والحكام والقضاة وشكل الأتراك وهيئاتهم . ويبدأ الاختلاف في النصف الثاني عند الحديث عن خاقان الخزر ، والدخول عليه فين فصل الكتابان عن ياقوت

(١) كتاب مسالك الممالك للاصطخري وهو معول على كتاب صور الأنفال للبغلي ، ط . ليدن

١٩٢٧ م ٢٢٠ - ٢٢٥ ، وابن حوقل ، ٢٠ / ٣٨٩ .

تماماً في هذا الموقع ، فكأنه اتفق معها في الشق الأول فحسب . وهو في هذا القسم الأول يتحدث عن مساجد لم يرها ابن فضلان حتماً فانما جاء ليشرح بالاسلام وليبني منبراً . وهذا لا يتفق مع مفهوم رسالته ، وإنما قد يتفق لمن وصفها بعده وتأثر بعمله وتبشيره ، فليس القسم الأول من انشاء ابن فضلان وليس من رسالته .

والنصف الثاني عند ياقوت يتحدث عن ملك الخزر فيفتق والسطور الثلاثة التي بقيت في المخطوطة عند ابن فضلان ، ويتابع وفاق السطور المطموسة في الورقة ، فكأنهما متحدان منذ هذا الكلام فحسب ، وكأن القسم الأول نقله ياقوت عن الاصطخري وابن حوقل ، ونقل الثاني عن ابن فضلان ، ونسي أن يذكر مصدره في الأول فجعل النصين معاً باسم ابن فضلان لغلبة الشعور عنده بأن الرجل زار هذه البلاد فتحدث عنها هذا الكلام كله . وهنا نقلنا القسم الثاني فقط مما أثبت ياقوت متمماً لعبارة ابن فضلان ، ووصلنا بين السطور الثلاثة عندنا وتمة النص من ياقوت ، وجعلناه ذيلاً للمخطوطة ، كأنه يعوض علينا الورقة الضائعة أو الورقتين الضائعتين .

وبعض المستشرقين يظن أن نص الاصطخري منقول عن ابن فضلان في الأصل — والاصطخري ^(١) كان حياً في سنة ٣٤٠ هـ ، بعد حوالي ثلاثين سنة من رحلة ابن فضلان — فأثبتته ياقوت على أنه له . وبعضهم يرى أن ابن رسته والبكري

(١) لم يكتب أحد عن حياة الاصطخري ، حتى أن الناشر المستشرق لم يجد نورا يهتدي به في الحديث عنه ، ولكنه رأى أنه التقي بابن حوقل سنة ٣٤٠ هـ .

والاصطناعي والمسعودي يشبهون آراء ابن فضلان فيما وصفوا من تلك البلاد ، ولعلمهم نقلوا جميعاً عن الجيهاني ، وقد ألف كتابه بعد سنة ٥٣١٠ هـ ، أي بعد رجوع ابن فضلان من رحلته . وكتاب الجيهاني ضاع ولم يصل إلينا لنوازن بينه وبين مؤلفنا ابن فضلان .

ونحن لانتحقق في الجغرافيين ، ولا نكتب في صدد مادة الخزر نفسها ، ولكننا وجدنا ثلاثة سطور في آخر المخطوطة عندنا ، وقعت هي نفسها في ياقوت تبدأ بحثاً أتم نقله ياقوت ، فنقلناه عنه . واطرحنا مانسبه إلى ابن فضلان في الشق الأول لأنه لا يشبه أسلوب صاحبنا ولا يلمّ برحلته في شيء ، وفيه إعادة وتكرار بين الشق الأول والثاني في الحديث عن خاقان الخزر ، فكان ياقوت جمع بين مصدرين على عادته ، ولكنه نسي أن يشير إلى مصدر الشق الأول ، فجعل الاثنين لابن فضلان — كما قلنا — .

ولعل القارئ يعذرنا في الاطالة والاسهاب ، فنحن أردنا أن نتحقق من من نسبة الرسالة إلى صاحبها وصحتها ، بعد أن تحققنا من وقوع الرحلة ، فأثبتنا وقوع النص في ياقوت وحده مشابهاً لما عند ابن فضلان في أكثر ما نقله . وليست المهمة سهلة كما تبسطها هذه السطور في يسر وسهولة ، وإنما استغرقت زمناً ليس باليسير وجهداً ليس بالقليل ، لأننا ولا نتكلف في امتداح ما فعلناه ، فقد نخطيء في هذا التخمين وفي هذا التقدير^(١) ، ولكننا نريد أن نضع المشاكل بين يدي المطالع

(١) رأينا أن المستشرقين الروس فعلوا مثل هذا فألصقوا نص الخزر من الشق الثاني برسالة ابن فضلان وترجموه مع الرسالة .

كما وقعت لنا ، وأن نشركه في الرأي ليكون على اطلاع بما يقرأ من حيث النسبة والصحة والدقة ، فلا يتهمنا بالاسراع والاغراق في التفاؤل ، وإنما يعرف أننا شككنا في كل كلمة قرأناها ، ورددناها إلى أصلها من العربية أو التركية أو الفارسية وأننا رجعنا إلى المعاجم على اختلاف ألوانها ، تمدنا بما عندها . وعدنا إلى المستشرقين نسألهم ونقرأ تعليقاتهم ، ونأخذ منهم بما اتفقوا عليه . ولكنهم اختلفوا في كل شيء من هذه الرسالة ؛ فقد وقفوا عند اسم ملك الصقالبة ، فهو الحسن حيناً وهو « المش » حيناً آخر ، وهو مسلم قبل أن يفد ابن فضلان ، بل هو أسلم بعده ، فأبوه كافر اسمه يلطوار أو بلطوار أو « فلاديمير » أي « أمير فولاذ » . وهم يقفون في حيرة كما نقف ، لضعف المصادر عن امدادهم بتاريخ تلك البلاد لذلك العصر . ولهذا بسطنا في التعليقات أمر شكهم وحيرتهم ، وتركنا للقارئ الحكم بعد ذلك .

ولن ننسى كذلك ما بسط هؤلاء العلماء من شك في تمام هذه الرسالة وكالها فقد رأى بعض أنها موجز الرحلة ، بدليل كلمة : « قال » التي تبدأ كل مقطع طويل . ولعلمهم على حق في ذلك ، ولكننا نجد المؤلفين القدماء يكررون هذه الجملة في كتبهم التي لا ينالها شك في تمامها . فعسى أن يجود الزمان بعالم يكتشف النسخة الكاملة للرحلة ، فيصحح ما وقعنا فيه من خطأ ، ويكمل ما بدأنا به . فقد عرفتُ منها فصول أول الأمر حتى سنة ١٩٢٤ — كما قلنا — ، ثم عرفت الرسالة كما نشرها مبتورة في آخرها ، والزمان كفيف بأن يظهرها كاملة مفصلة بعد سنين — إن شاء الله — فتزول هذه المشكلة ويموت هذا الشك .

أما أسماء الأنهار فهي مشكلة كذلك ، فقد تغيرت مواقعها وأسمائها وحار المستشرقون كذلك في ردها إلى أسمائها اليوم ، لذلك ذكرنا ما انتهى إليه أهل الصناعة في جغرافية تلك البلاد ، ولسنا منهم في حال إلا أن نكون ناقلين مستنيرين بهدي غيرنا ، ننتظر الصواب من كل فم ، والتصحيح من كل عالم واقف على الموضوع .

فنحن لا ندعي أننا فعلنا كل شيء ، ولكننا على ثقة بأننا صنعنا ما كان في إمكاننا ، فاتخذنا الصورة الشمسية المكبرة عن كتاب كراتشكوفسكي وبسطناها على الورق ، وعلقنا عليها ، وصوَّبناها كما انتهى إلى عامنا . وقسمناها إلى مقاطع وإلى فصول ، تمشيًا مع طباعة اليوم ، من غير أن نبدل في ترتيب المخطوطة وفي كلماتها . فلقد أثبتناها كما هي مع إضافة يسيرة يقتضيها العلم الحديث من وضع الترقيم في الفواصل والنقط والأقواس وأضفنا البسملة في صدر الرسالة والعناوين الموجزة بين الأقواس المعقوفة ، وجعلنا أوراق المخطوطة معينة ، ووضعنا أرقامها بالحواشي بين معقوفتين . وضبطنا بعض كلماتها ، وفعلنا كل ما يقربها إلى العرض الواضح ، والطباعة المبسطة .

ونحن نعرف أن نشر النصوص قد اتخذ على يد بعض شبابنا^(١) قاعدة أفسدته حين أشاروا بأن نطبع المخطوطة كما وصلت من غير تعليق أو شرح ، فلو قد فعلنا ذلك لوقف القارئ دون الفهم ، وجعلناه أمام مشكلة فهم النص ، وبعثنا منه

(١) لقد أرسل بعض الشباب قواعد في تحقيق النصوص « على قلة تجربتهم » ونحن نرجع إلى الغداء من مدينتنا فقد ساروا في تحقيق الأحاديث سيرة يقلدها الغربيون اليوم لأنها عادة جاهلة .

الخيبة والقلق ، ودفعناه عن جمال الرحلة ، وكأننا صنعنا كالمستشرقين فصورنا المخطوطة تصويراً فحسب . ولما كان من همنا أن نقر به منها وأن نجيبه إليها وأن نعرفه إلى النصوص القديمة وإلى تراثنا العبقري ، أضفنا في الحواشي ما قد يستثقله بعض ويرمي به بعض ، ولكنه لا يفسد النص كما يترأى لهؤلاء الشباب وإنما ينير جوانبه . والنور في الشرح خير من الضلال في الصمت وال سكوت عن المشاكل وإيثار العافية .

ونحن بعد هذا كله نرجو الأجر عند الله وحده فيما صنعنا فقد عملنا لخدمة الجيل الجديد ، في عصر اليقظة العربية ، وقد تلفت إلى ماضيه ليتثبت من مفاخر أجداده وليتأكد من ضخامة ما صنعوا لأجل لغته وبلاده ، لعله ينهض بمثل ما نهضوا به فيصنع لمستقبلنا كما صنعوا لماضيها ، ويتكافأ عند ذلك ماض ومستقبل ، ونعود لمصافحة النجوم واستقبال المفاخر ونغدو من جديد أمة حية تستحق الخلود والاكبار كما كنا ، فقد سطرنا صفحات البقاء والعبقرية في قائمة الأمم وخارطة العالم . فعسى أن تجد هذه الصفحات عند العرب ما وجدت عند الغرب من اهتمام لائق . وعند ذلك نجد السلوان والعزاء عما بذلنا من وقت وجهد وصحة ورحلة ، والحمد لله على مايسر وأعان .

دمشق الشام في ١٨ ذي الحجة ١٣٧٨ هـ

الموافق ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٥٩ م

محمد سامي الدهان

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة



ص	: صفحة
ج	: جزء
ط	: طبعة
و	: وجه الورقة من المخطوطة
ظ	: ظهر الورقة من المخطوطة
	مخطوطة الأصل : أو نسختنا : هي مخطوطة مشهد الوحيدة
ياقوت	: معجم البلدان لياقوت
[]	: وضعنا بينهما ما رأينا إضافته للسياق ، إما لطمس في المخطوطة أو غموض ، أو لإكمال نقص سواء أدلت عليه النسخة أم لم تدل
	: للدلالة على نهاية الصفحة وبده الصفحة التالية في مخطوطتنا
[٣٣]	: وضعناهما في الهامش ، وبينهما الرقم المتسلسل للدلالة على رقم الأوراق في مخطوطتنا ، وهي نسخة مشهد .



(وأما المختصر من أسماء المؤلفين وآثارهم ففي الفهارس آخر الكتاب عون لبيانه والتفصيل فيه)

رسالة ابن فضال
عن المخطوطة الوحيدة في مدينة مشهد

نماذج

الأصول المعتمدة في التحقيق

والأخبار ملوكهم ونحوهم في كثير من أحوالهم قال ابن فضلان وصل كتاب الحسن بن
الخطار ملك الصقالية إلى أمير المؤمنين الموفق وبسط فيه البعثة إليه بمن يذهب في الدين
ويعرفه شرايعهم وسلام وحسن له فيجزا وينسب له سببا يقيم عليه الدعاء له في بلاد
وجميع مملكته وبسطه مناجاة من شخص فيه من الملوك المحققين لم يجيب إلى ما سأل من
ذلك وكان يستمر فيه فذهب إلى الحرير في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
المدة والاشرف على القضاة والمعلمين وسبب له بالمال المهور إليه لما ذكرناه بالحجرات
على القضاة والمعلمين على القضاة في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
ابن الفرات وكان الرسول في القضاة في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
باشقوا الخزائن في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
التركي وداره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
الفرق ولغوته وتوالت في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
الحبيب كطبعة عشر ليلة من صفر سنة ١٠٠٠ فاقضينا بها شهرين وأياما واحدا و
ارطنا بجوارحنا في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
حتى صرنا إلى حوان في قضاها بوبس وسرنا منها إلى قريسين في قضاها بوبس ثم رطنا
فمرنا حتى وصلنا إلى داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
ومنها إلى الرمي فاقضينا بها شهرين وأياما واحدا و
الرمي ثم رطنا في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
رطنا في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك
رطنا في داره إنا بغرة الكتاب عليه وتسليم بالهوك

نموذج من مخطوطة ابن فضلان الوحيدة بمشهد (طوس) الورقة ١٩٧ وهي في أولها
(انظر ص ٦٧ من طبعتنا هذه وما بعدها - صورناها عن موسكو)

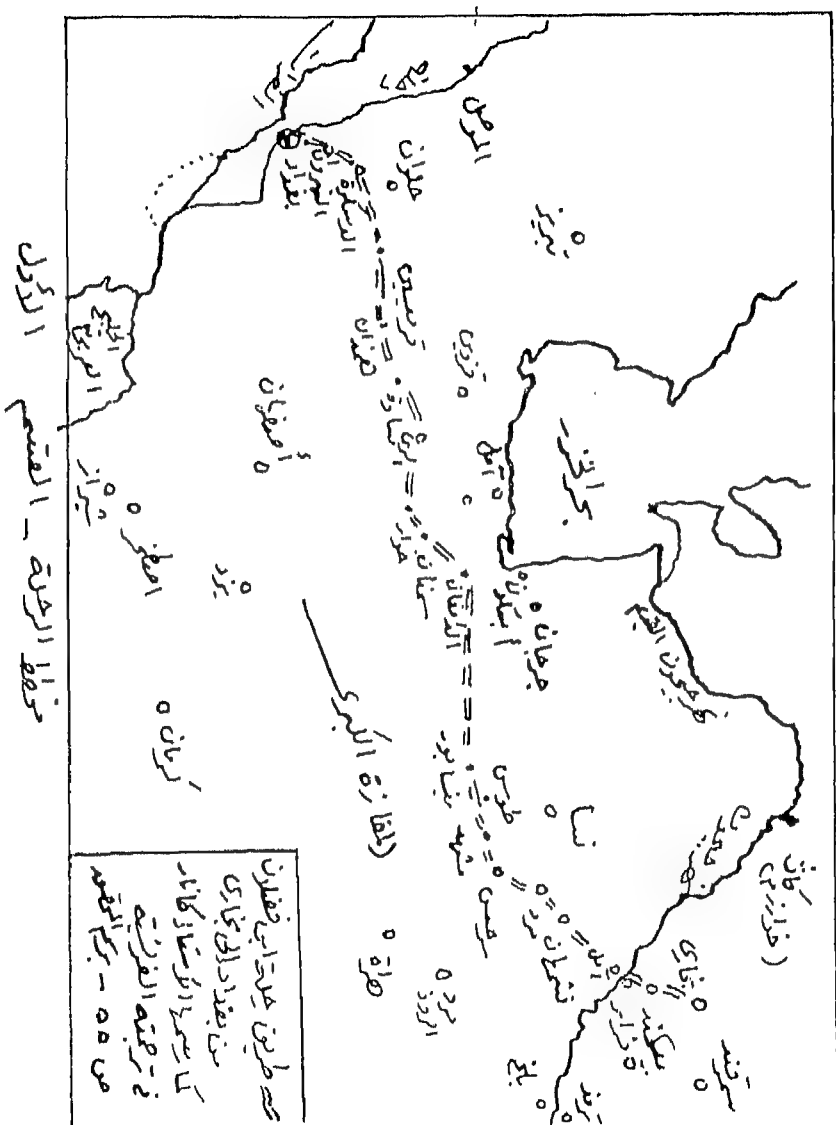
ناذوها ١١١ انمخو السفينة فنزع راسها عليها ودفعتها الى البحر
 التي تقبلها وزعت خطالين كانا عليها ودفع
 هما اثنتا عشرة المرأة المعروفة بملك الموت ثم ادخلوها الى السفينة
 فلم يدعوا بها الرجال معهم التراس والخشب ودفعوا اليها ذراعا بيضا لغت
 عليه وشربته فقالوا للرجل انما تودع صواحيبا بذلك ثم دفع اليها دج آخر فخذته
 هلولت الخنا والهجوز تسحبها على شربة والدخول الى القبة التي فيها مولاها فرائها وتود
 بطلت وارادت دخول القبة فادخلت بينما وبين السفينة فاختطت العجوز
 راسها وادخلت القبة ودخلت معها واخذ الرجال يضربون الخشب على التراس من
 لا يسمع صوت صياحها فخرج هان الرزق ولا يظلم الموت مع موالهين
 ثم دخل الى القبة مستدجالا سر باشرهم الجارية ثم اضجعوها الى جانب مولاها
 واسلكا اثنا عشر طيها واثنا عشر يد بها وجعلت العجوز التي تسمى ملك الموت في غمها فجلت
 الى اثني عشر لحيها بانه واقبلت ومعها جهم عريض الفصل ثامن
 والرجلان خنقانهما بالجل حتى ماتت ثم وافق اذ
 واشعلها بالنار ثم مشى القهقري قفاه الى السفينة ووجه
 من سبعة المشعلتين به واحدة يد الاخرين على باب اسنة وهو غريان
 في احرق الخشب المعيا الذي تحت السفينة ثم وافق الناس بالخشب والخطب ومع
 واحد خشيته نذاهب راسها فلقبها بذلك الخشب وباخذ النارية الخطب
 راسها والنارية حجة امية راس عطاء هامة
 صطرم تسعها و

في حمان الذي في...
 لك قال انكم بعدون الى احبا للناس اليكم والكرههم
 الى ابي وياكله الثياب الهوام والدود ومن خرقه في حله يمدح
 وساعته فبنت عن ذلك فقال من يحبه به قد بعث الروح مع
 على الحقيقة... حتى صارت السفينة والطب والحجارة والموتى وماذا لم يمدوا
 ثم بنوا على موضع السفينة قبرا لخرجوها من الدهر شيئا ماثل المدور ويصوبوا
 ويدخلون في شبه كس من خذلك وكتبوا اسم الرجل واسم الكلدوس وانصرفوا
 نالوا وسري... الكلدوس ان يكون معه في... ربيع ما به رجل من صناديد اصحابه
 لانه عنده منهم ممرت بموته يقتلون منه وجه... واحد منهم جارية تحبته وتغسل
 راسه وتضع له ما ياكله ويشرب وجارية اخرى تطعمه... الاربع فابتهت...
 سرين وسرير عظيم مضع بنفيس الطول... يجلس معه على السرير...
 ورها... الواحد منهم من اخيه الذي ذكرنا ولا يزل عن...
 حاي... طشت واذا اراد الركوب قدم دابته الى السرير... اذا
 انزل قدم دابته حتى... دابته وله خليفة يسوس الجيوش...
 في رعيته... فاما ملك الحور واسمها خاقان فانه لا يظهر الا في كل...
 يقال له خاقان الكبير ويقال لخليفته خاقان به وهو الذي يقرن الجيوش...
 ويدبر امر المملكة ويقوم بها ويظهر ويعزوا وله مدعى الملك الذي يهاضونه...
 اما...
 سبب...

نموذج ثالث من المخطوطة الوحيدة ، الورقة ٢١٢ ظ وهي آخر صفحة فيها
 (انظر ص ١٦٤ - ١٦٩ من طبعتنا هذه)

١٥ M id لاكن غنى
١٥ M b غير مذكورة
١٥ M a ترجع الى آفة

لوحة رقم ٥



لوحة رقم ٦



القسم الثاني - مخطوط الأمان التي وردت في حجة ابن خضلان، كما سيحل الأستاذ كنانة في الترجمة
من بخاري إلى بلخار

رِسَالَةُ ابْنِ فَضْلَانَ

أَحْمَدُ بْنُ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ رَاشِدِ بْنِ حَمَّادٍ

في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالية
سنة ٣٠٩ هـ - ٩٢١ م

محققاً وعلماً عليها وتقديم لها
الدكتور سامي الدهان
عضو الجمعية العلمية العربية لدراسات

هَذَا كِتَابُ

أَحْمَدَ بْنَ فَضْلَانَ بْنِ الْعَبَّاسِ بْنِ إِشْدَ بْنِ حَمَّادٍ

مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ رَسُولِ الْمُقْتَدِرِ إِلَى مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ

[١٩٦ ظ]

بِذِكْرِ فِيهِ مَا شَهِدَ فِي بِلَدِ التُّرْكِ ، وَالتُّخَزَرِ ، وَالرُّوسِ ،

وَالصَّقَالِبَةِ ، وَالْبَابِغَرَةِ ، وَغَيْرِهِمْ ؛ مِنْ اخْتِلَافِ

مَذَاهِبِهِمْ ۥ وَأَخْبَارِ مَلُوكِهِمْ وَأَهْوَالِهِمْ

فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِمْ

[١٩٧ و]

[فتحة الكتاب]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١

قال أحمد بن فضل بن

لما وصل كتاب^(١) المش^(٢) بن يلطوار ملك الصقالبة^(٣) إلى أمير المؤمنين المقتدر^(٤) ، يسأله فيه البعثة إليه ممن يفقه في الدين^(٥) ، ويعرفه

(١) لم يقع الفريون على كتاب ملك الصقالبة ، ولم يعرفوا فعوا ، والتواريخ العربية لم تشر إليه بشيء ، ولو وصل إلينا لكان وثيقة هامة في السياسة لذلك الزمان .

(٢) في الأصل بالخطوط هنا : « الحسن بن يلطوار » - وفي الورقة ٢٠٢ ظ بعد قليل : « المش بن شلكي صهر الأتراك » . وفي ياقوت ١ / ٧٢٣ : « كتاب المس بن شلكي يلطوار » - وقد ناقش المستشرقون أصل هذا الاسم الذي صحتف على الزمان ، فرأى بعضهم أنه المش بن يلطوار ، ورأى آخرون أن يلطوار ربما كانت فلادير أي أمير فولاذ ، وللتفصيل انظر مادة « بلغار » في دائرة المعارف الإسلامية للمستشرقين ، وقد اخترنا رواية الخطوط في الموقع الثاني فجعلنا الاسم « المش بن يلطوار » .

(٣) الصقالبة أو الصقالية ، هم السلاف أو السكلاف ، كان العرب يجلبون من بلادهم الرقيق ، وأرضهم فيما يرى الاصطخري (ص ٩ طبعة ليدن ١٩٢٧) عريضة طويلة نحواً من شهرين في مثلها ، وبلغار الخارجة هي مدينة صغيرة ليس فيها أعمال كثيرة ، واشتهارها لأنها فرضة لهذه الممالك . والروس يقوم بناحية بلغار ، فيما بينها وبين الصقالبة . وأما الفريون فلم يستطيعوا تحديد مملكة الصقالبة ، ولكنهم يرون أن البلغار هم الصقالبة أنفسهم .

(٤) المقتدر بالله هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ ، وقيل سنة ٣٢٠ هـ - انظر مصادر التاريخ عنه ، والفخري طبعة أوربة ، ص ٣٠٥ وما يليها ، وقال المصمودي إن الجشباري ألف في المقتدر كتاباً نحو ألف ورقة .

(٥) يرى بعض المؤرخين أن الصقالبة دخلوا الإسلام قبل هذا ، ولكن شيخ الربة ، في نخبة الدهر ط . لبيسك ١٩٢٣ ص ٢٦٣ ، يوافق ما جاء في رواية ابن فضال فيقول : « وأما البلغار فنسبوا إلى الصنيع ، وهم مسلمون أسلموا أيام المقتدر ، وبعث منهم إلى المقتدر يطلب فقياً يعرفه قواعد الإسلام -

شرائع الإسلام ، ويبنى له مسجداً ، وينصب له منبراً ليقم عليه الدعوة له في بلده وجميع مملكته^(١) ، ويسأله بناء حصن يتحصن فيه من الملوك المخالفين له فأجيب^(٢) إلى ما سأل من ذلك .

وكان السفير له^(٣) نذير الحربي^(٤) فندبت أنا^(٥) لقراءة الكتاب عليه وتسليم ما أهدى إليه ، والإشراف على الفقهاء والمعلمين^(٦) . وسبب له بالمال المحمول إليه ، لبناء ما ذكرناه وللجراية على الفقهاء والمعلمين ، على الضيعة المعروفة « بأرتخشمين »^(٧) من أرض « خوارزم »^(٨) من ضياع ابن الفرات^(٩) .

— فأجابه إل ذلك . ثم وصل جماعة من البطار إلى بغداد يريدون الحج ... « . وياقوت ١ / ٧٢٣ يذكر اسلامهم في عهد المعتز ويقل إليه لم يقف على السبب في اسلامهم .

(١) في ياقوت ١ / ٧٢٣ : « في جميع بلده وأقطار مملكته » .
(٢) في الأصل المخطوط : « أجيب إل » بغير فاء المصطف ، وفي ياقوت ١ / ٧٢٣ : « فأجيب إل ذلك » ولهذا أضفنا الداء .

(٣) في الأصل : « وكان السفير به » — وفي ياقوت ، بالصفحة المذكورة : « وكان السفير له » فأخذنا برواية ياقوت .
(٤) في ياقوت : « نذير الحزمي » بالراء المعجمة ، وفي ابن تفرعي بردي ط . أوربة ٢ / ١٨٤ : « نذير الحزمي » بالراء المهملة — انظر ابن جرير الطبري طبعة معمر ١٢ / ٣٠ . وقد جاءت في بعض المصادر الحزمي بالحاء المعجمة .

(٥) في الأصل : « فندت أنا » ولا معنى لها : فاعلمنا : « فندبت أنا » — وفي ياقوت : « فبدأت أنا بقراءة » ولكنها لا تفى بما يريد الكاتب ، والمستشرقون يقترحون سوراً كثيرة ، لانرى اثباتها هنا .

(٦) يضيف ياقوت هنا ١ / ٦٨ : « ليدبض عليهم الخلع ويعلمهم الشرائع الاسلامية » وهي من عند ياقوت بغير شك .
(٧) في الأصل : « بأرتخشمين » وهي مصدفة وصوابها كما في ياقوت ١ / ١٩١ : « أرتخشمين » بالفتح ثم السكون ولاء مفتوحة ، وطاء معجمة مضبوطة وشين ساكنة معجمة وميم مكسورة ولاء مفتوحة ونون : .. مدينة كبيرة ذات أسواق عامرة ، في قدر لصبيين ، وهي من أعمال خوارزم من أعاليها ،

بينها وبين الجرجانية مدينة خوارزم ثلاثة أيام ، فيها برد شديد « ولعلها أصبحت مدينة في عهد ياقوت ، بعد ثلاثة قرون ، وقد زارها بنفسه ، ويرى المستشرق فرابي أنها : « Artahusmitan » .

(٨) انظر في خوارزم معجم ياقوت ٢ / ٨١ ، وخوار منتها الحزم ورزم منتها الخبز .

(٩) ابن الفرات هو أبو الحسن علي بن الفرات ، من أجل الناس وأعظمهم كرمًا لزماله ، كان وزيراً —

وكان الرسول إلى المقتدر من صاحب الصقالبة رجل يقال له عبدالله ابن باشتو الخزري^(١). والرسول من جهة السلطان سوسن الرسي^(٢) مولى نذير الحربي، وتسكين التركي، وبارس الصقلابي^(٣) وأنا معهم — على ما ذكرت — فسلمت إليه الهدايا، له ولامرأته ولأولاده، وإخوته، وقواده^(٤)، وأدوية كان كتب إلى «نذير» يطلبها.

-
- للمقتدر خلال الفترة بينه وبين ابن المتمرز، ثم قبض عليه المقتدر، وصادر ضياعه، وهذه بيننا، فجعلها هنا جارية للبيئة - انظر تاريخ الرسل والملوك للطبري، طبعة مصر ١٢٠٦ هـ، والفخري طبعة أوربة س ٣١٤.
- (١) في الأصل: «باشتوا» ولم نقف على ترجمة له.
- (٢) في الأصل: «سوسن الروسي» - وفي المصادر: «الرسي»، ولعله حاجب المكتنى، سمي نسبة إلى نهر الرس، وهو عند الإدريسي نهر أتل أي الفولغا عند الروس.
- (٣) هو بارس الحاجب غلام اسماعيل بن أحمد صاحب خراسان، جاء ذكره في ابن حوقل ٢ / ٤٧١ قال إنه هرب من مولاه أحمد بن اسماعيل، فنزل المراق بمدة هالت السلطان، والخليفة إذ ذاك المقتدر، فلم يكن بمفرده السلطان بجيش مثله يوازيه - انظر كذلك تجارب الأمم ٥ / ٤.
- (٤) سنرى فيما بعد أنه ذكر تسليم الهدايا من الطيب والثياب والؤلؤ، ولم يذكر الأدوية. وهو هنا يروى في البدء ما فعله خلال الرحلة، فقد كتب تقريره هذا أو رسالته بعد عودته من مهمته وقيامه بما كلف به.

[العجم والأتراك]

فرحلنا من « مدينة السلام » يومَ الخميس لحدى عشرة ليلة [في فارس]
 خلت من صفر سنة تسع وثلاثمائة^(١). فأقمنا « بالنهروان »^(٢) يوماً واحداً
 ورحلنا مجتدين حتى وافينا « الدسكرة »^(٣) فأقمنا بها ثلاثة أيام .
 ثم رحلنا قاصدين لالوي^(٤) على شيء حتى صرنا إلى « حلوان »^(٥) فأقمنا
 بها يومين .

وسرنا منها إلى « قمريسين »^(٦) فأقمنا بها يومين . ثم رحلنا
 فسرنا حتى وصلنا إلى « همذان »^(٧) فأقمنا بها ثلاثة أيام .

-
- (١) ذكرنا في المقدمة أن هذا التاريخ يوافق ٢١ حزيران (يولية) ٩٢١ .
 (٢) النهروان : أكثر مايجري على الألسنة في ضبطها بكسر النون ، وهي كورة واسعة بين بغداد
 وواسط من الجانب الشرقي ، كما في ياقوت ١ / ٦ ، ٨٤٦ .
 (٣) الدسكرة ، في ياقوت ٢ / ٥٧٥ ، قرية كبيرة بنواحي نهر الملك من غربي بغداد .
 (٤) في خطوطنا : « لالكون على شيء » ولعل سوابها : « لالوي على شيء » وقد كرر هذا التعبير فيما
 بعد مرة أخرى .
 (٥) حلوان : (بالفهم ثم السكون) - حلوان العراق ، في آخر حدود الرود مما يلي الجبال من بغداد ،
 كما في ياقوت ٢ / ٣١٧ .
 (٦) قمريسين : (بالفصح ثم السكون) - قمریب کرمان شاه ، بلد معروف بينه وبين همذان ثلاثون
 فرسغاً ، قرب الدينور ، وهي بين همذان وحلوان ، على طريق الحاج ، نزهة عذبة الماء ، كما في
 ياقوت ٤ / ٦٩ ، فإن فضلان كان يسلك طريق الحاج .
 (٧) همذان : مدينة بالجبل ، وصفاً ياقوت ٤ / ٩٨١ ، وتحدث عن بردها الشديد في حكايات طويلة .

رحلة ابن خلدون - في فارس

ثم سَرَّنا حتَّى قدمنا « سَاوَة » ^(١) فأَقمنا بها يومين ؛ ومنها إلى « الري » ^(٢) ، فأَقمنا بها أحد عشر يوماً ، ننتظر أحمد بن عليّ أخا صملوك ^(٣) لأنه كان « بخوار الري » ^(٤) .

ثم رحلنا إلى « خوار الري » فأَقمنا بها ثلاثة أيَّام . ثم رَحَلنا إلى « سَمَنان » ^(٥) . ثم منها إلى « الدَّامغان » ^(٦) ، وصادفنا بها « ابن قارن » ^(٧) من قبيل « الدَّاعي » ^(٨) ، فتسكَّرنا في القافلة ، وسرنا مُجِدِّين حتَّى

(١) ساوَة : ذكرها ياقوت ٣ / ٢٤ ، وقال أنها مدينة حسنة بين الريّ وهمدان ، في وسط بيننا وبين كل واحد من همدان والريّ ثلاثون فرسخاً

(٢) الريّ : ذكرها ياقوت ٢ / ٨٩٢ ، وقال أنها قصبة بلاد الجبال ، بيننا وبين نيسابور ١٦٠ فرسخاً ، وهي من أعلام المدن ، محطّ الحاج على طريق السابلة ، قرب « طهران » الحالية .

(٣) جاء في التواريخ أنه أحمد بن علي صملوك ، قلد أعمال المعاونة بأصبهان وقم ، وكان إلى الريّ ، انظر تجارب الأمم ٥ / ٥٠ وصلة مريب ٢٧ ، وابن جرير الطبري ١٢ / ٢٧٧ .

(٤) 'خوار : بضم أوله . ذكرها ياقوت ٢ / ٤٧٩ ، وقال أنها مدينة كبيرة من أعمال الريّ ، بيننا وبين - ناه - لقاصد إلى خراسان ، بيننا وبين الري نحو عشرين فرسخاً .

(٥) سَمَنان : بكسر السين عند أهل الحديث ، ذكرها ياقوت ٣ / ١٤١ ، وقال أنها بلدة بين الريّ وداهغان وبعضهم يجعلها من قومس ، كثيرة الأشجار والأنهار والبساتين .

(٦) دَاهَمَان : بفتح الميم والهمزة ، ذكرها ياقوت ٢ / ٥٣٩ ، وقال أنها بلد كبير بين الريّ وفارس ، كثيرة الفواكه - انظر كذلك ابن حوقل ٢ / ٣٨٠ .

(٧) في الأصل : « ابن قارن » بالغاف في آخره ، وقد ذكر المؤرخون أحمد أجداده وهو المازيار بن قارن ، وهو هنا العباس بن قارن . انظر ياقوت ٣ / ٢٨٣ ، والطبري ٣ / ١٥٧٥ طبعة أوربة .

(٨) الحارث بن القاسم الحسني الداعي ، ذكرته المصادر لأهميته ، ومنها مروج الذهب ، طبعة باريس ٩ / ٦ ، وابن الأثير ط النيربة ٦ / ١٤٨ ، ودائرة المعارف الإسلامية ، وتجارب الأمم ٥ / ٣٦ ، وزمبابور ، بالترجمة العربية ٢ / ٢٩٣ .

قَدِمْنَا « نيسابور »^(١) ، وقد قُتِلَ « لَيْلَىٰ بْنِ نُعْمَانَ »^(٢) فَأَصْبَحْنَا بِهَا
« حَمَوِيَّةَ كُوسَا »^(٣) صَاحِبَ جَيْشِ خِرَاسَانَ .

ثُمَّ رَحَلْنَا إِلَى « سَرخَس »^(٤) ثُمَّ مِنْهَا إِلَى « مَرُو »^(٥) ثُمَّ مِنْهَا إِلَى [١٩٧ ظ]
« قَشْمِهَانَ »^(٦) وَهِيَ طَرَفُ مَفَازَةِ « آمَل »^(٧) فَأَقَمْنَا بِهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ،
نُرِيحُ الْجَمَالَ لِدُخُولِ الْمَفَازَةِ .

(١) نيسابور : بفتح النون ، مشهورة ، ذكرها ياقوت ٨٥٧ / ٤ ، وقال إنها مدينة عظيمة ، بينها وبين الري ١٦٠ فرسخاً .

(٢) قُتِلَ لَيْلَى بْنِ النُّعْمَانِ قَبْلَ قَلِيلٍ ، فَقَدْ جَاءَ فِي تَجَارِبِ الْأُمَمِ ٥ / ٧٦ ، لِحَوَادِثِ سَنَةِ ٣٠٩ هـ : « وَفِيهَا دَخَلَ رَسُولُ صَاحِبِ خِرَاسَانَ بِرَأْسِ لَيْلَى بْنِ النُّعْمَانِ الدَّيْلَمِيِّ الَّذِي خَرَجَ بِطَبْرِسْتَانَ » ، وَقَدْ كَانَ لَيْلَى أَحَدَ قَوَادِ أَوْلَادِ الْأَطْرُوشِ الْعَلَوِيِّ ، وَكَانَتْ إِلَيْهِ وَلَايَةُ جَرَجَانَ ، اسْتَعْمَلَهُ عَلَيْهَا الْحَسَنُ بْنُ الْقَاسِمِ الدَّاعِي سَنَةَ ٣٠٨ هـ ، كَمَا فِي ابْنِ الْأَثِيرِ ٦ / ١٦٧ ط النثرية .

(٣) حَمَوِيَّةُ بِنِ عُلَى ، ذَكَرَتْهُ التَّوَارِيخُ فِي أَكْثَرِ مَوَاقِعَ ، وَقَدْ حُكِمَ بِمَرْقَنْدَ سَنَةَ ٣٠١ هـ ، كَمَا فِي ابْنِ الْأَثِيرِ ٦ / ١٤٥ ، وَفِي الْمَقْدِسِيِّ ط أَوْرُبَةَ مِ ٣٣٧ ، أَنَّهُ كَانَ صَاحِبَ جَيْشِ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ بِمَدِّ ذَلِكَ ٦ / ١٤٩ : « فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا مِنْ بَخَارَى حَمَوِيَّةُ بِنِ عُلَى فِي عَسْكَرٍ ضَخْمٍ لِحَارِبَتِهَا » .

(٤) سَرخَس : بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الحاء ، ويقال بالتحريك - ذَكَرَهَا يَاقُوتُ ٣ / ٧١ ، فَقَالَ إِنَّهَا مَدِينَةٌ قَدِيمَةٌ مِنْ نَوَاحِي خِرَاسَانَ ، كَبِيرَةٌ بَيْنَ نَيْسَابُورَ وَمَرُو ، فِي وَسْطِ الطَّرِيقِ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا سِتُّ مَرَاكِلَ .

(٥) مَرُو : مشهورة ، ذَكَرَهَا يَاقُوتُ ٤ / ٥٠٧ وَقَالَ إِنَّهَا أَشْهَرُ مَدَنِ خِرَاسَانَ ، وَبَيْنَ مَرُو وَنَيْسَابُورَ سَبْعُونَ فَرَسَخًا ، وَمِنْهَا إِلَى سَرخَسِ ثَلَاثُونَ .

(٦) قَشْمِهَانَ : لَمْ نَقْعْ عَلَيْهَا فِي يَاقُوتِ هَذَا الضَّبْطِ ، وَلَمْ نَلَمْهَا : « كَشْمِيَّيْنِ » كَمَا ضَبَطَهَا أَبُو الدُّدَاءِ فِي تَقْوِيمِ الْبُلْدَانِ مِ ٤٤٦ فَقَالَ : « وَمِنْ بِلَادِ خِرَاسَانَ كَشْمِيَّيْنِ » قَالَ الْمُهَلَّبِيُّ وَهِيَ قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَالِ مَرُو الشَّاهِجَانِ عَلَى خِصَّةٍ فَرَسَخٍ مِنْهَا عَلَى طَرَفِ الْمَفَازَةِ « وَضَبَطَهَا يَاقُوتُ ٤ / ٢٧٨ فَقَالَ : « بِالْفَرَسِ ثَمَّ السُّكُونِ وَفَتْحَ الْمِيمِ وَبَاءَ سَاكِنَةٌ وَهَاءَ مُتَوَسِّجَةٌ وَتَوْنٌ » كَشْمِيَّيْنِ ، قَرْيَةٌ كَانَتْ عَظِيمَةً مِنْ قُرَى مَرُو عَلَى طَرَفِ الْبَرِيَّةِ أَخْصَرُ عَمَلِ مَرُو لِمَنْ يَرِيدُ قَصْدَ آمَلٍ » فَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا هُوَ الْيَاءُ بَعْدَ الْهَاءِ .

(٧) آمَل : بِفَتْحِ الْمِيمِ وَالسَّلَامِ - ذَكَرَهَا يَاقُوتُ ١ / ٦٩ فَقَالَ إِنَّهَا مَشْهُورَةٌ ، فِي غَرْبِ جَبِجُونَ عَلَى طَرِيقِ الْقَاصِدِ إِلَى بَخَارَى مِنْ مَرُو ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ شَاطِئِهِ جَبِجُونَ نَحْوَ مِيلٍ . وَيُقَالُ لَهَا آمَلُ الْمَفَازَةِ ، لِأَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَرُو رَمَالًا صَدْبَةً الْمَسْلُكِ ، وَمَفَازَةٌ أَشْبَهُ بِالْمَالِكِ - انْظُرْ ابْنَ حَوْقَلٍ ٢ / ٣٨١ حَيْثُ يَقُولُ إِنَّ آمَلَ أَكْبَرَ مَدَنِ طَبْرِسْتَانَ ، وَهِيَ مُسْتَقَرٌّ وَلَاتَهَا ، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ قَزْوِينَ .

ثم قطعنا المفازة إلى آمل ، ثم عبرنا « جَيِّحون » وصرنا إلى آفِير^(١)
رباط طاهر بن علي .

٣

ثم رحلنا إلى « يِگَند »^(٢) . ثم دخلنا « بُخارا »^(٣) ، وصرنا إلى الجيهاني^(٤)
وهو كاتب أمير خراسان ، وهو يدعى بخراسان الشيخ العميد ، فتقدم
بأخذ دار لنا ، وأقام لنا رجلاً يَقْضي حوائجنا ويزيح عللنا^(٥) في كل
ما نريد ، فأقمنا أيّاماً .

(١) في الأصل : « آرين » هكذا ، ولم نلق عليها بهذا الاسم ، ولعلها « آفِير » نلح على مقربة من نهر
جيجون بعد آمل ، كما في كتاب بلدان الخلافة الشرقية تأليف استرنج ، في الخريطة مقابل صفحة ٤٧٦ ،
من الترجمة العربية . وقد حار المستشرقون قبلنا في ضبطها وفي مكانها ، فاقترح المستشرق « فرابي » أن
تكون « آفِير » ، ورأى غيره أن تكون « آفَردين » - وفي ابن حوقل ٢ / ٣٨٤ : من
الري إلى أريدين مرحلة .

(٢) يِگَند : بالكسر وفتح السين وسكون النون - ذكرها ياقوت ٧٩٧/١ وقال : إنها بلدة بين بخارا
وجيجون على مرحلة من بخارا ، كانت كبيرة ، وبها رباطات كثيرة نحو ألف ، خربت منذ زمان .

(٣) بخارا : من أعظم المدن ، ذكرها ياقوت ١ / ٥٧١ ، قال انه يُعبر إليها من آمل الشط ، بينها وبين
جيجون يومان وكانت قاعدة ملك السامانية بينها وبين سمرقند سبعة أيام . بينها وبين مرو ١٢ مرحلة .
وهي اليوم من أشهر المدن في أوزبكستان من الولايات السوفيتية .

(٤) أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني ، ذكره ابن النديم في كتابه فنية الطلب المخطوط ١ / ٢١١ قال :
« هو وزير صاحب خراسان ، كان له كتاب المسالك والممالك ضاع ، وقام مكانه كتاب البلدان لابن
الفقيه الهمداني كما يقول ابن النديم صاحب من كتابه » - وذكره غيره ، فانظر في اسم التباس
للمقدسي ٣٣٧ ، وفي ابن الأثير ط أوروبا ٨ / ٢٨٣ ، وفي ياقوت ارشاد الأريب ٢ / ٥٩ ، وذكره
بروكلمان ١ / ٢٢٨ والذيل ١ / ٤٠٧ وقال انه أحمد بن محمد ، وزر في بخارى ٢٧٩ هـ - ٢٩٥ هـ ،
لنصر بن أحمد الساماني .

(٥) أزاح العلة : يقال خاصة في الجنود الذين يحتاجون الى أمر تنقضي حاجاتهم .

ثم أستاذن لنا على نصر بن أحمد^(١) فدخلنا إليه وهو غلام أمرد ، فسلمنا عليه بالامرة ، وأمرنا بالجلوس . فكان أول ما بدأنا به أن قال : « كَيْفَ خَلَقْتُمْ مَوْلَايَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَسَلَامَتَهُ فِي نَفْسِهِ وَفِتْيَانِهِ وَأَوْلِيَائِهِ - » فقلنا : « بِخَيْرٍ » ، قال : « زاده الله خيراً » .

ثم قرأ الكتاب عليه بِتَسْلِيمٍ^(٢) « أَرْتَحُشِمِينَ » من الفضل بن موسى النصراني وكيل ابن الفرات ، وتسليمها إلى أحمد بن موسى الخوارزمي ، وانفاذنا ، والكتاب إلى صاحبه بخوارزم بترك^(٣) العرض لنا ، والكتاب بباب الترك يبدرقتنا^(٤) وترك العرض لنا .

فقال : « وأين أحمد بن موسى ؟ » فقلنا : « خلفناه بمدينة السلام ليخرج خلفنا لخمس أيام » . فقال : « سمعاً وطاعة لما أمر به مولاي أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - » .

(١) نصر بن أحمد بن نصر الساماني ، أحد الملوكة المشهورين في السامانية وهو صاحب خراسان - كان في الثامنة من عمره حين قتل أبوه ، حكم من سنة ٣٠١ - ٣٣١ هـ .

(٢) في الأصل : « بتسليم » ولعلها كما وسنا .

(٣) في الأصل : « يترك » - والعرض : كل شيء سوى الدرهم والدنانير من المتاع .

(٤) بذرة : الخنزير الدليل أو الحراس ، كما في تسكة معاجم العرب لدوزي ، ١/٦٠ ، وهناك أن نحرس البعثة بجنود يحمونها وهي « Escorte » بالفرنسية ، وفي شرح القاموس أن بذرة تكون بالذال المعجمة والمهمله معاً ، وأنها مركبة من بد ، وراه والمعنى الطريق الرديء ، فارسية معربة .

قال :

وَأَصْلُ الْخَبِيرُ بِالْفَضْلِ بْنِ مُوسَى النَّصْرَانِيَّ وَكَيْلُ ابْنِ الْفُرَاتِ ،
فَأَتَمَلَ الْحَيْلَةَ فِي أَمْرِ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى ، وَكَتَبَ إِلَى مُعَمَّالِ الْمُعَاوِنِ^(١)
بِطَرِيقِ خُرَاسَانَ مِنْ جُنْدِ سَرْخَسَ إِلَى بَيْكَنْدَ : « أَنْ أَذْكُوا الْعِيُونَ عَلَى
أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى الْخَوَارِزْمِيِّ فِي الْخَانَاتِ وَالْمَرَاصِدِ^(٢) وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ صِفَتِهِ
وَنَعَمَتِهِ ، فَمَنْ ظَفَرَ بِهِ فَلْيَمْتَقِلْهُ^(٣) إِلَى أَنْ يَرِدَ عَلَيْهِ كِتَابُنَا بِالْمَسْئَلَةِ » .
فَأَخَذَ بَمَرَوْ وَأَعْتَقِلَ .

وَأَقَمْنَا نَحْنُ بِيُخَارَا ثَمَانِيَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا . وَقَدْ كَانَ الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى
أَيْضًا وَاطِّاءَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ بَاشْتُو وَغَيْرَهُ مِنْ أَصْحَابِنَا يَقُولُونَ : « إِنَّ
أَقَمْنَا هَجَمَ الشَّتَاءِ وَفَاتِنَا الدُّخُولَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ مُوسَى إِذَا وَافَانَا^(٤)
لَحِقَ بِنَا » .

(١) عامل المعاوين ، أو صاحب المعاوين أو عامل المعاونة ، وهو قائد الشرطة أو الأمن ، كما في تسككه مماجم
المرب لدوزي ١٩٢ / ٢ .

(٢) المرصد : مركز جنود الجمارك والحراس للحدود على الدروب والأمن ، كما في معجم دوزي ٣٣ / ١ هـ
والراصد هو الجندي المكلف بمراقبة الحدود وأمن الطرق وسؤال المسافرين ... وأذكر على الرجل
العيون : أرسل عليه الطلائع .

(٣) في الأصل : « فليمتقله » ... وأصلها « فليمتقله » بتقديم الهمزة على اللام ، كما يرد بمذكات ، حيث
يقول : « واعتقل » .

(٤) في الأصل « وافانا » وهي خطأ من النسخ ، وصوابها « وافانا » .

قال :

ورأيتُ الدرامَ يُبخارا^(١) ألواناً شتى . منها دراهمُ يقالُ لها
الغطريفية^(٢) : وهي نحاسٌ وشبهه^(٣) وصفر ، يُوخذ منها عدد بلا وزن ،
مائةٌ منها || بدرهم فضة . وإذا شروطهم في مهر نسائهم : تزوّج [١٩٨ و]
فلانُ ابنُ فلانٍ فلانةً بنتَ فلانٍ على كذا وكذا ألف درهم غطريفية .
وكذلك أيضاً شراء عقارهم وشراء عبيدهم ، لا يذكرون غيرها من الدراهم .
ولهم دراهمُ آخر^(٤) صفرٌ وحده ؛ أربعون^(٥) منها بدائق . ولهم أيضاً دراهم
صفرٌ يقال لها السمرقندية ستة منها بدائق .

* * *

(١) تحدث ياقوت عن الدرام ببخارا كذلك فقال ١ / ١٩٠ هـ : « وكالت معاملة أهل بخارا في أيام السامانية بالدراهم . ولا يتهاملون بالدنانير فيما بينهم . فكان الذهب كالسلع والمروض . وكان لهم دراهم يسمونها الغطريفية من حديد وصفر وآتاك ، وغير ذلك من جواهر مختلفة ، وقد ركت ، فلا تجوز هذه الدراهم إلا في بخارا ولواحيها وحدها » .. انظر الحضارة الإسلامية لمتز ، بالمرية ، ٢ / ٣١٧ ، والاصطخري ٣١٤ ، ٣٢٣ .

(٢) الدراهم الغطريفية أو الغطارفة ، وهي دراهم كانت متبعة جداً في بخارا ، ضربها غطريف بن عطاء عامل خراسان لمهد الرشيد . والدرهم يساوي ستة دوائق ، والدائق يساوي اثني عشر قيراطاً - انظر تكملة ما جاء العرب لدوزي ٢ / ٢١٦ ، والمصادر السابقة المذكورة .

(٣) الشَّبهه : محرّكة ، النحاس الأصفر كالشبه بكسر الشين وسكون الباء ، والصفر مثلها .

(٤) في الأصل « دراهم أخذ » وهي مصحفة عن كلمة « دراهم آخر » واسمعتل التعبير نفسه ياقوت ١ / ١٠٩ هـ في الكلام عن بخارا ولعل الجملة تستقيم حين يقول « من الصفر وحده » على شكل أجمل وفي طبيعة وليدي : « وحده أربعين » .

(٥) في الأصل : « أربعين منها » ولعلها خطأ من الناسخ .

٤

[في خوارزم]

فَلَمَّا سَمِعْتُ كَلَامَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَاشْتُو وَكَلَامَ غَيْرِهِ يُحَذِّرُونَنِي^(١) مِنْ هَجُومِ الشِّتَاءِ ، رَحَلْنَا مِنْ « بُخَارَا » رَاجِعِينَ إِلَى النِّهَرِ ، فَتَسْكَرِينَا^(٢) سَفِينَةً إِلَى « خَوَارِزْمِ » ، وَالْمَسَافَةُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي أَكْتَرِينَا مِنْهُ السَّفِينَةَ أَكْثَرَ مِنْ مَائَتِي فَرَسَخٍ ، فَكُنَّا نَسِيرُ بَعْضُ النَّهَارِ ، وَلَا يَسْتَوِي لَنَا سَيْرُهُ كُلُّهُ مِنَ الْبَرْدِ وَشِدَّتِهِ ، إِلَى أَنْ قَدَمْنَا « خَوَارِزْمَ » . فَدَخَلْنَا عَلَى أَمِيرِهَا « مُحَمَّدِ بْنِ عِرَاقِ خَوَارِزْمِ شَاهٍ^(٣) » فَأَكْرَمَنَا وَقَرَّبَنَا وَأَنْزَلَنَا دَارًا .

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَحْضَرْنَا ، وَنَاطَرْنَا فِي الدَّخُولِ إِلَى بَلَدِ التُّرْكِ ، وَقَالَ : « لَا آذَنُ لَكُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا يَحِلُّ إِلَيَّ تَرَكُّكُمْ تُغَرِّوُنَ بِدِمَائِكُمْ . وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّهَا حِيلَةٌ أَوْقَعَهَا هَذَا الْعَلَامُ ، — يَعْنِي تَكِينٌ — لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَنَا حَدَادًا وَقَدْ وَقَفَ عَلَى بَيْعِ الْحَدِيدِ يَبْلَدُ

(١) فِي الْأَمَلِ : « يُحَذِّرُونِي » .

(٢) أَكْتَرَى الشَّيْءَ أَكْتَرَاءً وَتَسْكَرَاءُ تَسْكَرِيًّا : اسْتَأْجَرَهُ .

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ عِرَاقِ أَمِيرُ خَوَارِزْمٍ ، انْظُرْ فِي شَأْنِهِ كِتَابُ الْأَسَابِ لِزَامَبَاورِ ١٩٢٧ ، ص ٢٠٨ ، وَتَارِيخُ

خَوَارِزْمِ لِسَخَّارِ ، وَالْبِيروني ص ٢٤١ .

الكفار^(١)، وهو الذي غرَّ « نذيراً » وحمله على كلام أمير المؤمنين ، وإيصال كتاب ملك الصقالبة إليه . والأمير الأجل - يعني أمير خراسان - كان أحق بإقامة الدعوة لأمير المؤمنين في ذلك البلد لو وجد محيصاً^(٢) . ومن بعد ، فبينكم وبين هذا البلد الذي تذكرون ألف قبيلة من الكفار . وهذا تمويه على السلطان ، وقد نصحتكم . ولا بد من الكتاب ، إلى الأمير^(٣) الأجل حتى يراجع السلطان - أيده الله - في المكاتبة ، وتقيمون أنتم إلى وقت يعود الجواب .

فانصرفنا عنه ذلك اليوم ، ثم عاودناه ، ولم نزل نرفق به ونُدَّاريه ، ونقول : « هذا أمر أمير المؤمنين وكتابه ، فما وجه المراجعة فيه ؟ » حتى أذن لنا ، فأحدرنا من خوارزم^(٤) إلى « الجرجانية » وبينها وبين « خوارزم » في الماء خمسون فرسخاً .

(١) وهذا برهان جديد على أن الأتراك كانوا يسمون الصقالبة كفاراً قبل أن يذهب إليهم ابن فضلان واصحابه .
 (٢) المحيص : في الأصل ، المهرب ، يقال حاص عن الشر يحيص حبصاً ومحيصاً ، عدل وحاد عنه ، والمحيص : الحميد ، وفي القرآن الكريم : « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » .
 (٢) في الأصل : « أمير الأجل » فأضفنا التعريف على الأمير تصويهاً .
 (٤) يقول ياقوت ٢ / ٨٠ ، ان خوارزم ليس اسماً للمدينة انما هو اسم للناحية يجملتها ، فأما القصة المظلمة فقد يقال لها اليوم الجرجانية ، وأهلها يسمونها كركانج . ويقول ياقوت في الجرجانية ٢ / ٤ ، انها مدينة عظيمة على شاطئ جيحون ، وهي كركانج فمرت إلى الجرجانية ، وقد رآها ياقوت سنة ٦١٦ هـ ، فوصف بردها الشديد ، وقال انه يسكنها قوم من الأتراك والتركان لأيامه ويحذر أن نذبه إلى أن ياقوت بدأ ينقل هنا عن ابن فضلان حرفاً حرفاً .

رحلة ابن فضلان .. في خوارزم

ورأيتُ دراهمَ خُوارِزمَ مُزَيَّفَةً ، ورصاصاً^(١) وزيوفاً^(٢) ، وصفراً .
ويسمون الدرهم « طازجة »^(٣) ووزنه أربعة دنانير^(٤) ونصف .
والصَّيرَفيّ منهم يبيع الكماب^(٥) ، والدوامات ، والدراهم .

[١٩٨ ظ] وهم أوحش الناس || كلاماً وطبعاً ، كلامهم أشبه شيء بصياح
الزراير^(٦) . وبها قرية على يوم يقال لها « أردكو »^(٧) « أهلها يقال
لهم « ألكردلية » ؛ كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع . وهم يتبرءون
من أمير المؤمنين « عليّ بن أبي طالب » — رضي الله عنه — في دبر^(٨)
كلّ صلاة .

* * *

- (١) في الأصل : « مزيفة ورصاص وزيوف وصفرة » — وفي ياقوت ٢ / ٤٨٤ : « مزيفة ورصاصاً وزيوفاً وصفراً » فرأينا أنها من خطأ النسخ في العربية فصورناه .
- (٢) الزائف : هو الدرهم الرديء والمردود لنش فيه ، جمه زيوف . وكان للعملة الزائفة ثمنها المحدد جهاراً ، وتسمى المزيفة ، لأن الفضة تذاب مع الزئبق — انظر كلمة « زبق » عند الجوهري ، والحضارة الإسلامية لمتز ٢ / ٣١٩ ، ومجلة IRAS ، مقال آمدروز سنة ١٩٠٦ ص ٤٧٩ .
- (٣) طازجة : النقية الخالصة ، وهي معرب قازة ، كما في المعرب للجواليقي ٢٢٩ .
- (٤) في الأصل : « أربع دنانير » وهو ضعف من النسخ صوبناه .
- (٥) الكماب : جمع كمب وهو الدنانير كما في معجم دوزي ١ / ٤٧٨ ومعجم Lane .
- (٦) انغمس ياقوت حين النقل هذه الجملة كما يحدث عادة عند النسخ ، فجاء عنده أن كلامهم أشبه شيء بنقيق الضفادع ، وهو يأتي بمد سطر واحد — وأما التشبيه بصياح الزراير ، فقد جاء شبه النابغة الشيباني صوت المعجم بمن ذلك فقال (ديوانه طبعة دار الكتب ١٩٣٢ ص ٥٣) :
- أصوات عجم إذا قاموا بقرينهم
كما تصوت في الصبح الخطاطيف
- (٧) لم نغف على موقع العربية أو اسم أهلها في المصادر ، فلما لها مصحفتان .
- (٨) دبر : عقب كل صلاة .

فأقمنا « بِالْجُرْجَانِيَّةِ » أَياماً ، وحمد « نهر جيحون » من أوله ^{في} [الجرجانية] إلى آخره . وكان سمك الجَمْد سبعة عشر شهراً^(١) ، وكانت الخيل والبغال والحمير والعجل تجتاز عليه كما تجتاز على الطرق . وهو ثابت لا يتخلخل . فأقام على ذلك ثلاثة أشهر .

فرأينا بلداً ما ظنننا إلاَّ أنَّ باباً من الزَّمَّهَرِيرِ قَدْ فُتِحَ عَلَيْنَا مِنْهُ ، ولا يسقط فيه الثلج إلاَّ ومعه ريح عاصف شديدة^(٢) . وإذا أتحف الرجل مِنْ أَهْلِهِ صَاحِبَهُ ، وأراد برَّه قال له : « تعال إليَّ حتى نتحدث^(٣) » فإنَّ عندي ناراً طيبة . هذا إذا بالغ^(٤) في برِّه وَصِلَتِهِ . إلاَّ أنَّ الله تعالى قد لطف بهم في أَلْطَبِ وأَرْخَصِهِ عليهم : حمل عجلة من حطب الطاغ^(٥)

(١) وصف ياقوت نهر جيحون ٤ / ١٧١ ، وذكر تجمده فقال : « حتى يصير مئنه نحو خمسة أشبار » . ولذلك كذب ابن فضال هنا وقال : ٢ / ٨٤ « وهذا كذب منه فإن أكثر ما يجمد خمسة أشبار ، وهذا يكون نادراً ، فأما العادة فهو شبران أو ثلاثة . شاهدته وسألت عنه أهل تلك البلاد - والمعجب أن السمك عند ابن فضال هنا هو « سبعة عشر شهراً » وينقل ياقوت فيقول : « تسعة عشر شهراً » .
(٢) ويعاق ياقوت على هذا الكلام كذلك فيقول ٢ / ٨٥ : « قلت : وهذا أيضاً كذب ، فانه لولا ركود الهواء في الشتاء في بلادهم لما عاش فيها أحد » .

(٣) في الأصل المخطوط : « حتى يتحدث » وصوابها مارسنا .

(٤) في الأصل : « بلغ في بره » وأصل صوابها ما وضعناه .

(٥) فسر ياقوت الكلمة فقال : « الطاغ وهو الغضا » ، وهي تركيبة معربة ، ولكن ياقوت يضيف ٢ / ٨٥ « قلت : وهذا أيضاً كذب ، لأن المعجلة أكثر ما تجر عليها ما اختبرته وحلت قاشاً لي عليه ألف رطل »

بدرهمين من دراهمهم^(١) تكون زهاء ثلاثة آلاف رطل .

ورسم سؤالهم أن لا يقف السائل على الباب ، بل يدخل إلى دار^(٢) الواحد منهم فيقعد ساعة عند ناره يصطلي ، ثم يقول : « يكند » يعني الخبز^(٣) . [فإن أعطوه شيئاً أخذ وإلا خرج]^(٤) .

* * *

وتطاول مقامنا « بالجرجانية » ، وذاك أنا أقمنا بها أياماً من رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال . وكان طول مقامنا من جهة^(٥) البرد وشدة . ولقد بلغني أن [رجلين ساقا]^(٦) اثني عشر جلاً ليحملا عليها حطباً من بعض الغياض فنسبوا أن يأخذا معهما قداحة وحرقة^(٧) ، وأنهما باتا بغير نار ، فأصبحا والجمال موتى لشدة البرد .

(١) في الأصل : « من دارهم » وصوابها كما في ولدي : « من دراهمهم » .

(٢) في مخطوطتنا : « الدار الواحد » فصرنا ما أفسده الناسخ .

(٣) يملق ياقوت كذلك فيقول : « قلت أنا : وهذا من رسمهم صحيح إلا أنه في الرستاق دون المدينة ، شاهدت ذلك » - ثم يختم ياقوت ما عند ابن فضال من وصف البرد ، وقال إنه نفسه أراد أن يكتب هناك نجمد المداد ، ووضع الشربة على شفتيه فالتصقت لجودها - انظر ص ٩٩ حيث يقول أن « يكند » بلغة خوارزم .

(٤) هذه الزيادة من ياقوت لتام العبارة والسياق .

(٥) في مخطوطتنا : « من جهة » بالتاء المفتوحة ، ذكرناها للنصور ضعف الناسخ وسوء إلامه بالعربية .

(٦) في مخطوطتنا : « بانني أن اثناعشر جلاً » ولا معنى لها ، فأضفنا ما بين المعقوفتين نتمة للسياق وصححنا العدد .

(٧) الحرقة : بالفم - ما يقع فيه السقط عند القدح من خرقة أو تبج أو نحوهما ، والتبج أصول البردى إذا جف ، وهي ، الحسراق - والدداحة : حجر القدح ، وقيل الحديرة التي يقدح بها .

ولقد رأيتُ لهواء بردها^(١) بأن السوق بها والشوارع لتخلو^(٢) حتى يطوف الإنسان أكثر الشوارع والأسواق ، فلا يجدُ أحداً ولا يستقبله إنسان . ولقد كنتُ أخرجُ من الحَمَّام ، فإذا دخلتُ إلى البيت نظرتُ إلى حيتي وهي قطعةٌ واحدة من الثلج حتى كنتُ أدنيتها^(٣) إلى النار .

ولقد كنتُ أنام^(٤) في بيت جوف^(٥) بيتٍ ، وفيه قبة لبود^(٦) تركية وأنا مدترٌ بالأكسية والفري^(٧) ، فربما التصق خدي على المخذة .

ولقد رأيتُ || الجبابَ بها تكسى البوستينات^(٨) من جلود الغنم لثلاً^(٩) [١٩٩ و] تنشق وتتكسر ، فلا يُغني ذلك شيئاً .

(١) افترح احد المشرقيين هنا رواية : « رأيت لاهراشها » ولا نرى رأيه .

(٢) في مخطوطتنا : « ليخلوا » أفبتناها صورة لاملأ الناسخ وخطه ، وهما كثير .

(٣) في طبعة وليدي : « كنت أذيبها » ولا تستقيم به العبارة .

(٤) في الأصل : « ولقد كنت أيام » وقد جعلها وليدي في طبعته كذلك .

(٥) الجوف من البيت وغيره : داخله ، جمه أجواف .

(٦) اللبد : كل شعر أو صوف متلبد ، سمي به للصوق بهضه بيمض جمه ألباد وللبود ، وهو كذلك بساط من صوف .

(٧) كذا في الأصل ، ولماها الفراء جمع فروة ، وهي شيء لحر الجبة ، بطائنه يعطن من جلود بعض الحيوانات كالأرانب والثالب والسمور . وقيل هي كساء يتخذ من ألياف الأبل .

(٨) يرى ده خويه أنها « بوسمت » ، ودوزي : « بوستين » وهي من الجلد الغليظ ، كالمبابة أو المطاف الكبير .

(٩) في طبعة وليدي : « لثلا تنشق وتتكسر » .

رحلة ابن فضال - في الجرجانية

ولقد رأيتُ الأرضَ تنشق فيها أوديةً عِظَامُ شدة البرد ، وأتُ
الشجرة العظيمة العادية لتنفلق بنصفين لذلك .

* * *

فلما انتصف شوال من سنة تسع وثلاثمائة ، أخذَ الزَّمانُ في التَّغْيِيرِ ،
وانحَلَّ « نهر جيحون » ، وأخذنا نحن فيما نحتاج إليه مِنْ آلَةِ السَّفَرِ
واشترينا الجمالَ التُّرْكِيَّةَ ، واستعملنا السُّفَرَ^(١) من جلود الجمال لعبور^(٢)
الأنهار التي نحتاج أن نعبرها في بلد الترك ، وتزودنا الخبزَ والجاورسَ^(٣)
والنمكسوذ^(٤) لثلاثة أشهر .

وَأَمَرْنَا مَنْ كُنَّا نَأْنَسُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ بِالاسْتِظْهَارِ^(٥) فِي الثِّيَابِ
وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهَا . وَهَوَّلُوا عَلَيْنَا الْأَمْرَ وَعَظَمُوا الْقِصَّةَ . فَلَمَّا شَاهَدْنَا
ذَلِكَ كَانَ أَضْعَافُ مَا وَصَفَ لَنَا . فَكَانَ كُلُّ رَجُلٍ مِّنَّا عَلَيْهِ قُرْطُقٌ^(٦) ،

(١) السُّفَرُ : جمع سفرة ، وهي المركب أو السفينة .

(٢) في مخطوطينا : « من الحلو والجمال لميون » .. وهي مصبغة فطماً ، فلا تستقيم بها عبارة ولا يقوم لها
معنى ، فرأينا أن تكون السفن من جلود الجمال لعبور الأنهار ، وصوبناها عفاطين على رسم الحروف .
- وفي طبعة وليدي : « لميون الأنهار » وهو خطأ .

(٣) الجاورس حبٌّ معروف يؤكل مثل الدهن ، معرب كاورس ، وهو ثلاثة أصناف أجودها الأصفر ،
وهو يشبه بالأرز ، ويدّر البول ويمسك الطبيعة ، وذلك كما جاء في تاج العروس .

(٤) النمكسوذ : بفتح الدال والميم وسكون الكاف .. لحم بحفف من غير تقديد ، انظر تسكلة المعاجم
لدوزي ٢ / ٧٢٦ ، وده خوية في المكتبة الجغرافية ٤ / ١٦٨ .

(٥) استظن الرجل : احتاط .

(٦) قرطوق : بالفم فالفتح ثم فتح الطاء - معرب كرتة ، وهو قبيص أو معطف قصير يصل إلى منتصف الجهم
كما في معجم دوزي الملابس ٣٦٢ .

وفوقه خِفَتَان^(١) ، وفوقه بوسيتين ، وفوقه لبَّادَة^(٢) وبرنس^(٣) ، لا تبدو منه إلا عِينَاهُ^(٤) ، وسراويل^(٥) طاق ، وآخر مبطَّن ، وران^(٦) ، وخُفٌّ كَيْمَخَتْ^(٧) ، وفوق الخُفِّ خُفٌّ آخر . فكان الواحد منّا إذا ركب الجمل لم يَقْدِرَ أَنْ يتحركَ لما عليه من الثياب .

وتأخَّرَ عَنَّا الفقيه والمعلم والغلامان^(٨) الذين خرجوا معنا من مدينة السلام ، فزَعَا مِن الدُّخُولِ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ . وسرت أَنَا والرسول وسلف له ، والغلامان تَكِين وَبَارِس^(٩) .

* * *

(١) خِفَتَان : استعمله القدماء بما تستعمل اليوم القفطان « أي الجاكيت » ، وهو صدرية تحت الثياب ، وقد حلَّ محل الملابس العربية ، انظر معجم الملابس لدوزي ١٦٣ ، وفراي ٣٢ .

(٢) اللبَّادَة : بالضم وتشديد الباء ، ما يلبس من اللبود وقاية من المطر والبرد .

(٣) برنس : هو في القاموس كل ثوب رأسه منه ، دراعة كان أو جبة أو مبطراً ، وهو معطف طويل له قلنسوة تلتصق به وتغطي الرأس ، كما في معجم الملابس لدوزي ٧٤ .

(٤) في مخطوطتنا : « عَصِينَاهُ » ولم نجد لها مَوْضِعاً ، فلعلها كما رسمنا ، لأن البرنس يغطي الوجه والرأس ولا تبدو إلا العينان .

(٥) السراويل : لباس يستر النصف الأسفل من الجسم ، فارسيّ معرَّب ، وهي مؤنثة وقد تذكر ، جمعها سراويلات ، وقيل السراويل جمع سراويل أو سروالة .. انظر الحضارة الإسلامية لمتز ١٨٦ / ٢ - والطاق : ضرب من الثياب بغير جيب ، يلبسه المولود غالباً ، وقيل هو الطليسان ، ولكنه هنا فيما نرى أنه بغير بطانة .

(٦) ران : نوع من الأحذية ، جمعها رائات .

(٧) كَيْمَخَتْ : بكسر الكاف وسكون الياء وضم الميم - فارسي ، نوع من الجلد له من جلد الخيل كما في نكالة المايجم لدوزي ٥٠٦ / ٢ .

(٨) لم يذكر أسماء هؤلاء في بدء الرحلة ، ولا نعرف من هم وماءهم ، وهل في البعثة فقيه غير ابن فضال ؟ !

(٩) في مخطوطة الأصل : « فارس » وصحيفها ما مرَّ بنا من قبل وشرحناه « بارس الصقلاي » - ولكن طبعه وليدي ترجمه « فارس » .

رحلة ابن فضلان - في الجرجانية

فلما كان في اليوم الذي عزمنا فيه على المتسير قلت لهم : « يا قوم ، معكم غلام الملك ، وقد وقف على أمركم كله ، ومعكم كتب السلطان ، ولا أشك [أن]^(١) فيها ذكر توجيه أربعة آلاف دينار المسيبية^(٢) له . وتصيرون^(٣) إلى ملك أعجمي فيطالبكم بذلك فقالوا : « لا نتخش من هذا فإنه غير مطالب لنا » . فحذرتهم ، وقلت : « أنا أعلم أنه يطالبكم » . فلم يقبلوا .

وأستد^(٤) أمر القافلة ، وأكثرينا دليلاً ، يقال له « قلواس »^(٥) من أهل « الجرجانية » . ثم توكلنا على الله — عز وجل — وفوضنا أمرنا إليه .

* * *

(١) أضفناها تجابة للنس وبدونها يصبح الكلام كذلك .

(٢) في الأصل : « دينار المسيبية » وصوابها بالياء الثانية بعد الباء وفي ياقوت ١ / ١٩٩ هـ عن بخارا : « وكانت سكنها تصاوير وهي من ضرب الاسلام . وكانت لهم دراهم آخر تسمى المسيبية والمحمدية .

(٣) في المخطوطة : « ويصيرون » وصوابها ما وضعنا ولم يشرح ابن فضلان في تفصيل نية الغوم في اخفاء الدراهم أو في اقتسامها وحجبها عن الملك ، ولكن السياق يدل على ذلك .

(٤) استد^(٤) الأمر : أي استنب واستقام ، وهي بالذال والذال ، واستد^(٤) هنا شياً ، وأمكن وتسهل .

(٥) في مخطوطتنا : « قلواس » - ويرى المستشرق فراي أن تكون « قلواس » لا رأى من نصوص شبيهة وأسماء قريبة في المنطقة ، ولعلها كلمة فارسية . وفي طبعة وليدي : « قلواس » .

٦

ورحلنا من الجرجانية يوم الاثنين ليلتين خلتا من ذي القعدة سنة تسع وثلاثمائة . فنزلنا رباطاً يقال له « زحجان »^(١) وهو بباب الترك ، [١٩٩ظ] ثم رحلنا من الغد فنزلنا منزلاً يقال له « جيت »^(٢) ، وجاءنا الثلج حتى مَشَتْ الجمالُ إلى ركبها فيه . فأقمنا بهذا المنزل يومين .

ثم أوغلنا في بلد الترك لا نلوى على شيء ، ولا يلقانا أحد ، في برية قفر ، بغير جبل . فسِرْنَا فيها عشرة أيام ، ولقد لقينا مِنَ الضَّرِّ والجَهْدِ ، والبرد الشديد ، وتواصلِ الثلوج الذي كان برد « خوارزم » عنده مثلَ أيام الصَّيف ، ونَسِينَا كُلَّ ما مَرَّ بنا ، وأشرفنا على تَلَفِ الأَنْفُسِ .

ولقد أصابنا في بَعْضِ الأَيَّامِ بَرْدٌ شديدٌ ؛ وكان « تكين » يُسَايِرُنِي^(٣) وإلى جانبه رجل من الأتراك ، يكلمه بالتركية ، فضحك « تكين » وقال : « إِنْ هَذَا التَّرْكِيُّ يقول لك : أَيُّ شَيْءٍ يريد ربنا منا ، هُوَ ذَا

(١) الرباطات كثيرة ، ولم تقع على اسم هذا الرباط ، وأصلحنا كلمة « ياب » فجعلناها « ياب » .

(٢) في الأصل : « جنب » - ويقترح وليدي أن تكون : « جيت » .

(٣) سايره : جاره وسار معه .

يقتلنا بالبرد ، ولو علمنا ما يريد لرفعناه^(١) إليه . فقلت له : « قُلْ له يريد منكم أن تقولوا : (لا إلهَ إلا الله) » . فضحك وقال : « لو علمنا لفعلنا » .

ثم صرنا بعد ذلك إلى موضع فيه من حطَبِ الطَّاعِ شيءٌ عظيم ، فنزلناه ، وأوقدت القافلة وأصطلوا ، ونزعوا ثيابهم وشرَّروها .

ثم رحلنا ، فما زلنا^(٢) نسير في كل ليلة من نصف الليل إلى وقت العصر أو [إلى]^(٣) الظهر ، بأشد سِرٍ يكون وأعظمه ، ثم نَنزِلُ^(٤) .

فلَمَّا سرنا خمسَ عشرةَ^(٥) ليلة وصلنا إلى جبلٍ عظيم ، كثير الحجارة ، وفيه عيون تنجرف عبره وبالحفرة [تستقر] الماء^(٦) .

* * *

(١) في الأصل : « لرفعناه » - ولعلها كما يرى أحد المعلقين : « لدفعناه » .

(٢) في الأصل : « فما زلنا » وهو تصحيف من الناسخ .

(٣) في المخطوطة : « أول الظهر » ولا معنى لها وهي كما رسمنا .

(٤) وهو تصحيف آخر في المخطوطة : « نَنزِلُ » ونحن نرسم هذا لبيان حال الناسخ .

(٥) وهنا جهل بالنحو حيث يرسم الناسخ : « خمسة عشر ليلة » فصورناها .

(٦) هنا عبارة غامضة رست كما يلي : « وفيه عيون تنجرف عبر وبالحفرة الماء » وهي بغير نقط ، فحام المستشرقون حول تصحيحها فرأى الروسي ٩٧ أن تكون : « وفيه عيون تنخرق عين وبالحفرة الماء » ويرى المجري ٢٣٨ : « عيون تنخرق غدِير وبالحفرة » ونحن نرى أن تكون : « وفيه عيون تنجرف عبره وتستقر بالحفرة الماء » - وفي طبعة وليدي : « وفيه عيون تنجرف عنه وبالحفرة الماء » . وهذا التمييز استعمله الجغرافيون لوصف العيون التي تنحدر إلى البحيرة ، الظار بخريدة المهابيب لابن الوردي ص ٨٥

٧

فَلَمَّا قَطَعْنَاهُ أَفْضِينَا^(١) إِلَى قَبِيلَةٍ مِنَ الْأَتْرَاكِ يُعْرِفُونَ بِالْغَزْبِيَّةِ^(٢) . وَإِذَا [عند الغزبية] هُمْ بِأَدِيَّةٍ ، لَهُمْ بِيُوتٌ شَعْرٌ ، يَحْلُونَ وَيَرْتَحِلُونَ ، تَرَى مِنْهُمْ الْأَيَّاتَ فِي مَكَانٍ ، وَمِثْلَهَا فِي مَكَانٍ آخَرَ ، عَلَى عَمَلِ الْبَادِيَةِ وَتَنْقَلِبُهُمْ ، وَإِذَا هُمْ فِي شَقَاءٍ . وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ كَالْحَمِيرِ الضَّالَّةِ لَا يَدِينُونَ لِلَّهِ بِدِينَ وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى عَقْلِ ، وَلَا يَمْبُدُونَ شَيْئًا ، بَلْ يُسَمَّوْنَ كِبَرَاءَهُمْ أَرْبَابًا . فَإِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُهُمْ رَئِيسَهُ فِي شَيْءٍ قَالَ لَهُ : « يَارَبِّ إِيشْ أَعْمَلْ فِي كَذَا وَكَذَا ؟ » (وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ^(٣)) غَيْرَ أَنَّهُمْ مَتَى اتَّفَقُوا عَلَى شَيْءٍ وَعَزَمُوا عَلَيْهِ^(٤) جَاءَ أَرَذْلَهُمْ وَأَخْسَهُمْ فَتَقْضُ مَا قَدْ أَجْمَعُوا^(٥) عَلَيْهِ .

(١) في المخطوطة : « فلم قطعنا وأفطينا » وهي تصحيف سوبناه .

(٢) في ياقوت ١ / ٨٤٠ : « وذكر أحمد بن محمد الهمداني عن أبي العباس عيسى بن محمد المروزي قال : لم نزل نسمع بالأمام التي من وراء النهر وغيرها من الكور الموازية لبلاد الترك الكفورة الغزبية ، والتغزغزية والحزبلية » - وفي الاصطخري ، طبعة ليدن ص ٩ : « وديار الأتراك متميزة . فأما الغزبية فإن حدود ديارهم ما بين الحزر وكياك » - وفي دائرة المعارف الإسلامية ٢ / ١٧٨ لبرتوك أن الغزبيين سكنوا منذ القرن الرابع قرب بخارا ومشوا على أطراف الفولغا وإلى الدانوب ، وعمرها شرقي أوروبا والسلجوقيون جاءوا من الغز .

(٣) انظر القرآن الكريم سورة شورى ٤٢ / ٣٨ وقامها : « والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون » .

(٤) وفي الأصل : « ثم جاء » فحذفنا « ثم »

(٥) في الأصل وفي وليدي : « ما قد جمعوا » فقرأينا أن نربها كما ترى .

رحلة ابن فضال - عند الغزبية

وَسَمِعْتُهُمْ يَقُولُونَ: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ)، تَقْرُبًا بِهَذَا الْقَوْلِ [٢٠٠و] إِلَى مَنْ يَحْتَازُ بِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا اعْتِقَادًا لِدَلَالَتِهِ . وَإِذَا ظَلِمَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ جَرَى عَلَيْهِ أَمْرٌ يَكْرَهُهُ ، رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَقَالَ : « يَبْرُ تَنْكِرِي » وَهُوَ بِالْتُرْكِيَّةِ « اللَّهُ الْوَاحِدُ »^(١) . لِأَنَّ « يَبْر » بِالْتُرْكِيَّةِ : « وَاحِدٌ » ؛ وَتَنْكِرِي : « اللَّهُ » بِلُغَةِ التُّرْكِ . وَلَا يَسْتَنْجُونَ مِنْ غَائِطٍ وَلَا بَوْلٍ ؛ وَلَا يَغْتَسِلُونَ مِنْ جَنَابَةِ وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ . وَلَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَاءِ عَمَلٌ ، خَاصَّةً فِي الشَّيْءِ . وَلَا يَسْتَتِرُ نِسَاؤُهُمْ مِنْ رِجَالِهِمْ وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ . وَكَذَلِكَ لَا تَسْتَرِ الْمَرْأَةُ شَيْئًا مِنْ بَدَنِهَا عَنْ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

* * *

وَلَقَدْ نَزَلْنَا يَوْمًا عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ فَجَلَسْنَا ، وَامْرَأَةُ الرَّجُلِ مَعَنَا ، فَبَيْنَمَا هِيَ تُحَدِّثُنَا إِذْ كَشَفَتْ فَرْجَهَا وَحَكَّتْهُ^(٢) . وَنَحْنُ نَنْظُرُ إِلَيْهَا فَسَتَرْنَا وَجُوهَنَا ، وَقُلْنَا : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ » فَضَحَكَ زَوْجُهَا ، وَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : « قُلْ لَهُمْ تَكْشِفُهُ بِحَضْرَتِكُمْ فَتَرَوْنَهُ وَتَصُونُونَهُ^(٣) فَسَلَا يُوصَلُ إِلَيْهِ ، هُوَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعْطِيَهُ وَتُمْكِنَ مِنْهُ » .

(١) فِي الْأَصْلِ الْمَخْطُوطِ : « بِاللَّهِ الْوَاحِدِ » وَلَيْسَ فِي الْجُمْلَةِ التُّرْكِيَّةِ حَرْفُ جَرٍ ، فَلَمَّا « اللَّهُ الْوَاحِدُ » .

(٢) نَحْنُ نَسْتَفْظِعُ الْإِظْفَافَ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَلَكِنْ الْقَدَمَاءُ نَبَا ظَهَرَ لَنَا لَمْ يَكُونُوا عَلَى ذَلِكَ نَظَرْنَا ، لِذَلِكَ أَبْقَيْنَا مَا جَاءَ فِي النَّصِّ ، أَمَانَةً ، وَعَمَلًا بِأَنَّهُ لَا حَيَاءَ فِي الدِّينِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَتَصُونُونَهُ » وَيُقَارِعُ وَلِيَدِي أَنْ تَكُونَ : « وَتَصُونُونَهُ » .

وليس يعرفون الزنا . وَمَنْ ظَهَرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَعْلِهِ شَقَّوهُ
بِنِصْفَيْنِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَجْمَعُونَ بَيْنَ أَغْصَانِ شَجَرَتَيْنِ ، ثُمَّ يَشْدُونَهُ بِالْأَغْصَانِ ،
وَيُرْسِلُونَ الشَّجَرَتَيْنِ فَيَنْشِقُ الَّذِي شَدَّ إِلَيْهِمَا ^(١) .

وَقَالَ بَعْضُهُمْ ، وَسَمِعَنِي [أَقْرَأَ] ^(٢) قَرَأْنَا ، فَاسْتَحْسَنَ الْقَرَأَنَ ، وَأَقْبَلَ
يَقُولُ لِلتَّرْجَمَانِ قُلْ لَهُ : « لَا تَسْكُتْ » . وَقَالَ لِي هَذَا الرَّجُلُ يَوْمًا عَلَى
لِسَانِ التَّرْجَمَانِ : « قُلْ لِهَذَا الْعَرَبِيِّ : أَلَرَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ أُمْرَأَةٌ ؟ ! فَاسْتَعْظَمْتُ
ذَلِكَ ، وَسَبَّحْتُ اللَّهَ ، وَاسْتَغْفَرْتُهُ ؛ فَسَبَّحَ وَاسْتَغْفَرَ كَمَا فَعَلْتُ . وَكَذَلِكَ
رَسَمُ التَّرْكِيِّ كُلَّمَا سَمِعَ الْمُسْلِمُ يَسْبِيحُ وَيَهْلِلُ قَالَ مِثْلَهُ .

* * *

٨

وَرَسُومٌ تَزْوِيجُهُمْ ، وَهُوَ أَنْ يَخْطُبَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِلَى الْآخَرِ بَعْضَ حَرَمِهِ ،
إِمَّا ^(٣) ابْنَتَهُ أَوْ أُخْتَهُ أَوْ بَعْضَ مَنْ يَمْلِكُ أَمْرَهُ ، عَلَى كَذَا وَكَذَا ثَوْبٍ
خُورَزْمِيٍّ ، فَإِذَا وَافَقَهُ ^(٤) حَمَلَهَا إِلَيْهِ ، وَرَبَّمَا كَانَ الْمَهْرُ جَمَالًا ^(٥) أَوْ دَوَابَّ

(١) فِي الْأَصْلِ : شَيْلَهَا « وَلَمَّا كَانَتْ وَضَعَهَا .

(٢) أَضْفَيْنَا الْفِعْلَ لِلْسِّيَاقِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ الْمَخْطُوطُ : « أَنَا ابْنَتُهُ » وَهِيَ تَصْغِيرٌ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَصَوَابِهَا : « إِمَّا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ الْمَخْطُوطُ كَذَلِكَ : « فَإِذَا وَافَقَهُ » وَلَمَّا : « فَإِذَا وَافَقَهُ » أَوْ وَافَقَهُ « أَوْ لَمَّا يَرِيدُ أَنْ
يَقُولَ : « فَإِذَا وَافَقَهُ بِمَا طَلَبَ » ، أَوْ « وَفَاهُ مَا طَلَبَ » .

(٥) أَخْطَأَ النَّاسُخُ فِي النُّحْرِ فَجَعَلَهَا « جَمَالٌ » فَصَوَّبْنَاهَا .

رحلة ابن فضال - عند الفرية

أو غير ذلك . وليس يصل الواحد إلى امرأته حتى يوفي الصداق الذي قد واقف وليها عليه ، فإذا وفاق إياه جاء غير مُحْتَشِمٍ حتى يَدْخُلَ إلى المنزل الذي هي فيه ، فيأخذها بحضرة أبيها وأُمها وإخوتها ، فلا يمنعونها من ذلك .

[٢٠٠ظ] وإذا مات الرجل وله زوجة وأولاد تزوج الأكبر من ولده || بامرأته إذا لم تكن أُمّه . ولا يقدر أحد من التجار ولا غيرهم أن يَغْتَسِلَ مِنْ جَنَابَةِ بحضرتهم إلا ليلاً من حيث لا يرونه . وذلك أنهم يَغْضِبُونَ ويقولون : « هذا يريد أن يسحرنا لأنه قد تَفَرَّسَ^(١) في الماء » ، ويغرمونه مالا .

ولا يقدر أحد^(٢) من المسلمين أن يجتاز ببلدهم حتى يحمل له منهم صديقاً ينزل عليه ، ويحمل له من بلد الإسلام ثوباً ، ولا مرأته مقنعة^(٣) ، وشيئاً من فلفل^(٤) ،

(١) في الأصل : « تفرس » بالفتح بعد الناء ، وسواها مارسنا ، وتفرس الرجل إذا ثبت وأمل وانظر ، في الأصل .

(٢) في المخطوطة « أحدهن من » وهو سهو من قلم الناسخ حين رسم « هن » زائدة بعد الناء .

(٣) المقنعة : غطاء من قماش يحمله الرجل والمرأة على رأسها ، ولعلها برقع على وجه النساء ، كما في مجمع الملائس لدروزي ٣٧٧ وفي ابن بطوطة طبعة باريس ٢ / ٣٨٨ في الحديث عن البلقار في الفولنا ، قوله : « وعلى رأس البوزيرة والحاجية مقنعة حرير مزركشة الحواشي بالذهب والجواهر » .

(٤) يقول باقرت عن الفافل ٣ / ٥٣ : « فشهدت نباهه ، وهو شجر عادي لا يزول الماء من نغته ، فإذا هبت الريح تساقط حبه » . ما يزال الفافل يستعمل إلى اليوم .

وَجَاوَرَسَ ، وَزَيْدِيبَ ، وَجَوْزَ ، فَإِذَا قَدَمَ عَلَى صَدِيقِهِ ضَرَبَ لَهُ قُبَّةً^(١) ،
وَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنَ النِّعَمِ عَلَى قَدَرِهِ ، حَتَّى يَتَوَلَّى الْمُسْلِمُ ذُبْحَهَا لِأَنَّ التَّرِكَ
لَا يَذْبَحُونَ وَإِنَّمَا يَضْرِبُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ رَأْسَ الشَّاةِ حَتَّى تَمُوتَ .

* * *

وَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ الرَّحِيلَ^(٢) وَقَدْ قَامَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ جِمَالِهِ
وَدَوَابِّهِ أَوْ أُحْتَاجَ إِلَى مَالٍ تَرَكَ مَا قَدْ قَامَ عِنْدَ صَدِيقِهِ التُّرْكِيِّ ، وَأَخَذَ مِنْ
مِنْ جِمَالِهِ وَدَوَابِّهِ وَمَالِهِ حَاجَتَهُ ، وَرَحَلَ . فَإِذَا حَادَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي يَقْصُدُهُ
قَضَاءَ مَالِهِ ، وَرَدَّ إِلَيْهِ جِمَالَهُ وَدَوَابِّهِ .

* * *

وَكَذَلِكَ لَوْ أُجْتَازَ بِالتُّرْكِيِّ إِنْسَانٌ لَا يَعْرِفُهُ ثُمَّ قَالَ : « أَنَا ضَيْفُكَ ، وَأَنَا
أُرِيدُ مِنْ جِمَالِكَ وَدَوَابِّكَ وَدِرَاهِمُكَ » دَفَعَ إِلَيْهِ مَا يَرِيدُ . فَإِنْ مَاتَ التَّاجِرُ
فِي وَجْهِهِ ذَلِكَ ، وَعَادَتِ الْقَافِلَةُ لِقِيَمِهِمُ التُّرْكِيُّ ، وَقَالَ : « أَيْنَ ضَيْفِي ؟ »
فَإِنْ قَالُوا : « مَاتَ » حَطَّ الْقَافِلَةُ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى أَنبَلِ تَاجِرٍ يَرَاهُ فِيهِمْ ، فَحَلَّ
مَتَاعَهُ وَهُوَ يَنْظُرُ ، فَأَخَذَ مِنْ دِرَاهِمِهِ مِثْلَ مَالِهِ عِنْدَ ذَلِكَ التَّاجِرِ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ
حَبَّةً ، وَكَذَلِكَ يَأْخُذُ مِنَ دَوَابِّهِ وَجِمَالِهِ ، وَقَالَ : « ذَلِكَ ابْنُ عَمِّكَ ،

(١) القبة : بالضم - بناء سقفه مستدير مقعر ، معقود بالحجارة أو الآجر على هيئة الخيمة ، جمعها قباب وقباب .

(٢) في الأصل بالخطوط : « الرجل » وهي تصحيف بلا شك فلا معنى لها ، وإنما صوابها مارسينا لأن الجملة
بمدها تفسر المراد حين يقول : « ورحل » .

وَأَنْتَ أَحَقُّ مِنْ غُرِمَ عَنْهُ « وَإِنْ فَرَ فَعَلَ أَيْضًا ذَلِكَ الْفَعْلَ . وَقَالَ لَهُ
 « ذَلِكَ مُسْلِمٌ مِثْلُكَ ، خَذْ أَنْتَ مِنْهُ » . وَإِنْ لَمْ يُوَافِقِ الْمُسْلِمَ ضَيْفُهُ
 فِي الْجَادَّةِ ^(١) ، سَأَلَ عَنْ بِلَادِهِ ^(٢) : « أَيْنَ هُوَ » فَإِذَا أُرْشِدَ إِلَيْهِ سَارَ فِي
 طَلَبِهِ مَسِيرَةَ أَيَّامٍ حَتَّى يَصِيرَ إِلَيْهِ ، وَيَرْفَعُ مَالَهُ عِنْدَهُ ، وَكَذَلِكَ مَا يُهْدِيهِ لَهُ .
 وَهَذِهِ أَيْضًا سَبِيلُ التَّرْكِيِّ إِذَا دَخَلَ « الْجَرَجَانِيَّةَ » سَأَلَ عَنْ ضَيْفِهِ
 فَتَزَلَّ عَلَيْهِ حَتَّى يَرْتَحِلَ . وَمَتَى مَاتَ التَّرْكِيُّ عِنْدَ صَدِيقِهِ الْمُسْلِمِ ، وَاجْتَازَتْ
 الْقَافِلَةُ فِيهَا صَدِيقَهُ قَتَلُوهُ ، وَقَالُوا : « أَنْتَ قَتَلْتَهُ بِجَبْسِكَ || إِيَّاهُ ، وَلَوْ
 لَمْ تَجْبِسْهُ لَمَا مَاتَ » . وَكَذَلِكَ إِنْ سَقَاهُ نَبِيذًا ^(٣) فَتَرَدَّى مِنْ حَائِطٍ ^(٤) قَتَلُوهُ
 بِهِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَافِلَةِ عَمِدُوا إِلَى أَجَلٍ مِنْ فِيهَا فَقَتَلُوهُ .

* * *

وَأَمْرُ الْاَلَوَاطِ عِنْدَهُمْ عَظِيمٌ جَدًّا . وَلَقَدْ نَزَلَ عَلَى حَيٍّ « كُوَذَرَكِينَ »
 — وَهُوَ خَلِيفَةُ مَلِكِ التَّرْكِ — رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ « خَوَارِزْمِ » فَأَقَامَ عِنْدَ ضَيْفٍ

(١) يرى أحد المستشرقين أن تكون الكلمة هنا : « فِي الْجَادَّةِ » ، وَلَكِنَّ الْجُمْلَةَ وَاضِحَةٌ تَعْنِي أَنَّ الْمُسْلِمَ لَمْ
 يُوَافِقْ فِي طَرِيقِهِ أَوْ فِي قَافِلَتِهِ ضَيْفَ التَّرْكِيِّ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « سَأَلَ عَنْ ثَلَاثَةِ » وَلا مَعْنَى لَهَا ، فَارْتَأَى أَحَدُ الْمُسْتَشْرِقِينَ أَنَّ تَكُونُ : « سَأَلَ عَنْ ثَلَاثَةِ
 أَوْ ثَلَاثَةِ أَوْ سَائِسِهِ » . وَلَكِنَّا نَرَى مَا وَضَعْنَا أَقْرَبَ لِلْسِّيَاقِ .

(٣) النَّبِيذُ : مَا يَبُذُّ مِنْ عَصِيرٍ وَلِحْوَةٍ ، سَمِيَ بِهِ لِأَنَّهُ يَبُذُّ أَيُّ يَتْرَكُ حَتَّى يَشْتَدَّ وَيُلْقَى فِي الْجَرَّةِ حَتَّى يَهْلِي بِجَمْعِهِ
 أَنْبَذَ — وَفِي النَّجَاحِ : « يَقَالُ لِلْخَمْرِ الْمُنْتَصَرِّ مِنَ الْعَنْبِ نَبِيذٌ » .

(٤) تَرَدَّى : سَقَطَ .

له مدة في ابتياع غنم . وكان للتركي ابن أمرد فلم يزل الخوارزمي يُداريه ويرأوده عن نفسه حتى طاوعه على ما أراد . وجاء التركي فوجدهما في بنيانٍهما ، ورفع التركي ذلك إلى « كوذركين » فقال له : « اجمع الترك » فجمعهم ، فلما ^(١) اجتمعوا ، قال للتركي ^(٢) : « بالحقّ تحبُّ أن أحكم أم بالباطل » ؟ قال : « بالحق » قال : « أحضر ابنك » ، فأحضره . فقال : « يحب عليه وعلى التاجر أن يقتل جميعاً » ، فامتعض التركي من ذلك ، وقال : « لا أسلم أبني » . فقال : « فيفتدي التاجر نفسه » ففعل . ودفع للتركي ^(٣) غنماً للفعل بابنه . ودفع ^(٤) إلى « كوذركين » أربعمئة شاة لما رفع عنه ، وارتحل عن بلد الترك .

* * *

٩

فأول من لقينا من ملوكهم ورؤسائهم ينال الصغير ^(٥) - وقد كان

(١) في المخطوطة : « فبنا » وصوابها ما رسمنا .

(٢) في الأصل : « قال التركي » والصواب أن يكون الغائل كوذركين للتركي ، والسياق يدل على ذلك في الجملة بعدها .

(٣) وهنا في الأصل : « ودفع التركي » وصوابها أن الذي دفع هو الخوارزمي .

(٤) في الأصل : « ودفع إل » ولعلّ صوابها : « ودفع » والذي بث الاضطراب في النص هو تكرار كلمة « دفع » .

(٥) هو في تواريتهم : « كرجوك ينال » - وهو ولي العهد - انظر مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٧٣ . (٧)

أسلم — فقيل له : « إن أسامت لم تروّسنا ^(١) » ؛ فرجع عن إسلامه .
 فلما وصلنا إلى الموضع الذي هو فيه ، قال : « لا أترككم تجوزون لأن
 هذا شيء ما سمعنا به قط ، ولا ظننا أنه يكون » . فرفقنا به إلى أن
 رضي بخفتان جرجاني يساوي عشرة دراهم ، وشقة باي باف ^(٢) ، وأقراص
 خبز ، وكف زبيب ، ومائة جوزة . فلما دفعنا هذا إليه سجد لنا .
 وهذا رسمهم إذا أكرم الرجل الرجل سجد له ، وقال : « لولا أن بيوتي
 نائية ^(٣) عن الطريق لملت إليكم غنماً وبراً ^(٤) » . وانصرف عنا وارتحلنا .
 فلما كان من غد لقينا رجل واحد من الأتراك ، دميم الخلقة ، رث
 الهيئة ، قمي المنظر ، خسيس المخبر ، وقد أخذنا مطراً شديداً فقال :
 « قفوا » . فوقفت القافلة بأسرها — وهي نحو ثلاثة آلاف دابة وخمسة
 آلاف رجل — ثم قال : « ليس يجوز منكم أحد » . فوقفنا طاعة
 لأمره . فقلنا له : « نحن أصدقاء كوذركين » . فأقبل || يضحك ويقول :
 [ظ ٢. « من كوذركين ؟ أنا أخرى ^(٥) على حية كوذركين » . . . ثم قال :

-
- (١) رؤس الرجل يرؤس رئاسة كان رئيساً . ولعل صوابها : « لن تروّسنا » .
 (٢) في الأصل : « باي تاف » وهو خطأ ، والباي ياف : لباس المرأة ، — وفي أحسن التقاسيم المقدسي ،
 ط . اوربة ، س ٣٢٣ : « وأما التجارات فترتفع من نيسابور ثياب البيض الحفية والبياف ، والمائم
 الشهجانية الحفية والمقانع » .
 (٣) في المخطوطة : « بيوتي نائية » وهي مصحفة ، وصوابها : اوضمناء .
 (٤) البُرُّ : بالضم - القمح ، والواحدة بُرّة .
 (٥) في الأصل : « أما أخرى » وصوابها ما كتبنا .

« يكند » : يعني الخُبَزَ بلغة خوارزم . فدفعْتُ إليه أقراصاً فأخذها وقال :
« مُرّوا قد رحمتكم » .

* * *

قال :

وإذا مرض الرجل منهم ، وكان له جوار وعبيد خدموه ولم يقربهُ
أحد من أهل بيته ، ويضربون له خيمة ، ناحية من البيوت ، فلا يزال فيها
إلى أن يموت أو يبرأ . وإن كان عبداً أو فقيراً رمّوا به في الصحراء
وارتحلوا عنه .

وإذا مات الرجل منهم حفرّوا له حفيرةً كبيرةً كهيئة البيت وعمدوا
إليه فألبسوه قرطقه ^(١) ومنطقته وقوسه ^(٢) . . . وجعلوا في يده قدحاً من
خشب فيه نبيذ ، وتركوا بين يديه إناء من خشب فيه نبيذ . وجاءوا
بكل ماله فجعلوه معةً في ذلك البيت . ثم أجلسوه فيه فسقفوا البيت عليه ،
وجعلوا فوقه مثل القبة من الطين ، وعمدوا إلى دوابه على قدر كثرتها ،
فقتلوا منها مئة رأس إلى مائتي رأسٍ إلى رأس واحد ، وأكلوا لحومها إلا
الرأس والقوائم والجلد والذنب ، فإنهم يصلبون ذلك على الخشب . وقالوا :
« هذه دوابه يركبها إلى الجنة » . فإن كان قتل إنساناً وكان شجاعاً نحتوا

(١) في الأصل : « قرطته » وهو تصعيف .

(٢) بمد هذه الكلمة بياض في المخطوطة قدر كلمة .

صوراً من خشب على عدد مَنْ قَتَلَ ، وجعلوها على قبره ، وقالوا : « هؤلاء غلمانہ يخدمونه في الجنة » . . .

وربما تنافلوا ^(١) على قتل الدواب يوماً أو يومين ، فيحشهم ^(٢) شيخ من كبارهم فيقول : « رأيتُ فلاناً - يعني الميتَ - في النومِ فقال لي : « هو ذا تراني وقد سبقني أصحابي وشققَت ^(٣) رجلاي من اتباعي لهم ، ولستُ ^(٤) ألحقهم ، وقد بقيت وحدي » . فمئذها يعمدون إلى دوابه فيقتلونها ويصلبونها عند قبره . فإذا كانَ بعدَ يومٍ أو اثنين جاءهم ذلك الشيخ وقال : « قد رأيتُ فلاناً وقال : عرّف أهلي وأصحابي أنّي قد لحقتُ ^(٥) مَنْ تقدّمني ، واسترحتُ من التعب » .

* * *

١٠

قال :

والترك كلهم ينتفون لحام إلا أسبلتهم ^(٦) . وربما رأيتُ الشيخ الهرم

(١) كذا في الأصل ، ولعلها « عن قتل » .

(٢) في الأصل : « فحشهم » - وفي طبعة وليدي : « فحشهم » ولعلها كما رسمنا .

(٣) يرى المستشرق المجري أن تكون : « شغفت » وشغفت الرجل خرجت بها الشغفات ، وهي قرحة في أسفل القدم - ولكننا لانرى وجوباً لذلك .

(٤) في الأصل : « وكب »

(٥) في المخطوط : « لحقتهم » وهي من الناسخ ، صوبناها .

(٦) أسبله وسبال : جمع سبله ، وهو الشارب .

منهم ، وقد نتف لحيته وترك شيئاً منها تحت ذقنه وعليه البوستين . فإذا
راه إنسان من بُعد لم يشك أنه تيس .

|| وملك الترك الفزنية يقال له : « يينغو »^(١) وهو اسم الأمير ، وكل من [٢٠٢ و]
ملك هذه القبيلة فبهذا الاسم يُسمى ، ويقال لخليفته « كوزكين » ، وكذا
كل من يخلف رئيساً منهم يقال له : « كوزكين » .

ثم نزلنا بعد ارتحالنا من ناحية هؤلاء بصاحب^(٢) جيشهم ، ويقال
له : « أترك بن القطغان » ، فضرب لنا قباباً تركية ، وأنزلنا فيها^(٣) وإذا
له ضبنة^(٤) وحاشية ، وبيوت كبيرة . وساق إلينا غنماً ، وقاد^(٥) دواب ،
لنذبح الغنم ونركب الدواب ، ودعا هو جماعة^(٦) من أهل بيته وبني عمه
فقتل لهم غنماً كثيرة .

وكنا قد أهدينا إليه هدية من ثياب ، وزبيب ، وجوز ، وفلفل ،
وجاؤرس ، فرأيت امرأته وقد كانت امرأة أبيض ، وقد أخذت لحماً ولبناً

(١) يينغو لقب لكثير من ملوك الأتراك - انظر مفاتيح العلوم ص ٧٣ حيث يقول ان جبويه هو ملك الفزنية .

(٢) في الأصل «صاحب جيشهم» فأضفنا الباء - وفي طبعة وليدي : « عند صاحب » - وهو سباشي في مفاتيح العلوم .

(٣) في الأصل : « وأنزلنا فيه » .

(٤) كلمة لم تنقل في الأصل ، فلعلها : « صبية » أو لعلها : « ضبنة » وهي على وزن فرجة ، الديال يضطربهم الرجل في كنفه وناحيته ، يقال خرج في ضبنته أي في أهله وعياله .

(٥) في الأصل : « وقادوا دواباً » ولعلها كما رسمنا .

(٦) في الأصل : « وجماعة » .

وشديئاً مما أتحفناه^(١) به ، وخرجت من البيوت إلى الصحراء فحفرت حفيرةً ودفنت الذي كان معها فيها ، وتكلمت بكلام ، فقلت للترجمان : « ما تقول » ؟ قال : « تقول هذه هدية للقطعان أبي^(٢) أترك ، أهداها^(٣) له العرب » . فلما كان في الليل دخلت أنا والترجمان إليه وهو في قبة جالس ، ومعنا كتاب نذير الحربي^(٤) إليه ، يأمره فيه بالإسلام ويحضه عليه ، ووجه إليه خمسين ديناراً ، فيها عدة دنائير مسيحية^(٥) ، وثلاثة مشاقيل مسك ، وجلود أديم وثياب^(٦) مروية ، وقطعنا له منها قرطقين^(٧) وخف أديم ، وثوب ديباج وخمسة أثواب حرير ، فدفعنا إليه هديته ودفعنا إلى امرأته مقنعة وخاتماً .

وقرأت عليه الكتاب فقال للترجمان : « لست أقول لكم شيئاً حتى ترجعوا^(٨) » وأكتب إلى السلطان بما أنا حازم عليه . ونزع الديباجة التي كانت عليه ليلبس الخلع — التي ذكرنا — فرأيت القرطق الذي

(١) في الأصل : « ألقنا » رأينا أن تكون : « ألقنا به » .

(٢) في الأصل : « أبو اترك » .

(٣) في الأصل : « أهدوها » بصورتها .

(٤) في الأصل هنا : « نذير الحرمين » وهو سمى من الناسخ ، وقد مرّ بنا اسمه في صدر الرسالة وعلقنا عليه في الحاشية .

(٥) كذلك صفت كلمة « مسيحية » وصوابها « مسيحية » وقد مرّت بنا وشرحناها .

(٦) في الأصل : « وثوبين مروية » فأصلها ، وهي نسبة إلى مرو .

(٧) في المخطوطة : « منها قرطبين » بصورتها .

(٨) في المخطوطة : « حتى ترجمون »

تحتها و [قد] ^(١) تقطع و نسخا ، لأن رسومهم أن لا ينزع الواحد منهم الثوب الذي يلي جسده حتى ينتثر قطعاً ، وإذا هو قد تنف لحيته كلها وسباله ، فبقي كالخادم . ورأيت الترك يذكرون أنه أفرسهم ولقد رأيت يوماً وهو يسايرنا ^(٢) على فرسه إذ مرت وزرة طائرة فأوتر قوسه ، وحرك دابته تحتها ، ثم رماها فإذا هو قد أنزلها .

* * *

فلما كان في بعض الأيام وجّه خلف القواد الذين يلونه وهم : طرخان ، وبنال ، وابن أخيهما ، وإيلغز ^(٣) . وكان طرخان أنبلهم وأجلهم ، [٢٠٢ظ] وكان أعرج أعمى أشل ، فقال لهم : « إن هؤلاء رسل ملك العرب إلى صهري ألمش بن شلكي ^(٤) ، ولم يُخَيَّر لي أن أطلقهم إلا عن مشورتكم » . فقال طرخان : « هذا شيء ما رأيناه قط ، ولا سمعنا به ، ولا اجتاز بنا رسول سلطان مذكنا نحن وآباؤنا ^(٥) . وما أظن إلا أن السلطان قد

(١) ردناها للسباق - وفي طبعة وليدي : « تنقطع » .

(٢) في الأصل : « وهو سايرنا » ولعلها كما صوبت .

(٣) قطعت الكباث هنا وبقي منها ما غمض رسمه : « وإن حمها وفلر » - فجعلناها كما تراءى لنا في قربه من اسمهم التركية - وفي طبعة وليدي يقترح : « وابن أخته » .

(٤) رأينا أن الناسخ رسم هذا الاسم في صدر الرسالة « الحسن بن بطوار » وعرفنا أن ياقوت رسمه كما جاء هنا ، وقد علقنا على أفعال العلماء فيه في الحاشية والمقدمة بما يغنينا عن الاعادة هنا - وفي ياقوت ٧٢٣/١ « المس بن شلكي بطوار » .

(٥) ولعل هذا دليل آخر على أن بعثة ابن فضلان هي الأولى من نوعها ، وأن رجالها هم أول من وطئ البلاد وزارها من قبل بغداد .

أَعْمَلَ الحِيلَةَ وَوَجْهَهُ هُوَ لَاءٌ إِلَى الْخَزَرِ لِيَسْتَجِيشَ بِهِمْ عَلَيْنَا ، وَالْوَجْهَ أَنْ يُقَطَعَ هُوَ لَاءُ الرِّسْلِ نَصْفَيْنِ نَصْفَيْنِ وَنَأْخُذُ مَا مَعَهُمْ .

وَقَالَ آخَرُ مِنْهُمْ : « لَا إِلََّا نَأْخُذُ مَا مَعَهُمْ وَنَتْرَكُهُمْ عُرَاةً يَرْجِعُونَ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا » . وَقَالَ آخَرُ : « لَا ، وَلَكِنْ لَنَا عِنْدَ مَلِكِ الْخَزَرِ أُسْرَاءُ فَنَبِيعُ بِهِمْ لَاءً تُقَادِي بِهِمْ أَوْلَئِكَ » . فَمَا زَالُوا يَتَرَاوَعُونَ بَيْنَهُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ ، وَنَحْنُ فِي حَالَةِ الْمَوْتِ ، حَتَّى أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ ^(١) عَلَى أَنْ يَخْلَوْا سَبِيلَنَا ، وَنَمْضِي . فَخَلَعْنَا عَلَى « طَرْخَانَ » خَفَتَانًا مَرْوِيًّا ^(٢) ، وَشَقَتَيْنِ بَابِي بَابٍ ، وَعَلَى أَصْحَابِهِ | كُلِّ وَاحِدٍ | ^(٣) قَرِطْقًا ^(٤) ، وَكَذَلِكَ عَلَى « يِنَالٍ » . وَدَفَعْنَا إِلَيْهِمْ فَلَفَلًا وَجَاوَرِسَ ، وَأَقْرَاصًا مِنْ خَبَرٍ . وَانْصَرَفُوا عَنَّا .

* * *

١١

وَرَحَلْنَا حَتَّى صَرْنَا إِلَى « نَهْرِ يَغْنَدِي » ^(٥) فَأَخْرَجَ النَّاسُ سَفَرَهُمْ ^(٦)

(١) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « أَجْمَعَ دَأْبَهُمْ » وَصَرَّاهَا مَا كَتَبْنَا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « خَفَتَانِ مَرْوِي » وَهِيَ خَطَأٌ ، فَأَصْلُهَا مِنْ حَيْثُ النَّحْوِ ، وَهِيَ نِسْبَةٌ كَذَلِكَ إِلَى مَرْوٍ -- كَمَا مَرَّ قَبْلُ قَلِيلٍ -- .

(٣) نَاقِصَةٌ أَضْفَعْنَا لِتَامِ الْمُبَارَةِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « قَرِطْقُ قَرِطْقٍ » وَحَقُّهَا النِّصْبُ .

(٥) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « نَهْرُ يَغْنَدِي » - وَهُوَ نَهْرُ يَغْنَدِي أَوْ يَنْدِي كَمَا فِي مَقَالَةِ الْمُسْتَشْرِقِ فَرَّاسٍ ص ٢٦ إِذْ يَرْسُهُ JAGINDI وَهُوَ الْآنَ نَهْرُ زَايَنْدِي Zayindi ، فَرَعَ لِنَهْرِ كِيم Kimba -- انْظُرْ تَعْلِيقِي الطَّبْعَةِ الرُّوسِيَّةِ ص ١٠٠ .

(٦) فَإِنَّا أَنْ السَّفَرِ هِيَ جَمْعُ سَفَرَةٍ ، الْمَرْكَبُ أَوْ السَّفِينَةُ ، وَعَلَقْنَا بِأَنَّهَا مَصْنُوعَةٌ مِنْ جُلُودِ الْجِالِ . كَمَا يَقُولُ ابْنُ فَضْلَانَ نَفْسَهُ هُنَا -- انْظُرْ اسْتِمْعَالَ السَّفَرِ فِي السَّكَّالِ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٩/٣٣٤ (سَنَةِ ٦١٧ هـ) .

وهي من جلود الجمال فبسطوها ، وأخذوا بالأثاث^(١) من الجمال التركية لأنها مدوّرة فجعلوها في جوفها ، حتى تمتد ، ثم حشوها بالثياب والمتاع ، فإذا امتلأت جلس في كلّ سفرة جماعة من خمسة وستة وأربعة ، وأقل وأكثر ، ويأخذون بأيديهم خشب الخدنك^(٢) فيجعلونه كالمجاديف ، ولا يزالون يحدفون والماء يحملها وهي تدور حتى نعب . فأما الدواب والجمال فإنه يُصاح بها فتمبر سباحة ، ولا بد أن تمبر جماعة من المقاتلة ومعهم السلاح ، قبل أن يعبر شيئا من القافلة ، ليكونوا طليعة للناس خيفة^(٣) من « الباشنرد »^(٤) أن يكبسوا الناس وهم يعبرون .

فعبّرنا « يغندي » على هذه الصّفة التي ذكرنا . ثم عبّرنا بعد ذلك نهرآ يقال له « جام »^(٥) في السّفَر أيضاً ، ثم عبّرنا « جاجش »^(٦) ، ثم

(١) في الأصل : « بالاث » ولا معنى لها ، فلعلها : « بالاث » أو لمالكها وضع وليدي : « بالاث من الجبال » .

(٢) شجر الخدنك : هو الحور الأبيض كما في دوزي ، Peuplier .

(٣) في الأصل المخطوط : « خليفة من الباشنرد » ولا نجد لها معنى ، وإنما نقترح أن تكون « خيفة من الباشنرد » تشبهاً مع السباق ، وهو الخوف من قوم الباشنرد .

(٤) يقول ياقوت ١/٦٨٤ ، أن الباشنرد هم باش جرد أو باش قرد ، من الأتراك ، وهم شر هذه الأنعام ثم يتحدث عنهم لينقل عن ابن فضلان كما سنرى بعد قليل .

(٥) يرى رأي انه « نهر جيم » Gim وسنأخذ عنه تحقيقاته في الأنهار التالية - كما جاء في مقاله بالإنكليزية ص ٢٦ .

(٦) هو نهر « ساجر » Sagir .

« أذل »^(١) ، ثم « أردن »^(٢) ، ثم « وارش »^(٣) ثم « أختي »^(٤) ، ثم « وتبا »^(٥) .
وهذه كلها أنهار كبار .

* * *

عند البجناك | ثم صرنا بعد ذلك إلى البجناك^(٦) وإذا هم | نزول^(٧) على ماء شبيهة
[٢٠٣] | بالبحر غير جار وإذا هم سمر شديدو^(٨) الشمرة || وإذا هم محلّقو^(٩) اللّحي ،
فقراء ، خلاف الغزيرة . لأنني رأيتُ من الغزيرة من يملك عشرة آلاف دابةً
ومائة ألف رأس من الغنم . وأكثر ما ترعى من الغنم ما بين الثلج تبحتُ

(١) هو الآن نهر « أوبيل (Oyil) » .

(٢) هو الآن نهر « زاكسباي (Zaqsilbay) » على الأغلب .

(٣) له اليوم باسم نهر « كالداغيتي (Yaldagayti) »

(٤) له اليوم فرع من نهر « أشي صاي (Ashi say) » .

(٥) رسمه في المخطوطة : « وينا » ويقترح المستشرق أن يقرأ « وتبا » أو « أوتبا » ، وهو فرع من الأورال (Yayitq) . رسم المستشرق طريق سيره ومكانه .

(٦) البجناك : قبيلة من الأتراك ، من قبائل الغز من القفجق ، وهم في أصلهم من تركستان الصينية ، وكانت مساكنهم في الأورال والقوقاز بجوار الخزر . وكان الغز في الشمال الشرقي ، وقد طردهم الغز حوالي سنة ٨٦٠ لميلاد فلم يصادف ابن فضلان منهم إلا قليلاً - انظر دائرة المعارف الإسلامية ٣ / ١١٠٧ .
Peceneges ، والقفجق كانوا يعيشون في شمالي البجناك ، ووصف يافوت البجناك ٣ / ٤٦ ؛ نقلاً عن أبي دلف مسهر بن المهمل . وارجع كذلك إلى نخبة الدهر لشيعن الروة ٢٦٤ حيث يقول : « أما القفجق ، فسكانهم في جبال وغياض من وراء دربند شروان مما يلي بحر الروس ، ولهم عليه مدينتان اسمها سرداق والبحر ينسب إليها » ودربند هنا « عقبة صلبة ضيقة » وبحر القفجق هو بحر آزوف المشهور

(٧) يباين في الأصل ملأناه بما ترى قمشياً مع السباق وفي طبعة ولبيدي : « نزولوا على » .

(٨) في الأصل : « شديدي » وصوابها مارسما .

(٩) وقد رسم الناسخ كذلك « غلققي » خطأ .

بأظلافها تطلب الحشيش ، فإذا لم تجده قضمّت الثلج فسمّنت غاية السمن .
فإذا كان الصيف وأكلت الحشيش هزلت ، فنزلنا على البجناك يوماً واحداً .
ثم ارتحلنا فنزلنا على « نهر جيخ »^(١) وهو أكبر نهر رأيناه ، وأعظمه ،
وأشدّه جرية . ولقد رأيت سُفْرَةً انقلبت فيه فغرق من كان فيها ، وذهبت
رجال كثير من الناس ، وغرقت عدة جمال ودواب ، ولم نعبّرهُ إلا بجهد .
ثم سرنا أياماً ، وعبرنا « نهر جاخا »^(٢) ثم بعده نهر « أرخز »^(٣) ثم
« باجاغ »^(٤) ثم « سمور »^(٥) ثم « كنال »^(٦) ثم نهر « سوخ »^(٧) ثم نهر « كنجلو »^(٨) .

* * *

ووقفنا^(٩) في بلد قومٍ من الأتراك يقال لهم « الباشغرد » ، فحذرناهم
أشدّ الحذر . وذلك أنهم شر الأتراك وأقذرهم^(١٠) وأشدّهم إقداماً على القتل

(١) كذا رسم في الأصل ، وقد حار المستشرقون في معرفة اسمه ومكانه ، فرأى بعضهم أنه فرع « جيحون »
وعجز رأي عن التعليق عليه .

(٢) نهر جاخا أو جاخان « واسمه الآن جاجان Gagan » ، كما يرى رأي من ٢٧ .

(٣) نهر أرخز ، له « تالفوكا Talvoka » بين الأورال والقوقاز .

(٤) نهر باجاغ هو الآن « موشا Moca » فرع لفولنا .

(٥) نهر سمور هو الآن « سامار ، أو سَمَار Samar .

(٦) في الأصل : « كبال » وصوابه « كنال » وهو نهر « كينل Kinel » .

(٧) في المخطوطة : « موح » وصوابه « سوخ » وهو « سوك Sok » .

(٨) في الأصل : « كنجلو » وله الآن « كوندورشا Qundurca » .

(٩) في المخطوطة عننا : « فوقفنا » - وفي ياقوت : « ووقفنا » .

(١٠) في الأصل بالمعجمة بلعلها : « وأقذرهم » بالدال المهملة كما في ياقوت .

رحلة ابن فضال - عند الباشقرد

يلقى الرجلُ الرجلَ فيفزر^(١) هامةً ، ويأخذها ، ويتركه . وهم يخلقون
الحام ، ويأكلون القمل ، يتتبع الواحدُ منهم درز^(٢) قُرطقه ، فيقرض القمل
بأسنانه . ولقد كان معنا منهم واحد قد أسلم ، وكان يخدمنا فرأيتُه وجد
قملة في ثوبه ، فقصصها^(٣) بظفره ، ثم لحسها ؛ وقال لما رأيته : « جيد^(٤) »
وكل واحدٍ منهم ينحت خشبة على قدر الإحليل^(٥) ويعلقها عليه ،
فإذا أراد سفرًا أو لقاء عدو^(٦) قبلها ، وسجد لها ، وقال : « يا رب
افعل بي كذا وكذا » ، فقلت للترجمان : « سل بعضهم ما حاجتهم في هذا ،
ولم جعله ربه ؟؟ » قال : « لأني خرجت من مثله فليست^(٧) أعرف لنفسي
خالقًا غيره » .

ومنها من يزعم أن له اثني^(٨) عشر ربًا : للشَّيء ربٌّ وللصيف ربٌّ ،

(١) في المخطوطة : « موز » بغير نقط ، ولعلها : « يفزر » كما في ياقوت وفزر بمعنى نسخ وشق وكسر ،
يقال نزر أنفه وفزر بمعنى لثت .

(٢) في الأصل : « درز » - وفي ياقوت : « دروز » . والدروز : الارتفاع الذي يحصل في الثوب إذا
جمع طرفاه في الخياطة ، فارسي معرب ، جمعه دروز ، يقال دق الخياط الدروز ، وما تزال تسمى
كذلك إلى اليوم .

(٣) قصص القملة بظفره أو بين ظفريه ؛ قتلها .

(٤) هذه العبارة غامضة في الأصل رسماً للناسخ كما يلي : « وقال الراي حيدر » وقد اقترح فرعون هذه
الرواية التي ضمنها في النص ، فهي « جيد » أو « جيدة » .

(٥) في المخطوطة عندنا : « الإحليل » . وفي ياقوت : « قد نحت خشبة على قدر الأكليل » - ونسختنا
أصوب ، والسياق يفسر معنى الكلمة فلا حاجة بنا إلى شرحها .

(٦) في نسختنا : « أو لقي عدو » - وفي ياقوت : « أو لقاء عدو » وهي أصوب ففشناها على ما عندنا .

(٧) في مخطوطتنا : « وأيس أعرف » - وفي ياقوت : « فليست أعرف لنفسي موجدًا غيره » .

(٨) في نسختنا : « ان له اثنا عشر » وهو من جهل الناسخ بالنحو .

وللمطر رب ، وللريح رب ، وللشجر رب ، وللناس رب ، وللدواب رب |
وللماء رب وللليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ؛ وللأرض رب^(١) .
والرب الذي في السماء أكبرهم ؛ إلا أنه^(٢) يجتمع مع هؤلاء باتفاق ، ويرضى
كل واحد منهم بما يعمل شريكه . تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً^(٣) .
ورأينا طائفةً منهم تعبد الحيات ، وطائفة تعبد السمك ، وطائفة
تعبد || الكراكي^(٤) . فعرفوني أنهم كانوا يحاربون قوماً^(٥) من أعدائهم [٢٠٣ظ]
فهزموهم ، وأن الكراكي صاحت وراءهم ففزعوا وانهمزوا ، بعدما هزموا ،
فعبدوا الكراكي لذلك . وقالوا : « | هذه ربنا و | »^(٦) هذه فعالاته . هزم
أعدائنا « فهم يعبدونها لذلك^(٧) .

(١) ذكرت نسختنا ستة أبواب لحب ، ولكن ياقوت ١ / ٤٦٩ زاد فيها حتى بلغت ثلاثة عشر فقال :
« لاشتاء رب وللصيف رب » ، وللماء رب ، وللليل رب ، وللنهار رب ، وللموت رب ، وللحيات رب ،
وللأرض رب « فأضفنا الناص عنه ، وافترضنا سقوط سطر من الناص ، لتكرار الكلمة ، وهذا كثير
الوقوع عند من ينسخ مثل هذه العبارة .

(٢) في المخطوطة : « لأنه يجتمع » - وفي ياقوت : « إلا أنه » وهي أصوب نجعلناها في المتن .

(٣) في ياقوت : « جل ربنا عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً » - وقد اقتبس ابن فضلان كلامه
من القرآن الكريم ، ففي سورة الأسرى ١٧ / ٤٢ : « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا ينفخوا
إلى ذي العرش سيلاً سبعا نه وتمسألى عما يقولون علواً كبيراً » .

(٤) الكسري : طائر يقرب من الوز ، أبيض الذنب ، رمادي اللون ، يأوي الماء أحياناً ، جمه كراكي .

(٥) في الأصل : « أنوما » ويرى ريت أن تكون ، قوماً « وهي أصوب .

(٦) في ياقوت : « وقالوا هذه ربنا لأنها هزمت أعداءنا فعبدوها لذلك » وافترضنا سقوط هذه الجملة ، ليمود
إليها ضمير « فعلااته » .

(٧) ويضبط ياقوت معلقاً ١ / ٤٦٩ ، فيقول انه رأى من الباشقردية في حب ، وم شقر الشعور والوجوه
جداً ، ينفذون على مذهب أبي حنيفة . وذكر موقع بلادهم وسبب اسلامهم وفي كلامه كثير من البعد
عن الواقع .

قال :

وسرنا من بلد هؤلاء فمبنا « نهر جرمشان »^(١) ثم نهر « أورن »^(٢)
 ثم نهر « أورم »^(٣) ثم نهر « بايناخ »^(٤) ثم نهر « وتيغ »^(٥) ثم نهر
 « نياسنه » ثم نهر « جاوشيز »^(٦) . وبين النهر والنهر — مما ذكرنا —
 اليومان والثلاثة والأربعة ، وأقل من ذلك وأكثر .

* * *

-
- (١) في الأصل بغير نقط ، وقد ذكره فراي س ٢٧ وجعل اسمه « نهر جرمشان Girimsan » .
 (٢) هو الآن نهر « أوران U'ran » .
 (٣) هو الآن نهر « أورم Urem » .
 (٤) يرى زكي وليدي أنه نهر « ماينا Mayna » .
 (٥) في الأصل بغير نقط ، وهو الآن نهر أوتكا « Uika » من الروسية Lidga ، كما يرى كوفالفسكي .
 (٦) يرى فراي أنه « أكتاي Aqtay » . وهذه آخر تمايزات المشرق فراي في مقالته عن الأنهار والمدن .

[الصقبة]

فَلَمَّا كُنَّا مِنْ مَلِكِ الصَّقَالِبَةِ^(١) وَهُوَ الَّذِي قَصَدْنَا^(٢) لَهُ عَلَى مَسِيرَةِ يَوْمٍ [الصقالبة] وَلَيْلَةٍ، وَجَّهَ لَاسْتِقْبَالِنَا الْمُلُوكَ الْأَرْبَعَةَ الَّذِينَ تَحْتَ يَدِهِ وَإِخْوَتَهُ^(٣) وَأَوْلَادَهُ، فَاسْتَقْبَلُونَا وَمَعَهُمُ الْخُبْزُ وَاللَّحْمُ وَالْجَاوِرْسُ وَسَارُوا مَعَنَا.

فَلَمَّا صَرْنَا مِنْهُ عَلَى فَرَسَيْنِ تَلَقَّانَا هُوَ بِنَفْسِهِ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّا نَزَلْ فِخْرٌ سَاجِدًا شُكْرًا لِلَّهِ - جَلَّ وَعَزَّ - وَكَانَ فِي كَفِّهِ دِرَاهِمَ فَنَثَرَهَا عَلَيْنَا، وَنَصَبَ لَنَا قُبَابًا فَنَزَلْنَاهَا^(٤).

وَكَانَ وَصُولُنَا إِلَيْهِ يَوْمَ الْأَحَدِ لَا تَنْتَهِ عَشْرَةُ لَيْلَةٍ خَلَّتْ مِنَ الْمَحْرَمِ سَنَةِ عَشْرٍ وَثَلَاثُمِائَةٍ. فَكَانَتْ الْمَسَافَةُ مِنَ الْجُرْجَانِيَّةِ^(٥) إِلَى بَلَدِهِ سَبْعِينَ يَوْمًا. فَأَقَمْنَا يَوْمَ الْأَحَدِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثَّلَاثَاءِ وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ فِي الْقُبَابِ الَّتِي ضُرِبَتْ لَنَا حَتَّى جَمَعَ الْمُلُوكُ وَالْقَوَادَّ وَأَهْلَ بَلَدِهِ^(٦) لِيَسْمَعُوا قِرَاءَةَ الْكِتَابِ.

(١) نقل ياقوت هذا الفصل كذلك إلى معجمه كما ذكرنا في المقدمة، بعنوان بلغار ١ / ٧٢٣ : « وَفَرَأْتُ رِسَالَةً عَمَّا أَحَدُ بَنِ فَضْلَانَ ... » وعلمها نقابل ما في نسختنا -- انظر تفرغ البلدان ٢١٦ ، نخبه الدهر ٢٦١ حيث يحددان موضع بلغار أو بلار .

(٢) في الأصل : « قصدناه » .. وفي ياقوت : « قصدنا له » .

(٣) في الأصل : « تحت يده وإخوانه » . وفي ياقوت : « تحت يديه وإخوانه » .

(٤) في نسختنا : « فنزلها » . وفي ياقوت : « فنزلناها » وهي أصوب .

(٥) في ياقوت : « وكانت المسافة من الجرجانية وهي مدينة خوارزم سبعين يوماً » .

(٦) في ياقوت : « حتى اجتمع ملوك أرضه وخواصه لسموعا قراءة الكتاب »

فلما كان يوم الخميس واجتمعوا نشرنا المطردين^(١) اللذين كانا معنا ،
وأسرجنا الدابة بالسرج الموجه إليه^(٢) ، وألبسناه السواد^(٣) وعممناه ،
وأخرجت كتاب الخليفة . وقلت له : « لا يجوز أن نجلس والكتاب
يقرأ » فقام على قدميه^(٤) هو ومن حضر من وجوه أهل مملكته ، وهو
رجل بدين بطين^(٥) جداً .

وبدأت فقرأت صدر الكتاب . فلما بلغت منه : « سلام عليك
فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو » . قلت : « ردّ على أمير المؤمنين
السلام » فردّ ، وردّوا جميعاً بأسرهم ، ولم يزل الترجمان يترجم لنا حرفاً حرفاً .
فلما استتمنا قراءته^(٦) كبروا تكبيرة^(٧) ارتجت لها الأرض .

ثم قرأت كتاب الوزير « حامد بن العباس^(٨) » ، وهو قائم ؛ ثم أمرته

(١) في نسخة : « المطردين الذين كانا » - وفي يافوت : « المطردين الذين كانوا معنا » - والمطردين :

بكسر الميم وسكون الطاء - وهو الراية والراء ، يقول الجوهري : « والألوية المطارد ، وهي دون

الأعلام والهنود ، مثل الراية » - انظر تكملة الماحم لدوزي ٢ / ٣٤ .

(٢) في نسخة : « الموجه إلينا » - وفي يافوت : « الموجه إليه » .

(٣) من المعلوم أن السواد هو شعار الباسيين ، يشير إليه هنا .

(٤) يختصر يافوت هنا فيقول : « قرأته وهو قائم على قدميه » ثم يجوز فلا يورد صدر الكتاب وردّ

السلام مما يفصل الأمر به ابن فضال .

(٥) البطين : العظيم البطن ،

(٦) في النسخة : « فقرأته »

(٧) يرى أحد المستشرقين أن تكون هنا : « كبروا تكبيراً » - وفي نسخة وليدي : « ارتجى » .

(٨) حامد بن العباس ، كان يتولى أعمال السواد ، ثم وزر للقتدر ، وكان كريماً مفضلاً ، متجماً ، سريع -

بالجلوس ، فجلس عند قراءة كتاب « نذير الحربي » ، فلما || استتمته أثر [٢٠٤ و]
أصحابه عليه ^(١) الدراهم الكثيرة . ثم أخرجت ^(٢) الهدايا من الطيب
والثياب واللؤلؤ له ، ولأمراته . فلم أزل أعرض عليه وعليها شيئاً شيئاً
حتى فرغنا من ذلك . ثم خلعتُ على أمراته بحضرة الناس ، وكانت جالسة
إلى جنبه ، وهذه سنتهم وزيمهم ^(٣) ، فلما خلعتُ عليها نثر النساء عليها
الدراهم ، وانصرفنا .

* * *

فلما كان بعد ساعة وجهه إلينا ، فدخلنا إليه ، وهو في قبته ، والملك
عن يمينه . وأمرنا أن نجلس عن يساره ، وإذا أولاده جلوس بين يديه ،
وهو وحده على سرير مغطى بالديباج الرومي ^(٤) ، فدعا بالمائدة فقدمت ،
وعليها اللحم المشوي وحده ^(٥) .

- الطائش كما يقول ابن الطفاقي في الفخري ٣١٥ (طبعة أوربة) وزر عام ٣٠٦ - ٣١١ ، اشغل
بالتجارة ثم عظم شأنه ، ولما ولي الوزارة كان في الثمانين من العمر ، ولم يكن نصيبه من الوزارة إلا
اللقب والخلمة ، وكان المدير للأمور علي بن عيسى الذي كان وزيراً من قبل - انظر الحضارة الإسلامية
لمتز ، بالترجمة العربية ١ / ١٦٤ - وارجع إلى ابن جرير الطبري ١٢ / ٢٩ (سنة ٣٠٣) .

(١) في نسختنا : « عليه » - وفي ياقوت « علينا » .

(٢) في نسختنا ينسب ابن فضال الأعمال لنفسه بضمير المتكلم المفرد ، وفي ياقوت بضمير المتكلم الجمع ، فيقول :
« وَاخْرَجْنَا الْهَدَايَا وَعَرْضْنَاهَا عَلَيْهِ ثُمَّ خَافْنَا عَلَى أَمْرَاتِهِ وَكَانَتْ جَالِسَةً إِلَى جَانِبِهِ » - ويلاحظ أن ياقوت
يوجب ويختصر فلا يورد العبارة بنصها ، ولا يذكر أنواع الهدايا .

(٣) في ياقوت : « سنتهم ودأبهم » .

(٤) الديباج الرومي : الحرير الرومي ، مشهور معروف بمجودته في القرن الرابع وكان يجلب إلى بلاد
المسلمين من فرنسا غالباً ، كما في ابن الفقيه ٢٧٠ ، والحضارة الإسلامية ٢ / ٣٠١ .

(٥) هنا يوجب ياقوت في النقل ، ولكنه يقول : « وعليها لحم مشوي » .

فابتدأ هو فأخذ سكيناً وقطع لقمةً وأكلها ، وثانيةً ، وثالثةً ، ثم احتاز قطعةً دفعها إلى « سوسن » الرسول . فلما تناولها جاءته مائدةٌ صغيرة فجعلت بين يديه . وكذلك الرسم ، لا يمدّ أحد يده إلى الأكل حتى يناوله الملك لقمةً ، فساعة يتناولها قد جاءته ^(١) مائدة . ثم ناولني فجاءتني مائدة | ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه فجاءته مائدة . ثم ناول الملك الثاني فجاءته مائدة | . ثم ناول الملك الرابع فجاءته مائدة ، ثم ناول أولاده فجاءتهم الموائد .

وأكلنا ^(٢) كل واحد من مائدته لا يشركه فيها أحد ، ولا يتناول من مائدة غيره شيئاً ، فإذا فرغ من الطعام ^(٣) ، حمل كل واحد منهم ^(٤) ما بقي على مائدته إلى منزله .

فلما أكلنا ^(٥) دما بشراب العسل وهم يسمونه « السجوة » ^(٦) ليومه

- (١) إذا في الأصل عندنا وهو مضطرب ، وفي ياقوت : « فإذا تناولها جاءته مائدة » ، ثم قطع قطعة وناولها الملك الذي عن يمينه نجاة مائدة ، ثم ناوله الملك الثاني فجاءته مائدة ، وكذلك حتى قدم إلى كل واحد من الذين بين يديه مائدة « وهي عبارة واضحة مستقيمة أثبتناها ليستأنس بها القارئ في تصوّر المراسم عندهم ، وهي قريبة مما هي البرم في الغرب اختصرنا منها ما يصلح للسياق ووضعناه في المتن .
- (٢) في ياقوت : « وأكل كل واحد منا من مائدة لا يشركه فيها أحد » .
- (٣) في ياقوت : « من الأكل » .
- (٤) في الخطوط : « كل واحد منهم ما يبقى على مائدته » وهو غريب واضح ، وفي ياقوت : « كل واحد منا ما بقي على مائدته إلى منزله » .
- (٥) في ياقوت : « فلما أكلنا » .
- (٦) السجوة أو سوجو وسوجي : لم نجد له ذكراً في معاجنا ، وقد حام حول تفسيره المستشرقون فرأوا أنه الخمر ، ونحن نسبهم إلى بشرت الشيخ ابن فضلان خراً ، ومع ذلك يقول ياقوت : « فنشرب وشربنا قدحاً » . انظر س ١٢٩ التالية وتامنيق كانار س ٨٩ بالترجمة الفرنسية .

وليلته فشرب قدحاً ، ثم قام قائماً فقال : « هذا سروري بمولاي أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — » وقام الملوك الأربعة وأولاده لقيامه^(١) ، وقمنا نحن أيضاً حتى إذا فعل ذلك ثلاث مرات ، ثم انصرفنا من عنده .

* * *

وقد كان يُخَطَّب له على منبره قبل قدومي^(٢) : « اللهم وأصلح^(٣) الملك يلطوار^(٤) ملك بلغار » . فقلتُ : أنا له : « إن الله هو الملك ، ولا يُسمى على المنبر^(٥) بهذا الاسم غيره — جلّ وعزّ — وهذا مولاك أمير المؤمنين قد رضي^(٦) لنفسه أن يُقال على منبره في الشرق والغرب : اللهم أصلح عبدك وخليفتك جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين . وكذا من كان قبله || من آبائه الخلفاء . وقد قال النبي ﷺ : ﴿ لا تُطروني كما أُطرتِ [٢٠٤ظ]

(١) حذف ياقوت هذه الجملة الأخيرة ، فهو هنا يوجز ويختصر من الرسالة .

(٢) في ياقوت : « قبل قدمونا » .

(٣) في مخطوطتنا : « اللهم وأصلح » - وفي ياقوت : « اللهم أصلح » ولا ثبات الواو أو حذفها رجعنا إلى تباير القدماء في ذلك فرأينا في مخطوطة « رسوم دار الخلافة » لاصابي ، بالورقة ١٨٨ أنه من عادة الخطب أن يقال على المنابر : « اللهم وأصلح عبدك وخليفتك عبد الله » فأبقينا الواو هنا ، وإن كانت محذوفة في جملة مشابهة بعد قليل ، ولكنه ثبتنا بعد ذلك .

(٤) ذكرنا الصور المختلفة التي قلبها المستشرقون لمعرفة باطوار ، فبعضهم يرى أنه الب اياطوار ، ويايطوار ، وبلطهار ، وبال ايدار وفرون قل أن من ملوك التتار لك يسمى « ايدار » . وقد شرحنا ذلك مستوفى ولكننا اسبنا أن نضيف ملاحظة هذا المستشرق وهي أن لك الروس على الفولغا كان اسمه « ايكور Igoe » وقد صفه الرب ، وقال برتولد أن لقب ملك البلغار « بطاطون Waldawac » فأصبح الب ايلطوار .

(٥) في ياقوت : « ولا يجوز أن يخاطب لأحد سمي على المنابر » .

(٦) في مخطوطتنا : « قد رضي » - وفي ياقوت : « وصى » .

النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا | عَبْدُهُ فَقُولُوا | عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » (١) .
فَقَالَ لِي : « فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُخَاطَبَ لِي ؟ » قُلْتُ : « بِاسْمِكَ وَاسْمِ أَبِيكَ » ،
قَالَ : « إِنَّ أَبِي كَانَ كَافِرًا وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَذْكَرَ اسْمَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَأَنَا أَيْضًا
فَمَا أُحِبُّ أَنْ يَذْكَرَ اسْمِي ، إِذْ كَانَ الَّذِي سَمَّانِي [بِهِ] (٢) كَافِرًا . وَلَكِنْ
مَا اسْمُ مَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ » فَقُلْتُ : « جَعْفَرٌ » ، قَالَ : « فَيَجُوزُ أَنْ
أَتَسَمَّى بِاسْمِهِ ؟ » قُلْتُ : « نَعَمْ » . قَالَ : « قَدْ جَعَلْتُ اسْمِي جَعْفَرًا ، وَاسْمُ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فَتَقَدَّمْ إِلَى الْخُطِيبِ (٣) بِذَلِكَ » فَفَعَلْتُ .

فَسَكَنَ يُخَاطَبُ لَهُ : « اَللّٰهُمَّ وَأَصْلِحْ عَبْدَكَ جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَمِيرَ بُلْغَارِ
مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

* * *

ولما كان (١) بعد قراءة الكتاب وإيصال الهدايا بثلاثة أيام ، بعث

(١) جاء الحديث النبوي الشريف في المتبع الكبير للسيوطي ٣ / ٣٢٩ ، نقله عن البخاري ، وهذا نصه
فيه : « لَا تَطْرُقُنِي كَمَا أَطْرَقَ النَّصَارَى ابْنُ مَرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ » وقد استلظت
نسختنا كلمتين لعلها سقطتا لذهول الناسخ فأرجعناهما إلى المتن ، وأما ياقوت فقد أغفل ذكر الحديث
فاخترنا كما فعل في سائر النسخ .

(٢) زيادة من ياقوت وهذا يتأكد أن اسمه لم يكن الحسن كما صحت النسخة في بدشاه بل « المش » كما قلنا .

(٣) في نسختنا : « إل الخاطب بذلك فقامت » وهذا تحريف ، صوبناه عن ياقوت .

(٤) هذه الصيغة لم يثبتها ياقوت ، وإنما يستأنف النزل عند ذكر المعجائب ، فليس فيه أمر المال ووصوله لأنه
لا يهيم ياقوت في محله .

إليّ وقد كان بلغه أمر الأربعة آلاف دينار ، وما كان من حيلة النصراني^(١) في تأخيرها ، وكان خبّرها في الكتاب .

فلما دخلتُ إليه أمرني بالجلوس فجلستُ ، ورَمَى إليّ كتابَ أمير المؤمنين ، فقال : « مَنْ جاء بهذا الكتاب ؟ » قلتُ : « أنا » . ثم رمى إليّ كتابَ الوزير ، فقال : « وهذا أيضاً ؟ » قلتُ : « أنا » . قال : « فالمال الذي ذكر فيهما ما فعل [به] ؟ »^(٢) قلتُ : « تَعَذَّرَ جمعُه ، وضاق الوقتُ ، وخشينا قَوْتَ الدُّخُولِ ، فتركناه ليلحق بنا » . فقال : « إِنَّمَا جِئْتُمْ بِأَجْمَعِكُمْ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْكُمْ مَوْلَايَ مَا أَنْفَقَ لِحَمْلِ هَذَا الْمَالِ إِلَيَّ ، حَتَّى أَبْنَى بِهِ حِصْنًا يَمْنَعُنِي مِنَ الْيَهُودِ »^(٣) الذين قد استعبدوني . فأما الهدية فغلامي قد كان يُحْسِنُ أَنْ يَجِيءَ بِهَا » . قلتُ : « هو كذلك ! إِلَّا أَنَا قد اجْتَهَدْنَا » . فقال للترجان : « قل له أنا لا أعرف هؤلاء ، إِنَّمَا أَعْرَفَكَ أَنْتَ ، وَذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ عَجَمٌ ، وَلَوْ عَلِمَ الْأُسْتَاذُ^(٤) — أَيْدَهُ اللَّهُ — أَنَّهُمْ يَبْلُغُونَ

(١) النصراني ، وهو الفضل بن موسى ، وقد مرّ بنا في الصفحة ٩٩٧ ط ، وهو وكيل ابن الفرات ، كان عليه أن يدفع مايرتفع من القرية ، ولكنه احتال وسوّف كما رأينا .

(٢) أضفناها إتمام المنى .

(٣) تحدث ابن حوقل عن الخزر ٢ / ٣٨٩ فقال : « أما الخزر فاسم الاقليم ، وقصبتها تسمى اتل ... والملك يهودي » ، ويقال ان له من الحاشية نحو أربعة آلاف رجل « والمقصود باليهود هم الخزر ، كما قلنا - وفي نسخة الدهر لشينج الربوة ٢٦٣ ، عن الخزر أنهم ملحدون ويهود ، وابن الأثير يقول أنهم أسلموا سنة ٢٥٤ ، وذكرهم باب أسلامهم .

(٤) تسميته للخليفة بالأستاذ عجيبة ، وقوله أنهم عجم أعجب ، لأن ابن فضالان نفسه مولد أعجمي ، فيما نقدر .

رحلة ابن فضال عند الصقالية

ما تبلغ ما بعث بك حتى تحفظ علي^(١) وتقرأ كتابي ، وتسمع جوابي ،
ولست أطلب غيرك بدرهم^(٢) فأخرج من المال^(٣) فهو أصْلَحُ لك .

فانصرفْتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مَذْعُوراً مَنُوماً ، وَكَانَ رَجُلًا^(٤) لَهُ مَنْظَرٌ
وَهَيْبَةٌ^(٥) ، بَدِينٌ ، عَرِيضٌ كَأَنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِنْ خَايِمَةٍ . فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ
وَجَمَعْتُ أَصْحَابِي ۖ وَعَرَفْتَهُمْ مَا جَرَى بَيْنِي^(٦) وَبَيْنِهِ . وَقُلْتُ لَهُمْ : « مِنْ
هَذَا حَدَرْتُ ! »

* * *

وَكَانَ مُؤَذِّنُهُ يُبَاسِّئِي الإِقَامَةَ إِذَا أَدَّانَ ، فَقُلْتُ لَهُ : « إِنَّ مَوْلَاكَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُفَرِّدُ فِي دَارِهِ الإِقَامَةَ » . فَقَالَ لِلْمُؤَذِّنِ : « إِقْبِلْ مَا يَقُولُهُ لَكَ
وَلَا تَخَالَفْهُ » .

فَأَقَامَ الْمُؤَذِّنُ^(٧) عَلَى ذَلِكَ أَيَّامًا وَهُوَ يُسَائِلُنِي عَنِ الْمَالِ ، وَيُنَاطِرُنِي فِيهِ ،

(١) لعله يريد : « حتى تحفظ عليّ حامي » .

(٢) في المخطوطة : « وليس أطلب غيرك درهم » ، فلما كان كما رسمنا .

(٣) أخرج من المال أو أخرج عنه : أعطاه ، دوزي ٣٥٨/١ - وأخرج الرجل إلى فلان من دينه قضاء إياه .

(٤) في المخطوطة : « رجل » وصوابها ما ألقينا .

(٥) ينسأله المشرق الروسي هنا لعلها « هيئة » .

(٦) في المخطوطة : « بينه وبينه » واصلها كما وضعنا .

(٧) الصغير هـ هو « يورد على الملك طبعاً » .

وأنا أويسه^(١) منه ، وأحتج فيه . فلما يئس منه تقدم إلى المؤذن أن يثني الإقامة ، ففعل . وأراد بذلك أن يجعله طريقاً إلى مناظرتي . فلما سمعت تثنيتة للإقامة نهيت^(٢) وصحت عليه ، فعرف الملك ذلك ، فأحضرني وأحضر أصحابي .

فلما اجتمعنا قال للترجمان : « قل له — يعني^(٣) — ما يقول في مؤذنين أفرد أحدهما وثني الآخر ، ثم صلى كل واحد منهما بقوم أتجوز الصلاة أم لا ؟ » قلت : « الصلاة جائزة » . فقال : « باختلاف أم باجماع ؟ » قلت : « باجماع ! » قال : « قل له فما يقول في رجل دفع إلى قوم مالا لأقوام ضعفي^(٤) محاصرين مستعبدين فخانوه ؟ » فقلت : « هذا لا يجوز ، وهؤلاء قوم سوء » . قال : « باختلاف أم باجماع ؟ » قلت : « باجماع » ، فقال للترجمان : « قل له : تعلم أن الخليفة — أطل الله بقاءه — لو بعث

(١) أيسه وأيسه إيثاساً : جملة يقنط ، مثل يس وأياس .

(٢) ١٠ - في مجمع الزوائد للهيتمي ١ / ٣٣٠ : « وكان بلال يقيم للنبي (صلى الله عليه وسلم) لفرد الإقامة » وروى في غير هذا المكان أن الأذان على عهد الرسول كان مثنى مثنى والإقامة فرادى - وقد بحث المسأثرون ذلك في تعليقاتهم . والمسأثرون جوينبول يرى أن الحنفية وحدهم كانوا يثنون وأن غيرهم كان يفرد في الإقامة وحدها ، وقد كتب في دائرة المعارف الإسلامية حول الأذان ١ / ١٣٥ ، وحول الإقامة ٢ / ٤٨٥ .

(٣) في لخطوة « يعني » ، ولا معنى لها ، فله يريد « يعني » بمعنى يقصدي .

(٤) الضعيف : جمه ضماف وضعفي وضعة وضعفاء .

إِلَيَّ جَيْشًا كَانَ يَقْدِرُ عَلَيَّ^(١) ؟ » قلتُ : « لا » . قال : « فَأَمِيرُ خُرَاسَانَ ؟ » قلتُ : « لا » . قال : « أليس لبعده المسافة وكثرة مَنْ يَمُنُّنا مِنْ قِبَائِلِ الْكُفَّارِ ؟ » قلتُ : « بلى » ، قال : « قُلْ لَهُ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَبِمَكَانِي^(٢) الْبَعِيدِ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ ، وَإِنِّي لَخَائِفٌ مِنْ مَوْلَايَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَذَلِكَ أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَبْلُغَهُ عَنِّي شَيْءٌ يَكْرَهُهُ فَيَدْعُو عَلَيَّ فَأَهْلِكَ بِمَكَانِي ، وَهُوَ فِي مَمْلَكَتِهِ ، وَيَبْنِي وَيَبْنِيهِ الْبُلْدَانَ الشَّاسِعَةَ . وَأَنْتُمْ تَأْكُلُونَ خُبْزَهُ وَتَلْبَسُونَ ثِيَابَهُ ، وَتَرَوْنَهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ خُتْمُوهُ فِي مِقْدَارِ رِسَالَةٍ بَعَثَكُمْ بِهَا إِلَيَّ ، إِلَى قَوْمٍ ضَعْفَى ، وَخُتْمَ الْمُسْلِمِينَ ! لَا أَقْبَلُ مِنْكُمْ أَمْرًا دِينِي حَتَّى يَجِئَنِي^(٣) مَنْ يَنْصَحُ لِي فِيمَا يَقُولُ . فَإِذَا جَاءَنِي النَّاسُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ قَبِلْتُ مِنْهُ » . فَأَلْجَمْنَا^(٤) وَمَا أَحْرَنَا جَوَابًا ، وَانْصَرَفْنَا مِنْ عِنْدِهِ .

فَال :

فَكَانَ بَعْدَ هَذَا الْقَوْلِ يُؤْثِرُنِي وَيُقَرِّبُنِي ، وَيُبَاعِدُ أَصْحَابِي ، وَيُسَمِّنِي « أَبَا بَكْرٍ الصَّدِّيقِ^(٥) » .

* * *

- (١) لِي لُحْظَةِ الدَّهْرِ لَشَيْخِ الرُّبُوعِ م ٢٦١ : « قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْبَكْرِيُّ : الصَّقَابَةُ ذُووُ بَأْسٍ شَدِيدٍ ، وَشَدَّةُ وَصُولَةٍ ، وَلَوْ لَا اخْتِلَافُهُمْ بِكَثْرَةِ فُرُوعِ أَعْرَاقِهِمْ وَتَفَرُّقِ أَفْعَادِهِمْ لَمَا قَامَتْ لَهُمْ أُمَةٌ مِنَ الْأُمَمِ » .
- (٢) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « الْمَكَانِ الْبَعِيدِ الَّذِي » فَأَصَاحَبُنَا هَا كَمَا تَرَى .
- (٣) فِي الْمَخْطُوطَةِ : « حَقٌّ يَجِئُنِي » وَصَوَّاهَا مَارَسْنَاهُ .
- (٤) أَلْجَمْنَا : أَسْكَنْنَا ، وَالتَّجَمُّعُ عَنِ الْكَلَامِ ، كَأَنَّهُ أَلْجَمَ بِالْجَمِّ ، وَمِثْلُهُ أَحَارَ الْجَوَابَ إِحَارَةً .
- (٥) فِي الْأَصْلِ : « أَبُو بَكْرٍ » وَلَعَلَّ كُنْيَةَ ابْنِ فَضَالٍ هِيَ أَبُو بَكْرٍ ، فَأُضَافَ إِلَيْهِ الصَّدِّيقُ لَصَدَقَهُ .

« ورأيتُ في بلده^(١) من العجائب ما لا أحصيها كثرة . [٢٠٥ظ]

من ذلك : أن أول ليلة بتناها في بلده رأيتُ قبل مغيب الشمس بساعة قياسية^(٢) أفقَ السَّماء وقد احمرت احمراراً شديداً وسمعتُ في الجوّ أصواتاً^(٣) شديدة وهممة عالية ، فرفعتُ رأسي فإذا غيمٌ أحمر مثل النار قريب مني ، وإذا تلك الهمهمة والأصواتُ منه ، وإذا فيه أمثالُ الناس والدواب ، وإذا في [أيدي] ^(٤) الأشباح التي فيه ، تشبه الناس^(٥) ، رماح^(٦) وسيوفٌ أتبيّنُها وأتخيلُها ، وإذا قطعةٌ أخرى مثلها أرى فيها أيضاً رجالاً ودواب وسلاحاً ، فأقبلتُ هذه القطعةُ تحمل^(٧) على هذه كما تحملُ الكتيبةُ على الكتيبة . ففزعنا من ذلك وأقبلنا على التضرّع والدعاء ، وهم^(٨) يضحكون مِنّا ويتعجبون من فعلنا .

-
- (١) يمود ياقوت إلى نقل كلام ابن فضلان وإبائه في معجمه - انظر كانار ص ٩٥ .
 - (٢) يهدف ياقوت كلمة : « قياسية » - ولعل الساعة القياسية هي الساعة تماماً .
 - (٣) في مخطوطتنا : « صوتاً شديدة » وفي ياقوت : « أصواتاً عالية وهممة » فأصلحنا كلمة « صوتاً » بجمعها .
 - (٤) في مخطوطتنا : « وإذا في الاستباح » وهي مصحفة - وفي ياقوت : « وإذا في أيدي الأشباح » فأضفناها أيدي عنه وصوبنا .
 - (٥) ليس لي ياقوت : « تشبه الناس » فهي عندنا زائدة .
 - (٦) في ياقوت : « نسيّ ورماح وسيوف » .
 - (٧) ليس لي ياقوت : « تحمل » فهي عندنا وحدها .
 - (٨) في ياقوت : « وأهل البلد يضحكون » .

قال :

وكنّا ننظرُ إلى القطعة تحملُ [على] ^(١) القطعة فتختلطان جميعاً ^(٢) ساعةً ثم تفترقان . فما زال الأمر كذلك ساعة من الليل ^(٣) ثم غابتا . فسألنا الملكَ عن ذلك فزعمَ أنَّ أجداده كانوا يقولون : إنَّ هؤلاء من مؤمني الجبِّ وكفارهم ، وهم ^(٤) يقتتلون في كلِّ عشيّة ، وأنهم ما عدموا هذا مُذ كانوا في كلِّ ليلة .

* * *

قال :

ودخلتُ أنا وخياط [كان] للملك ^(٥) من أهل بغداد — قد وقع إلى تلك الناحية ^(٦) — قُبَّتِي ، لتتحدّث ، فتحدّثنا بمقدار ما يقرأ ^(٧) إنسانٌ أقلّ من نصفِ سُبُع ، ونحن ننتظر أذانَ العتمة ^(٨) ، فإذا بالأذان . فخرجنا من القبة وقد طلعَ الفجرُ . فقلتُ للمؤذّن : « أي شيء أُذّنتَ » . قال : « أذان

(١) فأنصت في نسختنا أخذناها عن ياقوت .

(٢) في مخطوطتنا : « ذلك » ثم طمست بالقلم فحذفناها .

(٣) في ياقوت : « فما زال الأمر كذلك إلى قطعة من الليل » .

(٤) في مخطوطتنا : « ثم غابتا » وصوابها ما جاء في ياقوت ، مما أبتناه .

(٥) في مخطوطتنا : « وخياط الملك » — في ياقوت « وخياط كان للملك » — وهذا دليل آخر على أسبوعية

المرّب في الحضارة ، وعلى مفاصلة قومنا في ارتياد الأفطار سميّاً وراء الرزق .

(٦) هذه الجملة بين شرطتين لم تقع في ياقوت .

(٧) في ياقوت : « بمقدار ما يقرأ الإنسان نصف ساعة » .

(٨) في ياقوت : « أذان المشاء » .

الفجر » ، قلت : « فالعشاء الآخرة » ^(١) . قال : « نُصليها مع المغرب » ، قلتُ : « فالليل » ، قال : « كما ترى : وقد كان أقصر من هذا إلا أنه قد أخذ ^(٢) في الطول » . وذكر أنه منذ شهر ما نام ^(٣) خوفاً أن تفوته صلاة النداء ^(٤) . وذلك أن الإنسان يجعل القدر على النار وقت المغرب ، ثم يصلي النداء وما آن لها أن تنضج .

قال :

ورأيتُ النهارَ عندهم طويلاً جداً وإذا أنه يطولُ عندهم مدةً من السنة ويقتصر الليل ، ثم يطولُ الليلُ ويقتصر النهارُ . فلما كانت الليلة الثانية جلستُ خارجَ القبة وراقبتُ السماء فلم أرَ || من ^(٥) الكواكب إلا عدداً [٢٠٦ و] يسيراً ظننتُ أنه نحو ^(٦) الخمسة عشر كوكباً [متفرقة . وإذا الشفق الأحمر الذي قبل المغرب لا يغيب بته . وإذا الليلُ] ^(٧) قليلُ الظلمة يعرفُ الرجلُ الرجلَ فيهِ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ غَلْوَةِ سَهْمٍ ^(٨) .

-
- (١) في ياقوت : « فمشاء الأخيرة » .
 (٢) في ياقوت : « وقد أخذ الآن في الطول » .
 (٣) في ياقوت : « ما نام الليل » .
 (٤) في ياقوت : « يفوته صلاة الصبح » .
 (٥) يقتصر ياقوت في رواية الجلة السابقة : « جلست فلم أر فيها من الكواكب » .
 (٦) في ياقوت : « فوق الحجة عشر » .
 (٧) سقط هذا السطر من مخطوطتنا ، فأخذناه من ياقوت ، وبدونه لا يتم السياق ، ويرى الروس ان كلمة قبل المغرب يجب أن تكون بالمغرب .
 (٨) غلوة سهم : الغلوة : الغاية ، وهي رمية سهم أبعد ما يقدر عليه . ويقال هي قدر ثلاثمائة ذراع إلى أربعمائة ، جميعها غلوات وغللاء .

قال :

ورأيت القمر لا يتوسط السماء بل يطلع في أرجائها^(١) ساعة ثم يطلع
الفجر فيغيب القمر . وحدثنني المالك أن وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر قوم
يقال لهم « ويسو »^(٢) ؛ الليل عندهم أقل من ساعة .

قال :

ورأيت البلد عند طلوع الشمس يحمر^(٣) كل شيء فيه من الأرض
والجبال وكل شيء ينظر الإنسان إليه حين^(٤) تطلع الشمس كأنها غمامة
كبرى^(٥) ، فلا تزال الحمرّة كذلك حتى تتكبد السماء . وعرفني أهل
البلد أنه إذا كان الشتاء عاد الليل في طول النهار ، وعاد النهار في قصر الليل ،
حتى أن الرجل منا ليخرج إلى موضع^(٦) يقال له « إتل » — بيننا وبينه

(١) يروي ياقوت هذه الجملة مختصرة .

(٢) في معجم البلدان لياقوت ٩٤٤ / ٤ : « ويسو : بكسر أوله والسين مهملة وواو : بلاد وراء بلغار
بينها وبين بانار ثلاثة أشهر » - والمستشرق فرن يمان على هذه الكلمة تعليقات طويلة بالصفحة ٢٢٠
ومايلها ، ويرى أن « ويسو Wieu هي « روسيا البيضاء Bielo Russe » ، وأنها قرب موسكو ،
غربي ورك ، ومحصل تعليقه أن الكلمة تتركب من لفظتين « أبيض وبحر » أو منطقة بيضاء . ولا بد
من الملاحظة بأن الناسخ عندنا رسمها « ويسوا » بألف بعد الواو كما يفعل دائماً بعض النساخ
أخافاً بواو الجمع .

(٣) صوبنا لفظه « نحر » كما نصح غالباً من غير أن نشير إلى ذلك .

(٤) في الأصل : « وتطلع » - وفي ياقوت : « حين تطلع » .

(٥) في الأصل : « غمامة كبيرة » وصوابها ما في ياقوت .

(٦) في الأصل عندنا : « موضع يقال له » - وفي ياقوت : « نهر يقال له » وكذا نصح نصحنا ، ولكن
ياقوت ١ / ١٢٢ يقول : « اتل نهر عظيم شبيه بدجلة في بلاد الخزر ، ويمر ببلاد الروس وبلغار .
وقيل : اتل قسبة بلاد الخزر والنهر مسمى بها » فتركنا الكلمة كما جاءت في نسختنا .

أقلُّ من مسيرة ^(١) فرسخ - وقت طُلوع الفجر فلا يبلغه إلى العتمة ^(٢) ،
إلى وقت طلوع الكواكب كلها حتى تطبق السماء . فما برحنا من البلد
حتى امتدَّ الليلُ وقصر النهار ^(٣) .

* * *

ورأيتهُم يتبركون بمِوَاءِ الكلابِ جدًّا ، ويفرحون به ، ويقولون ^(١) :
سنة خصب وبركة وسلامة .

ورأيتُ الحياتِ عندهم كثيرةً حتى أنَّ ^(٥) النصفَ من الشجرة لتلتف
عليه العشرة ^(٦) منها والأكثر ، ولا يقتلونها ولا تؤذيهم . حتى لقد رأيتُ
في بعض المواضع شجرةً طويلةً يكونُ طولُها أكثرَ من مائة ذراع ، وقد
سقطتُ وإذا بدنها عظيمٌ جدًّا فوقفتُ أنظرُ إليه إذ تحرك فراعني ^(٧) ذلك .
وتأملته فإذا عليه حيَّةٌ قريية ^(٨) منه في الغلظ والطول . فلما رأتهُ سقطتُ

-
- (١) في ياقوت : « مسألة ارسخ » .
(٢) في نسخة : « إلا وقت العتمة وطلع الكواكب » - وفي ياقوت : « إلى العتمة إلى وقت طلوع الكواكب »
(٣) هذه الجملة الأخيرة نازعة في ياقوت - نقل الاصطخري من غير شك عن ابن فضال أن قصر الليل في الصيف وحلوله في الشتاء .
(٤) يختلف ياقوت في رواية هذا السطر ، ويروي : « ويقولون تأتي عليهم سنة » .
(٥) في نسخة : « حتى إذا النصف من الشجرة لتلتف » - وفي ياقوت : « حتى أن النصف من الشجر ليانف »
(٦) في ياقوت : « عشرة منها وأكثر » .
(٧) هذا المقطع كله أغفله ياقوت .
(٨) في النسخة : « قريب » .

رحلة ابن فطالان .. عند الصقالية

عنه ، وغابت بين الشجر فجئت فزِعاً . فحدثتُ المَلِكَ وَمَنْ كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ، فلم يكثرثوا لذلك . وقال : « لا تجزع فليس تؤذيك » .

ونزلنا مع الملك منزلاً ، فدخلتُ أنا وأصحابي تَكِين ، وسوسن ، وبارس ، ومعنا رجل من أصحاب المَلِكِ بين الشجر فرأينا^(١) عوداً صغيراً أخضر كَرَقَةٍ المِغْزَلِ وأطول ، فيه عرق^(٢) أخضر ، على رأس العرق ورقة عريضة مبسوطة على الأرض ، مفروش عليها مثلُ النَّابِتِ^(٣) ، فيها حَبٌّ لا يَشْكُ مَنْ يَأْكُلُهُ أَنَّهُ || رَمَانٌ أَمْلِيسِي^(٤) ، فأكلنا منه فإذا به من اللذة أمرٌ عظيمٌ ، فما زلنا نتبعه ونأكله .

* * *

ورأيتُ لهم تَفَاحاً أخضر شديداً الخُضْرَةِ^(٥) وأشدَّ حُمُوضَةً من خَلِّ الخمر ، تأكله الجَوَارِي فيسَمَنَّ^(٦) عليه . ولم أر في بلدٍ أكَثَرَ من شجر البندق ، لقد رأيتُ منه غِيَاضاً تكون الغِيَضَةُ^(٧) أربعين فرسخاً في مثلها .

(١) في نسخة : « فإذا لنا » ولا معنى لها ، فأفترج أحد المستشرقين أن تكون : « فإذا أنا بعود » ، وأفترج آخر : « فأرانا عوداً » ولكننا فضلنا هذه الرواية التي أثبتناها . وكل ذلك في ياقوت .

(٢) في نسخة : « فيه عرق » وهو خطأ من الناسخ فأصلها : .

(٣) النَّابِت : الطاري من كل شيء حين يابث صغيراً .

(٤) رمان أمليس وأمليسي : حلو طيب ، لا عجم فيه أي لائوة له .

(٥) عاد ياقوت إلى الفعل عن ابن فطالان ، ولكنه يوجب في العبارة وينتصرها .

(٦) في نسخة : « فيسمى » وصوابها ما في ياقوت ، وقد قلنا إن جملته تختلف عما عندنا فلا حاجة إلى روايتها هنا .

(٧) الغِيَضَةُ : الأجرة ، ويجمع الشجر في مبيض الماء ، جمعه غياض وأغياض وغيضات .

ورأيتُ لهم شجراً لا أدري ما هو ، مفرطُ الطول وساقه ^(١) أجردُ
من الورق ، ورؤوسه كروؤوس النخل له خوصٌ | دِقاق | ^(٢) ، إلا أنه ^(٣)
يجمع ، يَجْمَعُونَ ^(٤) إلى موضع يعرفونه مِن ساقه ، فيثقبونه ، ويجعلون
تحتَه إناء فتجري ^(٥) إليه مِن ذلك الثقب ماءً أطيّب من العسل ، إن
أكثرَ الإنسان منه أسكره كما يُسكر ^(٦) الخمرُ .

وأكثرُ أكلهم الجاورس ^(٧) ولحم الدابة ^(٨) ، على أن الحنطة والشعير
كثير ^(٩) . وكلُّ مَنْ زرع شيئاً أخذَه لنفسه ؛ ليس للملك فيه حقٌّ غير أنهم
يؤدّون إليه في كلِّ سنةٍ مِن كلِّ بيت جلد سمور ^(١٠) . وإذا أمرَ سريةٌ
بالغارة على بعض البلدان فغنمتْ كانَ لَهُ معهم حصّةٌ . ولا بدّ لكلِّ مَنْ

(١) في نسختنا : « وساقه » وهو تصحيف من الناسخ .

(٢) أضفنا الكلمة من ياقوت - والخوص : ورق النخل مفرداً خاصة .

(٣) قبل هذا في مخطوطتنا : « وقال » ولا شك في أنها زائدة فحذفناها .

(٤) في نسختنا : « يجوز » وهي غامضة لا معنى شيئاً - وفي ياقوت : « يعمدون إلى موضع من ساق هذه

الشجرة يعرفونه فيثقبونه » ، وقد تمودنا خطلة الناسخ فوكلنا رسم « يجوز » فأصلها : « يجمعون » في

النسخة التي نقل عنها .

(٥) في ياقوت : « يجري » .

(٦) في ياقوت : « تسكر الخمر » . لعله يعني بهذا الشجر قصب السكر .

(٧) شرحنا الكلمة في الصفحات السابقة .

(٨) في ياقوت : « ولحم الخيل » .

(٩) في ياقوت : « كثير في بلادهم » .

(١٠) في ياقوت : « جلد سمور » - والسمور حيوان بري يشبه السمور ، يتخذ من جلده أراء غنية للبنها

وخذفها وادفاشها وحسنها ، جمه بتامير .

يعتبرس^(١) أو يدعو دعوة من زلة^(٢) للملك على قدر الوليمة وساخرخ^(٣) من نبيذ العسل ؛ وحنطة ردية ؛ لأن أرضهم سوداء منتنة .

وليس لهم مواضع يجمعون فيها طعامهم ، ولكنهم يحفرون في الأرض آباراً ، ويحملون الطعام فيها ، فليس يمضي عليه إلا أيام^(٤) يسيرة حتى يتغير ويريح^(٥) فلا ينتفع به .

وليس لهم^(٦) زيت ، ولا شيرج^(٧) ، ولا دهن بثة . وإنما يقيمون مقام هذه الأدهان دهن السمك ، فكل شيء يستعملونه فيه يكون زفراً . ويحملون من الشعير حساء^(٨) يحنسونه^(٩) الجواري والغلمان . وربما طبخوا الشعير باللحم ، فأكل الموالي اللحم وأطعموا الجواري الشعير إلا أن يكون رأس تيس^(١٠) فيطعم من اللحم .

* * *

- (١) لم ندم هذه الجملة في ياقوت ... ويقترح أحد المستشرقين أن تكون « يفترس » بالعين .
- (٢) الزلة : الصاية ، والمرس والوليمة ، وما تحمله من مائدة صديقك أو قريبك .
- (٣) في الأصل : « وساخرج » ، اقترح أحد المستشرقين أن تكون : « سيخرج » وهي كما يقول وليدي وكانار : مقياس للسوائل .
- (٤) في نسختنا : « أياماً » وهي خطأ في النسخ .
- (٥) في الأصل : « يريح » وهي من الرائحة السيئة الفاسدة هنا ، ولعلها « يزنع » والدهن إذا زنع فسد وتغير ، وما تزال تستعمل في لغة العامة .
- (٦) في ياقوت : « . وليس عندهم شيء من الأدهان غير دهن السمك فانهم يقيمونه مقام الزيت والشيرج لهم كانوا لذلك زفرين » وكانه أخذ بالعمى فجعله بمبارته .
- (٧) الشيرج : دهن السمك .
- (٨) حساء وأحساء وحساء تحمية واحساء وحساء : أشربه إياه .
- (٩) في الأصل : « راس بفلس » بالفاء ، ويقترح بعض المستشرقين أن تكون بالعين ، وآخر يرى أن تكون « تيس » ولكننا لم نجد لها معنى مذهباً ، وهي ناقصة في ياقوت لأنه حذف الجملة كلها .

وكلّهم يلبسون القلائس^(١) ، فإذا ركب الملك ركب وحده بغير غلام ، ولا أحد يكون معه . فإذا اجتاز في السوق لم يبق أحد إلا قام وأخذ قلنسوته عن رأسه فجعلها تحت إبطه || فإذا جاوزهم ردّوا قلائسهم إلى^(٢) رؤوسهم . [٢٠٧ و] وكذلك كل من يدخل إلى^(٣) الملك من صغير وكبير حتى أولاده وإخوته ساعة ينظرون^(٤) إليه قد أخذوا قلائسهم فجعلوها تحت آباطهم ، ثم أوموا إليه برؤوسهم ، وجلسوا ثم قاموا حتى يأمرهم بالجلوس . وكل من يجلس بين يديه فإنما يجلس باركاً ولا يُخْرِجُ قلنسوته ، ولا يُظهرها حتى يخرج من بين يديه فيلبسها عند ذلك .

وكلهم في قباب ، إلا أن قبة الملك كبيرة جداً ، تسع ألف نفس وأكثر ، مفروشة بالفرش الأرمني^(٥) ، وله في وسطها سرير مغشّى بالديباج الرومي . ومن رسومهم أنه إذا وُلد لابن الرجل مولود أخذه جده دون أبيه ، وقال : « أنا أحق به من أبيه في حضننه^(٦) حتى يصير رجلاً » . وإذا مات

(١) القلائس : جم قلنسوة ، وهي لباس الرأس . قبل إن أنا جعفر المنصور أمر بلبس القلائس . ولما اتصل سكان أوربة بالشرقيين أيام الحروب الصليبية نقلوا هذه القلائس الطوال ، ومعا الخمر ، وجعلوها لباس النساء ، ولما جاء المستعين سنة ٢٤٨ هـ ، صغر القلائس . انظر الحضارة الإسلامية لمتز ١٨٦/٢ ومجمع الملايس لدوزي .

(٢) في ياقوت : « فوق رؤوسهم » .

(٣) في ياقوت : « على الملك » .

(٤) في ياقوت : « يقع نظرم عليه يأخذون قلائسهم فيجعلونها » وكذلك يحمل بقية المباراة بالفضل المضارع .

(٥) الفرش الأرمني مشهور وكذلك البسط الأرمنية ، انظر الحضارة الإسلامية لمتز ٣٠٢ / ٢ .

(٦) يقترح أحد المستشرقين أن تكون الكلمة : « في حضننه » ولكنها هنا واضحة مقومة .

منهم الرجلُ ورثه أخوه دون ولده . فعرفتُ الملكَ أنَّ هذا غير جائز ، وعرفته كيف المواريث ، حتى فهمها .

وما رأيتُ أكثر^(١) من الصَّواعق في بلدكم . وإذا وقعت الصاعقة على بيت^(٢) لم يقربوه ، ويتركونه على حالته وجميع مَنْ فيه من رجلٍ ومالٍ وغير ذلك حتى يتلفه الزمان ، ويقولون : « هذا بيت^(٣) مغضوب عليهم » .

* * *

وإذا قتل الرجلُ منهم الرجلَ عمداً أقادوه^(٤) به ، وإذا قتله خطأ صنعوا له صندوقاً من خشب الخدنك ، وجعلوه في جوفه ، وسمّروه عليه ، وجعلوا معه ثلاثة أرغفة وكوز ماء ، ونصبوا له ثلاث خشبات مثل الشبائح^(٥) وعلّقوه بينها ، وقالوا : « نجعله بين السماء والأرض يصيبه المطر والشمس ، لعل الله أن يرحمه » . فلا يزال معلقاً حتى يبلّيه الزمان وتهبّ به الرياح .

وإذا رأوا إنساناً^(٦) له حركة ومعرفة بالأشياء ، قالوا : « هذا حقه

(١) المقطع السابق ، أغفله ياقوت ، وهنا اختصر الجملة .

(٢) في ياقوت : « في دار أحدهم » .

(٣) في ياقوت : « هذا موضع مغضوب عليه ، ولعله أصوب .

(٤) أقاده به : أي ناله فرداً ، والقود : القصاص . وهذا المقطع كله ناص في ياقوت ، وفي النسخة : « نالوه »

وهي تصحيف صوبناه .

(٥) في الأصل : « الشبائح » ولعلها مصحفة عن « الشبائح » وهي عيدان معروضة في القنب

(٦) عاد ياقوت إلى نقل ما في ابن فضال . وفيه : « رأوا رجلاً » .

أَنْ يَخْدُم^(١) رَبَّنَا ، فَأَخَذُوهُ وَجَعَلُوا فِي عُنْقِهِ حَبْلًا وَعَلَّقُوهُ فِي شَجَرَةٍ حَتَّى يَنْقَطَعَ^(٢) .

ولقد حدثني^(٣) تَرْجَانُ الْمَلِكُ أَنَّ سِنْدِيًّا سَقَطَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ ، فَأَقَامَ عِنْدَ الْمَلِكِ بَرَهَةً مِنَ الزَّمَانِ يَخْدُمُهُ ، وَكَانَ خَفِيفًا فَهَمًّا . فَأَرَادَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ الْخُرُوجَ فِي تِجَارَةٍ^(٤) لَهُمْ ۥ فَاِسْتَأْذَنَ السِّنْدِيُّ الْمَلِكَ فِي الْخُرُوجِ مَعَهُمْ ، فَتَهَا [٢٠٧ظ] عَنْ ذَلِكَ ، وَأَلَحَّ عَلَيْهِ حَتَّى أَذِنَ لَهُ ، فَخَرَجَ مَعَهُمْ فِي سَفِينَةٍ فَرَأَوْهُ حَرَكًا كَيْسًا فَتَأَمَّرُوا^(٥) بَيْنَهُمْ ، وَقَالُوا : « هَذَا يَصْلِحُ لَخْدْمَةِ رَبَّنَا ، فَتَوَجَّهْ^(٦) بِهِ إِلَيْهِ » ، وَاجْتَاذُوا فِي طَرِيقِهِمْ بَغِيضَةً فَأَخْرَجُوهُ إِلَيْهَا ، وَجَعَلُوا فِي عُنْقِهِ حَبْلًا وَشَدُّوهُ فِي رَأْسِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ ، وَتَرَكَوهُ وَمَضُوا .

* * *

وَإِذَا كَانُوا يَسِيرُونَ^(٧) فِي طَرِيقٍ فَأَرَادَ أَحَدُهُمُ الْبُولَ ، فَبَالَ وَعَلَيْهِ

-
- (١) فِي لِسَانِنَا : « أَنْ يَكُونَ يَخْدُمُ رَبَّنَا » - وَفِي يَأْقُوت : « أَنْ يَخْدُمَ رَبَّنَا » أَحَدُنَا « يَكُونُ » وَبَدَوْنَاهَا أَتَمَّ الْجُمْلَةَ مِنْ غَيْرِ تَكَاثُفٍ .
- (٢) فِي لِسَانِنَا : « يَنْقَطِعُ » - وَفِي يَأْقُوت : « يَنْقَطِعُ » وَهِيَ أَصَوَّبٌ .
- (٣) هَذَا الْمَطْمُحُ نَافَسَ كَذَلِكَ فِي يَأْقُوت .
- (٤) فِي الْأَصْلِ الْمَجَازَةُ وَهِيَ الطَّرِيقُ إِذَا نَقَعَ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيْهِ إِلَى الْآخَرِ ، وَبِئْسَ هُوَ الْأَرْضُ الْكَثِيرَةُ الْجُوزِ ، وَجَهَازَةُ النَّهْرِ : الْجِسَرُ - وَيَقْتَرِحُ رِيَّتُ أَنْ تَكُونَ اللَّافِظَةُ هُنَا « فِي تِجَارَةٍ » .
- (٥) فِي الْأَصْلِ : « فَتَوَاسَرُوا » .
- (٦) فِي الْأَصْلِ : « فَتَوَجَّهَ بِهِ » وَلَمَّا صَوَّاهَا : « فَتَوَجَّهَ » أَوْ « فَتَوَجَّهَ » .
- (٧) عَادَ يَأْقُوتُ إِلَى نَقْلِ مَا فِي ابْنِ فَضَالٍ .

سلاحه انتهبوه ، وأخذوا [سلاحه] وثيابه ^(١) ، وجميع ما معه ، وهذا رسم لهم . ومن حطّ عنه سلاحه وجعله ناحيةً وبال لم يعرضوا ^(٢) له .

وينزل الرجال والنساء إلى النهر فيغتسلون جميعاً عراة لا يستتر بعضهم من بعض ^(٣) ، ولا ينزون بوجه ولا سبب . ومن زنا منهم كائناً من كان ضربوا له أربع سكك ، وشدّوا يديه ورجليه إليها وقطّعوا بالفأس من رقبته إلى فخذه ^(٤) ، وكذلك يفعلون بالمرأة أيضاً . ثم يعلق كل قطعة منه ^(٥) ومنها على شجرة .

وما زلت أجهّد ^(٦) أن يستتر النساء من الرجال [في السباحة] ^(٧) فما استوى لي ذلك . ويقتلون السارق كما يقتلون الزاني ^(٨) .

وفي غياضهم عسل كثير في مساكن النحل يعرفونها فيخرجون لطلب ذلك . فربّما وقع عليهم قوم من أعدائهم فقتلوهم . وفيهم تجّار كثيرٌ يخرجون

(١) في ياقوت : « وأخذوا سلاحه » ولعلها أصوب أضفناها - وفي ولدي يزيد : « وحلوا ذلك على جهله وقلة درايته » .

(٢) في ياقوت : « لم يتمرّضوا له » وفي ولدي : « وبال حلوا ذلك على درايته ومعرّته ولم يتمرّضوا له » .

(٣) في نسختنا : « بعضهم بهضاً » - وفي ياقوت : « بعضهم من بعض » فأخذنا برواية ياقوت .

(٤) في ياقوت : « إل أخذ » .

(٥) في نسختنا : « منهم ومنها » ؛ وفي ياقوت : « منه ومنها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٦) في ياقوت : « قال : ولقد اجتهدت أن تستتر النساء » .

(٧) أضفناها من ياقوت للسياق .

(٨) هنا يقف ياقوت عن النحل ويقول : « ولهم أخبار انتمرنا على هذا » .

إلى أرض الترك فيجلبون الغنم ، وإلى بلد يقال له « ويسو »^(١) فيجلبون السمور والشعلب الأسود .

ورأينا فيهم أهل بيت^(٢) يكونون خمسة آلاف نفس من امرأة ورجل قد أساموا كلهم ، يعرفون بالبرنجار^(٣) ، وقد بنوا لهم مسجداً من خشب يصلون فيه ، ولا يعرفون القراءة ، فعلمت جماعة ما يصلون به . ولقد أسلم على يدي رجل يُقال له « طالوت » فأسميته « عبد الله » فقال : « أريد أن تسميني باسمك محمداً »^(٤) ، ففعلت . وأسامت امرأته وأمه وأولاده ، فسموا كلهم « محمداً » . وعلمته : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾^(٥) و ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾^(٦) فكان فرحه بهاتين السورتين أكثر من فرحه إن^(٧) صار ملك الصقالية .

وكنّا لما وافينا || الملك وجدناه نازلاً على ماء يُقال له « خلجة »^(٨) [٢٠٨ و]

- (١) عاقبتنا على هذه الكلمة بما فيه الكفاية في حاشية الورقة ٢٠٦ و .
- (٢) كذا في الأصل ، ولعله يريد أهل عشيرة أو قبيلة .
- (٣) كذا في الأصل ، ولعله يقصد « المونول » .
- (٤) تحدثنا في المقدمة عن هذه الكلمة ، فالمؤلف اسمه أحمد بن فضال لا « محمد بن فضال » ونفسا ما فيه الكفاية هناك .
- (٥) سورة الفاتحة .
- (٦) سورة الاخلاص .
- (٧) في الأصل : « إلى صار » وهو تصحيف ، ولعله : « إن صار » أو « إذا صار له ملك الصقالية » .
- (٨) في الأصل : « على » ، يقال له خلجة » ولعلها ما كما يأتي بعد ولم نستطيع أن نجسد الموضع في مداحم البلدان ، فإمامنا مصحفة عن « خلجية » كما ذكرها ابن الوردي في خريدة المعجائب ٨٩ (طبعة مصر ١٩٣٩) - أو هي خليج من مدن الخزر كما في نخبة الدهر ٢٦٣ .

وهي ثلاث^(١) بحيرات ، منها اثنتان كبيرتان وواحدة صغيرة ، إلا أنه^(٢) ليس في جميعها شيء يُلحَقُ غوره . وبين هذا الموضع وبين نهر لهم عظيم يصبُّ إلى بلاد الخزر يقال له « نهر إتل » نحو الفرس^(٣) . وعلى هذا النهر موضع سوق تقوم في كل مدينة ، ويباع فيها المتاع الكثير النفيس .

* * *

وكان « تكين » حدثني أنَّ في بلد الملك رجلاً^(٤) عظيم الخلق جدّاً . فلما صرتُ^(٥) إلى البلد سألتُ الملك عنه ، فقال : نعم ، قد كان في بلدنا ومات ، ولم يكن من أهل البلد ولا من الناس أيضاً . وكان من خبره أنَّ قوماً من التجار خرجوا إلى « نهر إتل » [وهو نهر يندش وبينه يوم واحد]^(٦) كما يخرجون . وهذا النهر قد مدّ وطني^(٧) ماؤه فلم أشعر

(١) في نسخة : « ثلاثة بحيرات منها اثنتان كبار » فضوبناها .

(٢) في نسخة : « إلا ان ليس » فاضفنا الهاء إلى « أن » .

(٣) تسكنا عن نهر اتل في تعليقاتنا السابقة . وفي الأصل هنا : « نحو الفرس » وهي سهو من الناسخ أصابا : « نحو الفرس » كما أن الناسخ يخطئ دائماً في رسم اتل فيجعلها (آتل) .

(٤) هنا يرجع ياقوت إلى النقل عن ابن فضلان في صدد تعريفه لنهر اتل ، فيقول : ١ / ١٢٢ : « بلغني أنَّ فيها رجلاً عظيماً » .

(٥) في ياقوت : « فلما سرت إلى الملك سأله عنه » .

(٦) أضفناها من ياقوت .

(٧) في نسخة : « وصلنا ماؤه » وفي ياقوت : « وطني ماؤه » وهي أصوب فأخذنا بها .

أُخِرَ . والسَّدُّ^(١) أيضاً قد حال بينهم وبين الباب الذي كانوا يخرجون منه ، فإذا أراد الله - عز وجل - أن يُخرجهم^(٢) إلى العمارات سَبَّبَ لهم فُتَحَ السَّدُّ ونُضِبَ البحرُ وانقطع عنهم السمك .

فقال :

فسأَلْتُهُ عن الرَّجُلِ^(٣) ، فقال : أَقَامَ عِنْدِي مَدَّةً فَلَمْ يَكُنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ صَبِيًّا إِلَّا مَاتَ ، وَلَا حَامِلًا إِلَّا طَرَحَتْ حَمْلَهَا . وَكَانَ إِنْ تَمَكَّنَ مِنْ إِنْسَانٍ عَصَرَهُ بِيَدَيْهِ حَتَّى يَقْتُلَهُ . فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ عَلَّقْتُهُ فِي شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ حَتَّى مَاتَ . إِنْ أَرَدْتُ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى عِظَامِهِ وَرَأْسِهِ مَضَيْتُ مَعَكَ حَتَّى تَنْظُرَ إِلَيْهَا . فَقُلْتُ : « أَنَا وَاللَّهِ أَحِبُّ ذَلِكَ فَرَكِبَ مَعِيَ إِلَى غِيضَةٍ كَبِيرَةٍ فِيهَا شَجَرٌ عِظَامُ فَتَقَدَّمَنِي^(٤) إِلَى شَجَرَةٍ^(٥)] سَقَطَتْ عِظَامُهُ [وَرَأْسُهُ تَحْتَهَا ، فَرَأَيْتُ رَأْسَهُ مِثْلَ

(١) انظر خبر السد في ياقوت ٣ / ٥٣ .

(٢) في ياقوت : « فإذا أراد الله إخراجهم انقطع السمك عنهم ونضب البحر وانفتح السد » .

(٣) هنا تمخلف رواية ياقوت ، فلم له شاء أن يوجز في الحكاية فقال : « ثم قال الملك وأقام الرجل عندي

مدة ثم علفت به علة في لخره فمات بها » وهو بذلك يناقض رواية ابن فضال في موته . فيجمل وفاته

بالعلة ، ولا يقص علينا ما في الرسالة من أخباره في الهول والفرع ، كأنه لا يصدقها . وسبب ذلك ما وقع

من تصحيف في النسخة التي نقل عنها ياقوت ، فيما نقل ، فان كلمة : « شجرة عالية » قد تحورت إلى

« لخره علة » وقد وقع في بعض مخطوطات معجم البلدان لياقوت : « علة في منخره » وكلها تصحيف ،

وأصوبها ما جاء في نسخةنا .

(٤) في نسخةنا : « تقدمني » ولعلها « تقدمني » أو « تقدمني » .

(٥) وقع هنا بياض ، فأرى بعضهم أن يكون « جثته فوقها » - وفي طبعة وليدي قال انه رأى ورقة

مطروسة الحروف ماصقة بالأصل فنقلها وهي : « شجرة سقطت عظامه ورأسه » .

القفير^(١) الكبير ، وإذا أضلعه أكبر^(٢) [من] عراجين^(٣) النخل ، وكذلك عظام ساقيه وذراعيه ، فتعجبت^(٤) منه ، وانصرفت .

* * *

٢٠

قال :

وارتحل الملك من الماء الذي يسمى « خلجه »^(٥) ، إلى نهر يقال له « جاوشيز » ، فأقام به شهرين ، ثم أراد الرجيل فبعث إلى قوم يقال لهم « سواز »^(٦) يأمرهم بالرجيل معه ، فأبوا عليه ، واقتروا فرقتين ، فرقة مع ختنه^(٧) ، وكان قد تملك عليهم ، واسمه « ويرغ »^(٨) . فبعث إليهم الملك ، وقال : « إِنَّ اللَّهَ — عز وجل — قد منّ عليّ بالإسلام^(٩) وبدولة

(١) القفير : خلية الذئب .

(٢) عراجين : جمع عرجون ، وهو أصل المذق الذي يعوج وتقطع منه الشارينغ فيبقى على النخل يابساً .

(٣) اختصر ياقوت في وصف مارأى ابن فضال من عظام الرجل ، فروى : « وخرجت فرأيت عظامه فكأنها هائلة جداً » وذلك لأنه لا يصدق مثل هذا ، وقد صرح قائلاً بعد الرواية : « قال المؤلف : هذا وأمثاله هو الذي قدمت البراءة منه ولم أضنّ صحته » .

(٤) سرت بنا هذه الكلمة ، وحررنا في تمايقنا عليها فلم نستطع معرفة المكان ، ومثلها « نهر جاوشيز » وهو نهر وصفه ابن فضال في الصفحة التالية ولله فرع من نهر الكاماك في كانار س ١١٠ .

(٥) في الأصل « سواز » ويرى بعض المستشرقين أن تكون « سوار » .

(٦) هذه العبارة غامضة ، ورأى بعض المستشرقين أن تكون : « مع خسة » وفي وليدي : « مع ختنه » فأخذنا بروايته .

(٧) الاسم غامض لم نهتد اليه في المصادر .

(٨) حام المستشرقون حول إسلام ملك الصقالية وزمانه . والمسودي ٢ / ١٦ يروي أن ابن ملك البشار الصقالية حج قبل عام ٣٢٠ ، ومرت ببغداد ، وأكرمه القوم فيها . فهل كان هذا بتأثير ابن فضال ؟

أمير المؤمنين ، فأنا عبده ، وهذه الأ [مة] ^(١) قد قلّدتني [فم] ^(٢) خالفني لقيته بالسيف . وكانت الفرقة الأخرى مع ملك من قبيلة يُعرف بملك ^(٣) اسكل ، وكان في طاعته ، إلا أنه لم يكن داخلاً ^(٤) في الإسلام .

فلما وجه إليهم هذه الرسالة خافوا ناحيته ، فرحلوا بأجمعهم معه إلى « نهر جاوشيز » وهو نهر قليل العرض ، يكون عرضه خمسة أذرع ، وماؤه إلى الشرة ، وفيه مواضع إلى الترقوة ^(٥) ، وأكثره قامة . وحوله شجر ^(٦) كثير من الشجر الخدنك وغيره .

وبالقرب منه صحراء واسعة يذكرون أن بها حيواناً دون الجمل في الكبر ، وفوق الثور ، رأسه رأس جمل ، وذنبه ذنب ثور || وبدنه بدن [٢٠٩ و] بعل ، وحوافره مثل أظلاف الثور ، له في وسط رأسه قرن واحد غليظ مستدير ، كلما ارتفع دق حتى يصير مثل سنان الرمح ، فنه ما يكون طوله خمسة أذرع إلى ثلاثة أذرع إلى أكثر وأقل ، يرتعي ورق الشجر ،

(١) ضاع أكثر الكلمة فأكملناها كما تراهي لنا ، وهي ناقصة في ياقوت ، وفي طبعة وليدي : « قد قلّدتني » فأخذنا بها وفي كانار س ١١١ : « وهذا الأمر قد قلّدتني »

(٢) بياض ملائناه للسياق .

(٣) طمس أكثر الكلمة ولكن من السهل ردها - وجاء ثمانية في الورقة ٢٠٩ ظ ، وقال ابن فضلان إن هذا الملك تحت يد ملك الصقالبة . وكانت الكلمة : « تعرف » فجعلناها « يعرف » .

(٤) في الأصل : « لم يكن داخل » وهو خطأ نحوي من أخطاء الناسخ .

(٥) الترقوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والماتق ؛ جمعا التراقي والترايق .

(٦) هنا طمس في المخطوطة ، رسمه وليدي بقوله : « ينبت كثير » - ولكننا تركناه فاستقامت الجملة بدوله .

جيد الخضر^(١) . إذا رأى الفارس قصده ، فإن كان تحته جواد آمن^(٢) منه بجهد ، وإن لحقه أخذه من ظهر دابته بقرنه ، ثم زج به في الهواء ، واستقبله بقرنه^(٣) ، فلا يزال كذلك حتى يقتله . ولا يعرض للدابة بوجه ولا سبب ، وهم يطلبونه في الصحراء والنياض حتى يقتلوه^(٤) . وذلك أنهم^(٥) يصعدون الشجر العالية التي يكون بينها^(٦) ، ويجمع لذلك عدة من الرماة بالسهم المسمومة فإذا توسطهم رموه حتى يشنوه ويقتلوه^(٧) .

واقده رأيت عند الملك ثلاث^(٨) طيفوريات كبار تشبه الجزع^(٩) الياني عرفني أنها مملوكة من أصل قرن هذا الحيوان . وذكر بعض أهل البلد أنه الكر كدن .

* * *

-
- (١) في الأصل : « جيد الخضر » .
 (٢) في الأصل : « أمنت » والمقصود هو الرجل فيما يرى .
 (٣) هذا هو الحيوان المعروف بوحيد القرن وهو الكر كدن اشتهر وجوده في الهند له جثة الفيل وخلافة الثور ذو حافر على رأسه قرن واحد ، كما يقول بمد قليل .
 (٤) في النسخة : « حتى يقتلونه » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .
 (٥) في الأصل : « أنه » ولعل صوابها كما رسمنا .
 (٦) في الأصل : « الشجر العالية التي يكون بينها » - وفي وليدي : « تكون بيته » .
 (٧) في النسخة : « حتى يشنونه ويقتلونه » وهو كذلك خطأ من الناسخ في النحو صوبناه .
 (٨) في الأصل : « ثلاثة طيفوريات » فأصلها المدد . والطيفورية : صحن أو طبق عميق ، كما في تكملة معجم العرب لدوزي ٢ / ٤٨ ، وفي ابن بطوطة ٢ / ٣٩١ : « وبين أيديهم طيافير الذهب » .
 (٩) في الأصل « الجزع » ويرى بعض المستشرقين أن تكون : الحرز الياني .

قال :

وما رأيتُ منهم إنساناً يحمرّ ، بل^(١) أكثرهم معلولٌ . وربما يموت أكثرهم بالقولنج^(٢) ، حتى أنّه ليكون بالطفل الرضيع منهم . وإذا مات المسلم عندهم أو زوجُ المرأة^(٣) الخوارزمية غسلوه غسل المسلمين ، ثم حملوه على عجلة تجره ، وبين يديه مطرد^(٤) حتى يصيروا^(٥) به إلى المكان الذي يدفنونه فيه . فإذا صار إليه أخذوه عن العجلة^(٦) وجعلوه على الأرض ، ثم خطّوا حوله خطأً ، ونحوّه ، ثم حفروا داخل ذلك الخط قبره ، وجعلوا له لحداً ، ودفنوه . وكذلك يفعلون بموتاهم .

ولا تبكي النساء على الميت ، بل^(٧) الرجال منهم يبكون عليه ، يجيئون^(٨)

(١) في النسخة : « بلى » ولعلها : « بل » .

(٢) القولنج : بضم القاف أو فتحها ، مرض مشهور معوي منسوب إلى المعى ، يؤلم جداً ، يسر معه خروج الثفل والريح .

(٣) في النسخة : « وإذا امرأة الخوارزمية وغسلوه » فجعلنا العبارة كما ترى ، وأضفنا كلمة زوج ، وحذفنا الواو قبل غسلوه .

(٤) في النسخة : « وبين بين مطرد » بغير نقط وهي غامضة ، فلعلها « بين اثنين » وقد اخترنا أن تكون يديه بدلاً من بين . وقد شرحنا المطرد قبل هذا ، ولم نتد إلى معنى العبارة مع ذلك .

(٥) في الأصل : « حتى يصيرون » فحذفنا النون .

(٦) في النسخة : « عن العجلة » وهي تحصيل من الناسخ ، فقد ورد ذكر العجلة التي حمل عليها قبل قليل .

(٧) في النسخة : « بلى » وهي « بل » أخطأ فيها كما أخطأ في السطور السابقة .

(٨) في النسخة : « بحوز » وهي لاشك مصحفة ولعلها : « يجيئون » .

في اليوم الذي مات فيه ، فيقفون على باب قبته فيضجّون بأقبح بكاء يكون وأوحشه .

هؤلاء للأحرار ؛ ^(١) فإذا انقضى بكاءهم وافي العبيد ومعهم جلود مضفورة فلا يزالون يبكون ويضربون جنوبهم ^(٢) وما ظهر من أبدانهم بتلك الشيور ^(٣) ، حتى تصير في أجسادهم مثل ضرب السوط ، ولا بدّ من أن ينصبوا ^(٤) || بباب ^(٥) قبته مطرداً ، ويحضروا سلاحه فيجعلونها حول قبره ولا يقطعون البكاء سنتين . [٢٠٩ظ]

فإذا انقضت السنتين ^(٦) حطّوا المطرد ، وأخذوا ^(٧) من شعورهم ، ودعا أقرباء الميت دعوة يُعرف بها خروجهم من الحزن ، وإن كانت له زوجة تزوّجت . هذا إذا كان من الرؤساء . فأما العامة فيفعلون بعض هذا بموتاهم .

(١) في النسخة : « هؤلاء للأحرار » ولعل صوابها « هؤلاء الأحرار » أو « هؤلاء الأحرار » أو « هذا الأحرار » .

(٢) الجنوب : جمع جنب وهو شق الانسان .

(٣) في النسخة : « تلك السمور » وقد رأى المستشرقون أن تكون : « تلك السمور » وهي معرفة في نظرهم عن السامير ولكننا نرى أنها مصدقة عن « السبور » والسير قدوة من الجلد مستطيلة جمعها سبور وقد يجمع على أسبار ، وما تزال في لغة العامة إلى اليوم ، فهي أصوب وأصح للسياق .

(٤) في النسخة : « أن ينصبون » وهي برهان من ألف برهان على أخطاء الناسخ في النحو وضعفه فيه .

(٥) في النسخة : « باب قبته » فأضفنا باء الجر . والمطرد : الدلم كما شرحنا .

(٦) في النسخة : « السنتين » وهو خطأ من الناسخ صوبناه .

(٧) أخذوا من شعورهم : أي قصوها ، يقال أخذ من شاربته ومن شعره إذا قصه . وإطالة الشعر للحزن عندهم على عكس العرب ، فهم إذا اطالوا الشعر فلانحرح . وأبو فراس الحمداني في ديوانه ، كما طبعناه بنسخة ابن سينا يرثي أمه ينسكب إطالة الشعر بعد موتها - انظر الديوان ٢ / ٢١٧ .

وعلى ملك الصقالبة ضريبة يؤدّيها إلى ملك الخزر من كلّ بنت في مملكته جلد سمور^(١).

وإذا قديمت السفينة من بلد الخزر إلى بلد الصقالبة ركب الملك فأحصى ما فيها ، وأخذ من جميع ذلك العشر . وإذا قديم الرأس أو غيرهم من سائر الأجناس برقيق فللملك^(٢) أن يختار من كلّ عشرة رأساً . وابن ملك الصقالبة رهينة عند ملك الخزر . وقد كان اتصل بملك الخزر عن ابنة^(٣) ملك الصقالبة جمال فوجه يخطبها ، فاحتجّ عليه ، وردّه ، فبعث وأخذها غصباً ، وهو يهودي ، وهي مسامة ، فماتت عنده ، فوجه يطلب بنتاً^(٤) له أخرى . فساعة اتصل ذلك بملك الصقالبة بادر فزوجها للملك « اسكل » ، وهو من تحت يده خيفة^(٥) أن يغتصبه إياها كما فعل بأختها . وإنما^(٦) دعا ملك الصقالبة أن يكتب السلطان ويسأله أن يبني له حصناً خوفاً من ملك الخزر .

* * *

-
- (١) شرحنا في الصفحات السابقة هذه الكلمة .
 (٢) في النسخة : « فالملك » وصوابها ما رسمنا للسياق .
 (٣) في النسخة : « عن ابنته ملك » وهي خطأ من الناسخ سربناء .
 (٤) هنا يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « سألة أخرى » ولا نرى وجهاً لتبديل الكلمة فهي صحيحة في النسخة والسياق يفسرها ، فقد ماتت البنت الأولى فطلب الأخرى ، ولكنه بادر فزوجها ،
 (٥) في النسخة : « وخيفة » فحذفنا الواو ، لأنه بدونها يحسن السياق .
 (٦) لعلها : « وهذا ما دعا » - وسنرى في الكلام على الخزر أن ملكهم يأخذ من بنات الملوك الذين يحاذونه ما يشتهي طوعاً أو كرهاً ، وعنده خمس وعشرون امرأة ؛ فهي عادة مع كل جيرانه لامع الصقالبة وحدهم .

قال :

وسألتُه يوماً فقلتُ له : « مملكته واسعة ، وأموالك حجة وخراجك كثير ، فلم سألتَ السلطان أن يبني حصناً ببالٍ من عنده لا مقدار له ؟ » فقال : « رأيتُ دولةَ الإسلام ^(١) مقبلةً ، وأموالهم يؤخذ من حلّها ^(٢) ، فالتمسْتُ ذلك لهذه العلة ، ولو أنني أردتُ أن أبني حصناً من أموالِي من فضةٍ أو ذهبٍ لما تعذّر ذلك عليّ . وإنما تبرّكتُ ببالِ أمير المؤمنين ، فسألتُه ذلك » .

(١) في الأصل طمس بقى منه « الإسلام » فرأينا أن تكون « الإسلام » - وفي وليدي : « الأسماء »
(٢) في الأصل : « من حلّها » فرأى أحد المشرّفين أن تكون من كلمة « حلّ وربط » وهي من باب الأموال العامة ولكننا نرى أن تكون بمعنى حلال ضد الحرام ، والسياق بعد ذلك يدل على المعنى .

[الرواية]

قال :

ورأيتُ الروسية^(١) وقد وافوا في تجارتهم ، ونزلوا على « نهر إتل »^(٢)
فلم أر أتمَّ أبداناً منهم كأنهم النخل^(٣) ، شقرهم^(٤) لا يلبسون القراطق
ولا الخفّاتين [ولكن يلبس]^(٥) الرجل منهم كساءً يشتمل به على أحد
شقيه ، ويخرج إحدى يديه منه . ومع كل واحد منهم فأس وسيف [٢١٠ و]
وسكين لا يفارقه جميع ما ذكرنا .

وسيو فهم صفائح مُشَطَّبة^(٦) أفرنجية . ومن [حدّ]^(٧) ظُفْرِ الواحد

(١) هنا يبدأ ياقوت من جديد في النقل عن ابن فضلان ، مادة « روس » بمجمعه ٢ / ٨٣٤ ، وقد أورد أقوال المقدسي ، وغيره ، ثم اتبعه بما عندنا في النسخة . وقد نشر هذا القسم كما قلنا المستشرق فرمن سنة ١٨٢٣ وسنفيذ من تعليقاته المطولة بالألمانية . ويقول ياقوت أنهم مئة ألف إنسان عن المقدسي .
(٢) يقول الادريسي إنّه المروف بنهر الرس ، وقد علقنا في الحواشي عن موقعه وقابلنا ماجاء عنه في معجم البلدان لياقوت .

(٣) وفي أمثال الميداني عن الاجسام : « ترى اللتيان كالنخل » .

(٤) ينقل فرمن عن أخبار الدول لأبي العباس الدمشقي ، مخطوطة في وصف الروس : « ومبيض شقر » ويقول العرب غالباً عن البيض أنهم شقر ، وفي نخبه الدهر : « وفي هذا الاقليم الترك والخزر والغرنج والأرمينية وباشغرد ومن سامتهم ، وهؤلاء يسمون الشقر » .

(٥) بياض في الأصل أخذناه عن ياقوت ، والقراطق والخفّاتين مرّ شرحها بالورقة ١٩٩ و

(٦) الشطبة : طريقة السيف ، أي الواحدة من الخطوط التي في نصله يجمعها شطب .

(٧) الحكمة مطبوعة أخذناها عن ياقوت - وقد علق فرمن على هذه الجملة مطولاً (ص ٧٦) فنقل إلينا ترجمة المستشرق ده ساسي ، بما خلاصته أن الواحد منهم من ظفر رجله إلى رقبته صور نخل الأشجار والاشكال ، أي أن أجسامهم طبعت عليها الصور من أنخص القدم إلى الرأس مثل الموضع كما يقول القدماء - وفي قصة ألف ليلة وليلة قريب من هذا المعنى هذه عبارته : « ثم أعزته ، وركبت النش على يديه من ظفره إلى كتفه ، ومن مشط رجله إلى فخذيه ، وكتبت سائر جسده ، فصار كأنه ورد أحمر على صفائح المرمر » - الظفر الطبعة الروسية في الصفحة ١٣٢ ، وفيها يقترح أحد المستشرقين أن تكون : « عقر شجر » .

منهم إلى عنقه مخضر شجرٍ وصور ، وغير ذلك .

وكلّ امرأة منهم فعلى ثديها حُقّة^(١) مشدودة إما من حديد وإما من فضة ، وإما نحاس ، وإما ذهب ، على قدر مال زوجها ومقداره . وفي كل حُقّة حلقة فيها سكين مشدودة على الشدى أيضاً . وفي أعناقهنّ^(٢) أطواق من ذهب وفضة ؛ لأنّ الرجل إذا ملك عشرة آلاف درهم ، صاغ لامرأته طوقاً ، وإنّ ملك عشرين ألفاً صاغ لها طوقين ، وكذلك كلّ^(٣) عشرة آلاف يزدادها يزداد طوقاً لامرأته . فربّما^(٤) كان في عنق الواحدة منهم الأطواق الكثيرة .

وأجلّ الحليّ عندهم الخرز^(٥) الأخضر من الخرز الذي يكون على السفن

(١) في نسختنا : « حلقة » -- وفي ياقوت : « حقة » . والحقة (بالهم) وعاء من الخشب ، وقد تدوى من العاج ، وقد ذكرها عمرو بن كثر في مملته فقال : « وتدياً مثل حق العاج رخصاً » . وابن فضالان يكرر الكلمة ثانية صحيحة فيقول « حقة » لذلك صوبناها .

(٢) في نسختنا « وفي أعناقهم » وصوابها مالي ياقوت : « وفي أعناقهنّ » -- ونحدث المستشرق فرنس ٧٨ عن الذهب والفضة ووصولها إلى روسية وضرب العملة ، وكلامه هام يجدر الرجوع إليه لمعرفة تبادل الدرهم والعملة أيام العباسيين لذلك الزمان ، وما وجد منها في المتاحف .

(٣) الجملة في ياقوت : « وكلما زاد عشرة آلاف درهم يريد لها طوقاً آخر » .

(٤) غامضة في نسختنا أخذناها من ياقوت .

(٥) الخرز ما ينظم في السلك من الجذع والودع ، أو من فصوص الحجارة الكريمة ، والخرزات جواهر التاج ، وفي الغاموس : « خرزات الملك جواهر تاجه ، كان الملك إذا ملك عاملاً زيدت في تاجه خرزة ليمل سني ملكه » -- انظر تعليقات فرنس ٨٦ - ٩١ عن الكتب في الخرز ومواقع وجوده وقد شرح الخرز بأنه كل ما عمل من طين وشوى بالنار حتى يكون فخاراً ، ثم أورد ترجمة المستشرقين لهذه الجملة بما يخص السفن ، وأحال إلى كتب الرحلة عن الفرس وأرمينية ، ورأى أن تكون الخرز مصدفة عن « الخرز » .

يبالغون^(١) فيه ، ويشترون الخرزة بدرهم ، وينظمونه^(٢) عقوداً لنسائهم .
وهم أقدر خلق الله لا يستنجون من غائط ولا بول ، ولا يغتسلون من جنابة ،
ولا يغسلون أيديهم من الطعام ، بل هم كالحمير الضالّة ، يحيثون^(٣) من بلدهم
فيُرسون سفنهم بإتال ، وهو [نهر]^(٤) كبير ، ويبدنون على شطّه^(٥) بيوتاً
كباراً من الخشب .

ويجتمع في البيت الواحد العشرة والعشرون والأقل والأكثر . ولكلّ
واحد سرير^(٦) يجلس عليه ، ومعهم الجوّاري^(٧) الرّوقة للتّجار ، فينكح
الواحد جاريته ، ورفيقه ينظر إليه . وربّما اجتمعت الجماعة منهم على هذه
الحال بعضهم بخذاء بعض . [وربّما]^(٨) يدخل التاجر [عليهم]^(٩) ليشتري
من بعضهم جارية فيصادفه ينكحها فلا يزول عنها حتى^(١٠) يقضي أربه .

-
- (١) في نسخة : « ينامون فيه » - وفي ياقوت : « يبالغون فيه » وهي أصوب ، ولعل الذي ساق النسخ
إل هذا هو وجود كلمة الشراء بعدها .
- (٢) في نسخة : « وينظمون » ، وفي ياقوت : « وينظمونه عقوداً لنسائهم » - وفي طبعة فردن عن
المخطوطات : « وينظمون عقد النسائهم » وهو تصحيف .
- (٣) في نسخة : « يجرّون » وهي « يحيثون » كما في ياقوت ، والناسخ يصحّفها دائماً على هذا الشكل .
- (٤) يباض أسكناء من ياقوت .
- (٥) في ياقوت : « شاطئة » .
- (٦) السرير : المقعد ، أو الديوان ، أو الصّفّة - انظر فردن ٩٣ .
- (٧) في نسخة : « الجوّار روقة » - وفي ياقوت : « وهم جوّاريه الرّوقة » فصولها - والجوّاري
الرّوقة : هنّ الجوّاري الجليلات يرقن للناس .
- (٨) ناقصة أخذناها عن ياقوت وحذفنا الواو قبل « يدخل » .
- (٩) أخذناها من ياقوت للسياق .
- (١٠) في نسخة : « أو يبيض أربه » وهي مصحفة - وفي ياقوت : « حتى يقضي أربه »

ولا بد لهم في كل يوم من غسل وجوههم ورؤوسهم بأقذر ماء يكون^(١) وأطفسه . وذلك أن الجارية توافي كل يوم بالغداة ، ومعها قصعة^(٢) كبيرة فيها ماء ، فتدفعها إلى مولاهما فيغسل^(٣) فيها يديه ووجهه ، [وشعر رأسه فيغسله]^(٤) ويسرّحه بالمشط في القصعة ، ثم يمتخط ويبصق فيها ، ولا [يدع شيئاً من القذر إلا فعله]^(٥) || في ذلك الماء . فإذا فرغ مما يحتاج إليه حملت الجارية القصعة إلى الذي^(٦) إلى جانبه ففعل مثل فعل صاحبه ، ولا تزال ترفعهما من واحد إلى واحد حتى تديرها على جميع من في البيت . وكل واحد منهم يمتخط ويبصق [فيها]^(٧) ويغسل وجهه وشعره فيها .

* * *

وساعة توافي^(٨) سفنهم إلى هذا المرسى يخرج^(٩) كل واحد منهم

-
- (١) في لسختنا : « بأقذر ما يكون » - وعلما : « بأقذر ماء يكون » وليست في ياقوت لأنه اختصر الجملة وأوجز فيها ونحن نرى في هذا التعبير صورة لتمايزه المروفة فهو يقول : « كأعظم رجل يكون » ، و « بأقبح بقاء يكون وأوحشه » وأما الطفس فهو القذر النجس .
- (٢) في لسختنا : « ومعها غصمة » وهي مصحفة وصححها يأتي بمد قليل وفي ياقوت .
- (٣) في لسختنا : « فيغتسل منها » - وفي ياقوت : « فيغسل فيها وجهه ويدبه » .
- (٤) بياض في لسختنا ملأناه عن ياقوت .
- (٥) بياض في النسخة ملأناه عن ياقوت .
- (٦) في ياقوت : « إلى الذي يليه فيفعل » .
- (٧) أضفناها من ياقوت للسياق .
- (٨) في لسختنا « وساعة توافي سفنهم » - وفي ياقوت : « وساعة مواغاة سفنهم » فصبنا كلمة « سفن » .
- (٩) في لسختنا : « قد خرج » - في ياقوت : « يخرج » .

ومعه خبز ولحم وبصل ولبن ونبيد^(١) ، حتى يوافي خشبة طويلة منصوبة ؛ لها وجه يشبه وجه الإنسان ، وحولها صور صغار ؛ وخلف تلك الصور خشب طوال ، قد نُصبت في الأرض ؛ فيوافي إلى الصورة الكبيرة ، ويسجد لها ، ثم يقول لها : « يا رب قد جئت من بلد^(٢) بعيد ، ومعي من الجوارى كذا وكذا رأساً ومن السمور كذا وكذا جلدأ » ، حتى يذكر جميع ما قدم^(٣) معه من تجارته . [ثم يقول]^(٤) : « وجئتك بهذه الهدية » - ثم يترك الذي معه بين يدي الخشبة - [ويقول]^(٥) : « أريد أن ترزقني تاجراً معه دنانير ودراهم كثيرة فيشتري مني كل ما^(٦) أريد ولا يخالفني فيما أقول » ؛ ثم ينصرف .

فإن تهسّر عليه يبعه وطالت أيامه ، عاد بهدية ثانية وثالثة ، فإن تعذّر^(٧) ما يريد حمل إلى كل صورة من تلك الصور الصغار هدية ،

(١) يعلق فرعون ص ٩٧ على نبيد ، فيقول آراء زملائه ، بأنه قد يتخذ من النمر ، أو هو كما في رحلة عبد

اللطيف البغدادي : « وشراهم المرز وهو لبيد يتخذ من القمح » .

(٢) في ياقوت : « من بلد » - وفي نسخة كوينهاغ : « من بلد بعيد » ويبدو أن هذه المخطوطة من معجم ياقوت تتفق في كثير مع روايات نسختنا عن ابن فضالان . وهذا يدل على أن المعجم يجب أن يصاد طبعه على ضوء المخطوطات المتفرقة .

(٣) في طبعة فرعون لباقوت عن الروس : « جميع ما تقدم منه من تجارته » .

(٤) أضفناها عن ياقوت السياق .

(٥) أضفناها كذلك عن ياقوت لتام السياق ووضوحه . وحذفنا إلغاء قبل فعل « أريد » لتأنيده ياقوت .

(٦) في نسختنا : « كما أريد » - وفي ياقوت : « كلما أريد » فصورناها .

(٧) في ياقوت : « فإن تمذر عليه » .

وسألها^(١) الشفاعة ، وقال : « هؤلاء نساء ربنا وبناته وبنوه^(٢) » ، فلا يزال يطالب^(٣) إلى صورة صورة يسألها ، ويستشفع بها ويتضرع بين يديها ، فربما تسهل^(٤) له البيع فباع ، فيقول : « قد قضى ربي حاجتي ، وأحتاج أن أكا فيه » . فيعمد إلى عدة من النعم أو البقر^(٥) فيقتلها ويتصدق^(٦) ببعض اللحم ، ويحمل الباقي فيطرحه بين [يَدَيَّ]^(٧) تلك الخشبة الكبيرة والصغار التي^(٨) حولها . ويعلق رؤوس البقر أو النعم على ذلك الخشب المنصوب في الأرض . فإذا كان الليل وافت الكلاب فأكلت جميع ذلك . فيقول^(٩) الذي فعله : « قد رضي ربي عني وأكل هديتي » .

* * *

وإذا مرض منهم الواحد [ضربوا له خيمة]^(١٠) ناحية عنهم ، وطرحوه فيها ، وجعلوا معه شيئاً من الخبز والماء ، ولا يقربونه ولا يكلمونه ، [بل

(١) في نسختنا : « وسألهم » - وفي ياقوت : « وسألها » .

(٢) ، (٣) كلمتان زائدتان هنا ، لا تقمان في ياقوت .

(٤) في نسختنا : « يسأل » - وفي ياقوت : « تسهل » .

(٥) يزيد ياقوت : « على ذلك » .

(٦) في نسختنا : « ويصدق » - وفي ياقوت : « ويتصدق » .

(٧) أضفناها من ياقوت .

(٨) في نسختنا : « الذين » - وفي ياقوت : « التي » .

(٩) في نسختنا : « ويقول » - وفي ياقوت : « فيقول » .

(١٠) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .

لا يتماهدونه [^(١) في كل أيام ^(٢) مرضه لا سيما إن كان ضعيفاً أو مملوكاً .
فإن برى ^(٣) وقام رجع إليهم ، وإن مات أحرقوه ، فإن كان مملوكاً تركوه [٢١١ و]
على حاله تأكله ^(٤) الكلاب وجوارح الطير .

وإذا أصابوا سارقاً أو لصاً جاءوا به إلى شجرة غليظة وشدوا في عنقه
حبلًا وثيقًا ، وعلقوه [فيها ، ويبقى معلقاً] ^(٥) حتى يتقطع [من
المكث] ^(٦) بالرياح والأمطار .

* * *

٢٢

وكان يقال [لي] ^(٧) إنهم يفعلون برؤسائهم عند الموت أموراً أقلها .
الحرق . فكنت أحب أن أقف على ذلك ، حتى بلغني موت رجل منهم
جليل ، فجعلوه في قبره ، وسقفوا ^(٨) عليه عشرة أيام حتى فرغوا من قطع
ثيابه وخياطتها .

-
- (١) بياض كذلك في نسختنا ، أخذناه من ياقوت .
(٢) في ياقوت : « في كل أيام » ولعل كلمة « اسقطت بين كل وأيام » ، مثل كلمة « ثلاثة » أو أن تكون
« في كل أيام مرضه » كما في تعليقات المستشرق فرن س ١٠١ ، فأخذنا بها عن نسخة كوينهاغ لياقوت .
(٣) في النسخة : « برأ »
(٤) في نسختنا « يأكله » - وفي ياقوت « تأكله » .
(٥) بياض أخذناه من ياقوت .
(٦) إضافة أخذناها من ياقوت . وفي نسختنا « ينقطع بالرياح والأمطار » - وفي ياقوت : « حتى يتقطع
من المكث أما بالرياح أو بالأمطار » .
(٧) الزيادة من ياقوت وليه : « انهم كانوا يفعلون » .
(٨) في نسختنا : « وسقفوه » - وفي ياقوت : « وسقفوا » .

وذلك أن الرجل الفقير منهم يعملون له سفينة صغيرة ، ويجعلونه فيها ويحرقونها . والغني يجمعون ماله ، ويجعلونه ثلاثة أثلاث . فثلث لأهله ، وثلث^(١) يقطعون له به ثياباً ، وثلث ينبذون^(٢) به نبذاً يشربونه يوم تقتل جاريته نفسها ، وتُحرق مع مولاها .

وهم مستهترون بالنبذ^(٣) يشربونه ليلاً ونهاراً ، وربّما مات الواحد منهم والقدح في يده . وإذا مات الرئيس [منهم]^(٤) قال أهله لجواريه وغلماناه : « من منكم يموت معه ؟ » فيقول بعضهم : « أنا » فإذا قال ذلك ، فقد وجب [عليه]^(٥) لا يستوى له أن يرجع [أبداً]^(٦) ، ولو أراد ذلك ما ترك ، وأكثر من يفعل [هذا]^(٧) الجواري .

* * *

فلما مات ذلك الرجل الذي قدمت ذكره قالوا لجواريه : « من يموت

(١) في نسخة : « وثلثاً يقطعون ... وثلثاً ينبذون » وهو خطأ أصحناه .

(٢) في ياقوت : « يشربون به نبذاً » .

(٣) في ياقوت : « مستهترون بالحرق يشربونها » .

(٤) زيادة من ياقوت .

(٥) زيادة من ياقوت .

(٦) زيادة كذلك من ياقوت - وفي صدد الحرق يباق ارون هنا ص ١٠٥ على العبيد والغلمان فينقل عن

شمس الدين الدهشقي بالورقة (١٣٣ و) قوله : « وهؤلاء يرقون ملوكهم إذا ماتوا ويحرقون معهم عبيدهم وامامهم ولسانهم ، ومن كان خاصاً بهم كالسكران والوزير والنديم والطبيب » .

(٧) في نسخة : « وأكثر من يفعل الجواري » - وفي ياقوت : « وأكثر ما يفعل هذا الجواري » ماضفاً اسم الإشارة .

معه « ؟ فقالت ^(١) إحداهنّ : « أنا » . فوكلوا بها جارتين تحفظانها وتكونان معها حيث ^(٢) سلكت ، حتى أنهما ربما غسلتا ^(٣) رجلها بأيديهما . وأخذوا في شأنه وقطع الثياب له ، واصلاح ما يحتاج إليه . والجارية في كلّ يوم تشرب وتغني فرحة مستبشرة .

فلما كان ^(٤) اليوم الذي يُحرق فيه هو والجارية ، حضرت إلى النهر [الذي] فيه ^(٥) سفينته ، فإذا هي قد أُخرجت وجعل لها أربعة أركان من خشب الحدنك ^(٦) وغيره ، وجعل أيضاً حولها مثل الأنابيب الكبار ^(٧) من الخشب ، ثم مُدّت حتى جعلت على ذلك الخشب . وأقبلوا يذهبون ويحيئون ^(٨) ويتكلمون [بكلام لا أفهم ، وهو بعد في قبره لم يُخرجوه] ^(٩) . ثم جاءوا بسرير فجعلوه

(١) في نسخة : « فقال » وهي خطأ .

(٢) في ياقوت : « حيث سلكت » .

(٣) في نسخة : « غسل رجلها » - وفي ياقوت : « غسلنا رجلها » وهي أصوب فأخذنا بها .

(٤) في نسخة : « في اليوم » وحرف الجر زائد ، فحذفناه وهو لم يقع في ياقوت .

(٥) في نسخة : « إلى النهر سفينته فيه » - وفي ياقوت : « الذي فيه سفينته » فأضفنا الذي وقدمنا حرف الجر وضميره .

(٦) في نسخة : « من خشب الحدنك » - وفي ياقوت : « من خشب الخليلج » - وفي طبعة اردن للنص العربي : « من خشب الخليلج » وهو يملق بالصفحة ١٠٨ تعليقات مطولة ، « والخلنج على وزن سند شجر يكون بأطراف الهند ، وقيل يكثر في جرجان ، وتتخذ من خشبه الأواني ، فارسي معرب » - ولعله الحدنك نفسه - انظر الحضارة الاسلامية لمتز ٢ / ١٨٤ والنصوص العربية عند فرعون حيث يصف زهره وجهه ولونه ولون عوده .

(٧) في نسخة : « مثل الأنابيب الكبار » - وفي ياقوت : « مثل الاناس والكبار من الخشب » . والأنابيب جمع أبار أو أنبى فارسية الأصل تعني فيما تعني الجسر الذي يوضع للسفينة .

(٨) في نسخة : « ويحيون » وهي مصحفة .

(٩) هنا بياض وطمس أذهب الكلمات وأبقى حروفاً قليلة ، فأكملناه من ياقوت .

على [السفينة وغشوه بالمضربّات الديباج الرومي]^(١) والمساند الديباج [الرومي] ، ثم^(٢) جاءت [امرأة عجوز يقولون لها]^(٣) || ملك الموت ، فقرشت على السرير الفرش^(٤) التي ذكرنا . وهي وليت خياطته وإصلاحه ، وهي تقتل^(٥) الجواري ؛ ورأيتها جوان بيرة^(٦) ، ضخمة ، مكفّهة .

فلما وافوا قبره نحّوا التراب عن الخشب ونحّوا الخشب ، واستخرجوه في الإزار الذي^(٧) مات فيه ، فرأيت أنه قد اسودّ لبرد البلد ، وقد كانوا جعلوا معه في قبره نبيذاً وفاكهة وطينوراً ، فأخرجوا جميع ذلك ، فإذا هو لم ينتن ولم يتغيّر^(٨) منه شيء غير لونه .

فألْبَسوه سراويل^(٩) ورائاً وخفّاً^(١٠) وقرطاً وخفتان ديباج له أزرار

-
- (١) بياض كذلك ملأناه من ياقوت - والمضربّات : المساند - والديباج الرومي : ضرب من الثياب ، وقيل المنسوج من ألوان مختلفة ، فارسي معرب .
 (٢) في لسختنا : « وجاءت » - وفي ياقوت : « ثم جاءت » .
 (٢) بياض في لسختنا أكلناه من ياقوت .
 (٤) في ياقوت : « فقرشت على السرير الذي ذكرناه » .
 (٥) في ياقوت : وهي تلبس .
 (٦) في لسختنا « جوان بيرة » - وفي ياقوت : « حواء بيرة » وقد عالج المستشرقون هذه الكلمة ، فرأى أكثرهم أنها فارسية تتركب من كلمتين (جوان وبيرة) أي شابة عجوز ، وفي تكملة المعاجم لدروزي ١ / ٢٢٩ يرسمها « جوانبيرة » ويقول أنها بمعنى ساحرة أو تحترف صناعة السحر وهي الالهة الموت في الميثولوجيا .
 (٧) في لسختنا : « الذين » وصوابها مارسينا .
 (٨) في لسختنا : « ولم تغب » وصوابه في ياقوت .
 (٩) السراويل : هي الثلوار بالتركية ، وهو لباس قديم منذ سليمان النبي ، كما في السيوطي ، وقد مر بنا شرح الران على أنه نوع من الأحذية .
 (١٠) الحف : واحد الخفاف التي تلبس في الرجل ، سمي كذلك لحفته .

ذهب ، وجعلوا على رأسه قلنسوة ديباج سمّورية^(١) . وحملوه حتى أدخلوه القبة التي على السفينة . وأجلسوه على المضربة وأسندوه^(٢) بالمساند وجاءوا بالنبيذ والفاكهة والريحان فجعلوه معه .

وجاءوا بخبز ولحم وبصل فطرحوه بين يديه ، وجاؤا بكلب فقطعوه نصفين^(٣) ، وألقوه في السفينة . ثم جاءوا بجميع^(٤) سلاحه فجعلوه إلى جانبه ، ثم أخذوا دابّتين فأجروهما حتى عرقتا ، ثم قطعوهما بالسيف وألقوا لحمهما في السفينة .

ثم جاءوا ببقرتين فقطعوهما أيضاً وألقوهما فيها . ثم أحضروا ديكاً ودجاجة فقتلوهما ، وطرحوهما فيها .

والجارية التي تريد [أن] تقتل^(٥) ذاهبة وجاءية تدخل قبة قبة من قبائهم ، فيجاءها صاحب^(٦) القبة ، ويقول لها : « قولي لمولاي إنّما فعلتُ هذا من محبتك » .

* * *

- (١) في ياقوت : « ديباج سمّور » .
- (٢) في لسختنا : « وسندوه » - في ياقوت « وأسندوه » .
- (٣) في لسختنا : « بنصيفين » وفي ياقوت : « نصيفين » .
- (٤) في لسختنا : « جع سلاحه » .
- (٥) في لسختنا : « تريد تقتل » - في ياقوت : « التي تقتل » - وفي مخطوطة كوريناغ لياقوت : « تريد أن تقتل » وهي قرية من مخطوطتنا ، فأضنا أن متابعة المخطوطة .
- (٦) في ياقوت : « فيجاءها واحد واحد وكل واحد يقول لها قولي » - وفي طبعة فردن : « فيجاءها صاحب القبة يقول لها » - ومخطوطات ياقوت قرية مما في لسختنا ، فأبقينا على روايتنا - وأما في كتاب هفت آقايم لأمين الرازي فالنصيب يزيد النص أهمية ، وقد نزل عن مخطوطة لابن فضلان ضاعت -

فلما كان وقت العصر من يوم الجمعة ، جاءوا بالجارية إلى شيء ، قد عملوه مثل ملبن^(١) الباب ، فوضعت رجليها^(٢) على أكف الرجال ، وأشرفت على ذلك الملبن ، وتكلمت بكلام [لها]^(٣) ، فأنزلوها . ثم أصعدوها ثانية^(٤) ففعلت كـفعلها في المرة الأولى ، ثم أنزلوها وأصعدوها ثالثة ، ففعلت فعلها في المرتين . ثم دفعوا إليها^(٥) دجاجة فقطعت رأسها ورمت به ، وأخذوا الدجاجة فألقوها في السفينة .

فسألت الترجمان عن فعلها فقال : « قالت في أول مرة^(٦) أصعدوها : [هوذا أرى أبي وأمي]^(٧) ، وقالت في الثانية : هوذا [أرى]^(٨) جميع قرابي الموتى [قعوداً ، وقالت في المرة الثالثة : هوذا أرى مولاى قاعداً في]^(٩) الجنة . [والجنة حسنة خضراء]^(١٠) ، ومعه الرجال [والغلمان ؛

(١) ملبن الباب : قالب الآجر ، وهو هنا خدود الباب من عوارض الغلق يضم ألواحها ، وابنا الباب : جانباها (والغلق عند البنائين حجر يجمل في وسط المداك يسكر به) .

(٢) في ياقوت : « رجلها » .

(٣) زائدة من ياقوت

(٤) في نسختنا : « الثانية » وصوابها « ما في ياقوت » ثالثة . وفي طبعة فرعون « الثانية » فكأنما أخذت عن مثل نسختنا .

(٥) في ياقوت : « دلموا لها » .

(٦) في ياقوت : « قالت في المرة الأولى » .

(٧) بيان في الأصل أسكننا من ياقوت .

(٨) زيادة من ياقوت لسياق .

(٩) بيان كذلك ، ملائمة عن ياقوت .

(١٠) جملة طمس أكثرها وبقي منها بعض الحروف فأكملناها عن ياقوت .

وهو يدعوني^(١) || فاذهبوا [بي إليه ا . « فرّوا بها^(٢) نحو السفينة فنزعت [٢١٢و]
سوارين^(٣) كانا عليها ، ودفعتهما إلى المرأة^(٤) التي تُسمى [ملك الموت
وهي]^(٥) التي تقتلها . ونزعت خلخالين كانا^(٦) عليها ، ودفعتهما [إلى
الجاريتين اللتين كانتا تخدمانها وهما ابتتا]^(٧) المرأة المعروفة بملك الموت .

ثم أصعدوها إلى السفينة ، ولم يدخلوها [إلى القبة]^(٨) . وجاء الرجال
ومعهم التراس والخشب^(٩) ، ودفعوا إليها قدحاً نبيداً فغنت عليه وشربته .
فقال لي الترجمان : « إنها تودّع صواحباتها^(١٠) بذلك » . ثم دُفع إليها قدح
آخر ، فأخذته وطوّلت الغناء ، والمعجوز تستحمّسها على شربه والدخول إلى
القبة التي فيها مولاها . فرأيتها وقد تبلّدت^(١١) وأرادت دخول^(١٢) القبة ،

(١) بياض كذلك نقلناه عن ياقوت .

(٢) جملة طمس أكثرها وبقيت حروف ، فأكملناها عن ياقوت .

(٣) في لسختنا : « فنزعت وارين كانا عليها » - في ياقوت : « فنزعت سوارين كانتا معها » .

(٤) في ياقوت : « المرأة المعجوز » .

(٥) بياض أكملناه من ياقوت .

(٦) في ياقوت « كانتا عليها » - والخلخال حلقة من لفظة كسوار تلبسها نساء العرب في أرجلهم .

(٧) جملة أصاب أكثرها طمس فحاشا وبقيت بعض حروف أكملناها من ياقوت ، وقد حذف
ياقوت كلمة « المرأة » .

(٨) في لسختنا : « ولم يدخلوا » وبعدها بياض أكملناه عن ياقوت .

(٩) في لسختنا : « التراس الخشب » - وفي ياقوت « التراس والخشب » - والتراس في الأصل جمع ترس
وهو صفعة من الدلاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

(١٠) في إحدى نسخ ياقوت : « صوحيباتها » .

(١١) تبلّدت : تردد متحيراً ، وفي الشعر القديم وردت الكلمة بهذا المعنى .

(١٢) في ياقوت : « الدخول إلى القبة » .

فأدخلت [رأسها]^(١) يدها وبين السفينة ، فأخذت المعجوز رأسها وأدخلتها^(٢) القبة ، ودخلت معها .

وأخذ^(٣) الرجال يضربون بالحشب^(٤) على التراس لئلا يُسمع صوت صياحها [فيجزع غيرها]^(٥) من الجواري ، ولا يطلبن الموت مع مواليهن . ثم دخل^(٦) إلى القبة ستة رجال [فجاءموا]^(٧) بأسرهم الجارية . ثم أضجموها إلى جانب^(٨) مولاها ، وأمسك اثنان رجلينها واثنان يديها . وجعلت المعجوز التي تسمى ملك الموت في عنقها حبلاً [مخالفاً ، ودفعته]^(٩) إلى اثنين ليجذباه^(١٠) . وأقبلت ومعهما خنجر^(١١) عريض النصل ، [فأقبلت تدخله]^(١٢) [بين أضلاعها موضعاً موضعاً وتخرجه]^(١٣) والرجلان يخنقانها بالحبل حتى ماتت .

- (١) إضافة من ياقوت لاه البياض في اللسعة - وفي ياقوت : « فأدخلت رأسها بين القبة والسفينة » .
- (٢) في نسختنا : « وأدخلها القبة » - وفي ياقوت : « وأدخلتها القبة ودخلت معها المعجوز » .
- (٣) في ياقوت : « وأخذوا الرجال » .
- (٤) في نسختنا : « يضربون الحشب » - وفي ياقوت : « يضربون بالحشب » .
- (٥) طمس أكثر حروف الكلمة فأكملناها عن ياقوت .
- (٦) في ياقوت : « دخل القبة » .
- (٧) بياض أكملناه من ياقوت .
- (٨) في ياقوت : « إلى جنب مولاها الميت » .
- (٩) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - ويرى المستشرق قرمن في تفسير الكلمة شها بالآية الكريمة : « أيديهم من خلاف » .
- (١٠) في نسختنا « ليجذباه » وهو خطأ في النحر على عادة الناسخ .
- (١١) في نسختنا : « ومهما جهر » وهو تحريف صوابه في ياقوت .
- (١٢) طمس أكثر حروف هذه الجملة فأكملناها عن ياقوت .
- (١٣) بياض في نسختنا أكملناه عن ياقوت - وفي بعض نسخ ياقوت سطر يبدو انه سقط من نسختنا أو - من

ثم وافى [أقرب الناس إلى ذلك الميت فأخذ خشبة ^(١)] وأشعلها بالنار. ثم مشى القهقري [نحو ^(٢)] قفاه إلى السفينة، ووجهه [إلى الناس] والخشبة ^(٣) المشعلة في يده الواحدة، ويده الأخرى على باب أسسته، وهو عريان [حتى] أحرق الخشب المعبأ ^(٤) الذي تحت السفينة [من بعد ما وضعوا الجارية التي قتلوها في جنب مولاها] ^(٥).

ثم وافى الناس بالخشب ^(٦) والخطب، ومع [كل] واحد خشبة قد ألهب رأسها، فيلقيها في ذلك الخشب. فتأخذ ^(٧) النار في الخطب، [ثم في السفينة ثم في القبة] ^(٨)، والرجل والجارية، وجميع ما فيها. [ثم هبت] ^(٩) ريح عظيمة هائلة [فاشتد لهب النار] ^(١٠) واضطرم تسعرها، [وكان إلى جانبي رجل من الروسية فسمعته] ^(١١) يكلم || الترجمان الذي [٢١٢ظ]

... نسخة يافوت المطبوعة هذا نصه : « وجرتها ثم أدخلتها مرة أخرى في غير موضع من بين أضلاعها ، وجرتها فلم تزل تدخل السكين وتجرها في موضع بين أضلاعها » ولعل الجملة عندنا مخمرة من هذه .

(١) بياض في نسخةنا أسكنناه عن يافوت .

(٢) زيادة من يافوت

(٣) في نسخةنا : « ووجهه ... والخشبة المشعلة في يده واحدة » - وفي يافوت : « والخشبة في يده الواحدة » فرأينا أن كلمة (وجهه) زائدة فحذفناها لأنه لا تنتم لها ، فلعله يريد : « وجهه إلى الناس » ، ثم أصلحنا « الواحدة » .

(٤) في يافوت : « الخشب الذي عبوه تحت السفينة » .

(٥) إضافة من يافوت من غير أن يوجد طمس أو نقص ، جعلناها لتتمة السياق .

(٦) في الأصل عندنا : « وافى الناس الخشب » وصوابها في يافوت

(٧) في نسخةنا : « ويأخذ النار » فأضفنا اللام .

(٨) بياض في نسخةنا أتمناه عن يافوت .

(٩) بياض كذلك ملأناه عن يافوت .

(١٠) بياض في نسخةنا أسكنناه عن يافوت ، وأصلحنا العبارة بدماء بإضافة حرفين سقطا في أولها « اضطرم » .

(١١) بياض في النسخة أسكنناه عن يافوت .

معي^(١)، فسألته [عما قال له]^(٢)، فقال : « إنه يقول : أنتم^(٣) يا معاشر العرب حمقى » [فقلت : « لم^(٤) ذلك ؟ » قال : « إنكم^(٥) تتمدون إلى أحب الناس إليكم] وأكرمهم عليكم فتطرحونه^(٦) في التراب ، وتأكله^(٧) التراب والهوام والدود ، ونحن نحرقه [بالنار]^(٨) في لحظة ، فيدخل [الجنة من]^(٩) وقته وساعته .

[ثم ضحكك ضحكاً مفرطاً]^(١٠) فسألتُ عن ذلك فقال : « مِنْ حَبَّةِ رَبِّهِ له ، قد بعثَ الريحَ حتَّى [تأخذه]^(١١) في ساعة » . فما مضت^(١٢) على الحقيقة ساعة حتى صارت السفينة والحطب والجارية والمولى رماداً رَمِدَداً^(١٣) .

-
- (١) في ياقوت : « الذي معه » .
 (٢) طمست حروف كثيرة من هذه الجملة فتمسرت نRAMتها ، لذلك أخذناها عن ياقوت ، وكانت في الأصل : « عن ٤٠٠٠ » .
 (٣) في ياقوت : « أنتم معاشر » .
 (٤) بياض لم تقع على تتمته في ياقوت فقد اختصره ، ولعلنا وفقنا في اختيار ما يحل محله ، وقد وقع مثله في طبعة وليدي .
 (٥) في ياقوت : « سحقي لأنكم تتمدون » .
 (٦) بياض في نسختنا أخذناه من ياقوت .
 (٧) في ياقوت : « فتأكله الهوام والدود » .
 (٨) زيادة من ياقوت من غير أن يقع عندنا طمس أو بياض ، فأخذناها لتتمة السياق .
 (٩) بياض في نسختنا أكملناه من ياقوت .
 (١٠) زيادة رأينا اضافتها من ياقوت ، لاكمال السياق ، وأما جملة : « سألت عن ذلك » فهي ناقصة في ياقوت ، والجملة فيه كما يلي : « ثم ضحكك ضحكاً مفرطاً وقال من حبة ربه » .
 (١١) بياض في نسختنا أقمناه عن ياقوت - في بعض نسخ ياقوت : « قسدت هب الريح » وكذلك في طبعة فرهن ص ٢٠ .
 (١٢) في نسختنا : « فأقمت » وهو تصحيف صوابه في ياقوت .
 (١٣) في نسختنا : « رماداً ثم رمدوا » ولم نزلها معنى ، وصوابها في ياقوت : « رماداً رَمِدَداً » - والرماد دقاق الغصم من حراقة النار - والرمد : المتناهي في الاحتراق والدقة .

ثم بنوا على موضع السفينة، [وكانوا] ^(١) قد أخرجوها من النهر شبيهاً بالتلّ المدوّر، ونصبوا في وسطه خشبة كبيرة خذلك ^(٢)، وكتبوا عليها اسم الرجل واسم ملك الروس، وانصرفوا.

* * *

قال :

ومن [رسم] ^(٣) ملك الروس أن يكون معه في قصره أربعمائة رجل من صناديد أصحابه وأهل الثقة عنده، فهم ^(٤) يموتون بموته ويقتلون دونه . ومع كل واحد منهم جارية تخدمه وتغسل رأسه ^(٥)، وتصنع له ما يأكل ويشرب، وجارية أخرى يطؤها ^(٦). وهؤلاء الأربعمائة يجلسون تحت سرير ^(٧)، وسريره عظيم مرصع بنفيس الجواهر ^(٨)، ويجلس معه على السرير أربعون جارية [لفراشه] ^(٩)، وربما وطئ الواحدة منهم بحضرة أصحابه الذين ذكرنا .

-
- (١) زيادة من ياقوت يقتضيها السياق ، ولم يقع طمس أو بياض .
 - (٢) في نسخة : « خذلك » - وفي ياقوت : « خذنج » وهو واحد ، فارسية معربة .
 - (٣) بياض أسكنناه عن ياقوت .
 - (٤) في نسخة : « منهم يموت بموته » - وفي طبعة لرهن : « منهم يموتون بموته » - وفي ياقوت : « منهم يموتون بموته » وهو أصوب في رأينا .
 - (٥) في نسخة : « وتغسل لباسه وتضع » - في ياقوت : « وتغسل رأسه وتصنع » .
 - (٦) في نسخة : « يطأ هؤلاء » وهو خطأ من الناسخ فقد عمي عليه المني ووم .
 - (٧) السرير : التخت ، ويقلب على تحت الملك لما يجلب من سرور ، بجمه أسرة وسرر .
 - (٨) في ياقوت : « بنفيس الجواهر » .
 - (٩) بياض في نسخة ، أسكنناه عن ياقوت .

ولا ينزل عن سريريه، فإذا^(١) أراد قضاء حاجة | قضاها |^(٢) في طشت.
وإذا أراد الركوب قدموا^(٣) دابته إلى السرير | فركبها منه |^(٤) . وإذا
| أراد |^(٥) النزول قدم دابته حتى^(٦) يكون نزوله عليه . وله خليفة
يسوس الجيوش ؛ | ويواقع الأعداء ويخلفه |^(٧) في رعيته .

-
- (١) في نسخة : « فان أراد » . في ياقوت : « فاذا أراد » .
(٢) بياض في النسخة لقائه عن ياقوت - والطشت أو الطست : إناه من نحاس لغسل اليد ، وؤنثة ، جمعها طسوت
(٣) في نسخة : « قدم دابته » . وفي ياقوت : « قدموا دابته » .
(٤) بياض في الموضعين من النسخة ما كاناها عن ياقوت .
(٥) في نسخة : « حتى ينزل دابته » . وفي ياقوت : « حتى يكون نزوله عليه » ولما أصوب
فأخذناها مثلاً .
(٦) بياض وطمس هذا أكثر معالم الجملة فرددناها عن ياقوت - وهنا ينتهي فصل الروس يقول فيه
ياقوت ٨٤٠/٢ : « هذا ما نقلته من رسالة ابن فضال حراً ، وعليه عهدة ما حكاه والله أعلم
بصحته » وبذلك يقف المستشرق فرم في تمايقاته طبعاً ، لانتفاء فصل الروس .

[الحسن]

٢٣

فأما ^(١) ملك الخزر ، واسمه ^(٢) خاقان ، فإنه لا يظهر إلا في كل [أربعة أشهر متزهاً] ^(٣) ، ويقال له خاقان الكبير ، ويقال لخليفته خاقان به ، وهو الذي يقود الجيوش ويسوسها ^(٤) ويدبّر أمر المملكة ويقوم بها ويظهر وينزو . وله تذعن الملوك الذين يصاقبونه ^(٥) . ويدخل [في كل يوم إلى خاقان الأكبر متواضعاً يظهر الأخبات والسكينة ولا يدخل عليه إلا حافياً

(١) أوردت نسختنا الالة سطور عن الخزر ، ثم بترت وخرمت أوراقها بعدها . وكنا قدونا ان النقص فيها كان بمقدار ورقة أو ورقتين فحسب . وعدنا إلى ياقوت بمادة الخزر . فإذا به يثبت عن ابن فضلان ثلاث صفحات قال إنه نقلها من رسالته . ولكن التصديق الطويل ساقنا إلى أن النصف الأول منها ليس لابن فضلان ، لأنه يقع في الاصطخرى ٢٢٠ - ٢٢٤ ، وفي ابن حوقل ٣٨٩/٢ قلل ياقوت نقل عنها ، وأما النصف الثاني فلم نجده في هذين المصدرين ، وإنما انفرد به ياقوت ٤٣٨/٢ ، فأورد هذه السطور الثلاثة وتابع النقل عن ابن فضلان ، فأثبتنا ذلك كله على أنه لابن فضلان برواية ياقوت ، لأننا رأينا فيه نفس كاتبنا وألفاظه ولهذا ضمناه إليه وجماعناه بين معقوفتين ، كما شرحنا الأسر في المقدمة على تدصيل ، وهكذا اتصلت سطور نسختنا بسطور ياقوت - وقد رأينا أخيراً بعد طبع هذه السطور أن ولبيدي فعل مثلاً فعلنا في طبعته .

(٢) في ياقوت : « وأما ملك الخزر فاسمه خاقان وأنه » - وفي الاصطخرى ٢٢٤ : « فان عظيمهم يسمى خاقان خزر وهو أجل من ملك الخزر ، إلا أن ملك الخزر هو الذي يقيمه ، وإذا أرادوا أن يقيموا هذا الخاقان جاءوا به فيخنقونه بحريرة ... الخ » والتفصيل فيه هام يجدر الرجوع إليه ، ويقول ان الخزر لا يشبهون الأتراك فهم سود السمور .

(٣) نأفص في نسختنا أخذناه عن ياقوت :

(٤) في نسختنا : « الجيوش ويسوس » - في ياقوت : « الجيش ويسوسها » وهي أصح .

(٥) صاف : « قارب ودنا » - وفي الاصطخرى ٢٢٤ : « فلا يراه أحد من الأتراك ومن يصاحبهم من أصناف الكفر إلا انصرف ولم يقاتله تمطبياً له » . وهنا تقف النسخة وتنتهي . ومن هنا نبدأ بالنقل عن ياقوت حرفياً إتماماً للنص ٤٣٨/٢ - ٣٩٩ : فنجمله بين هاتين المعقوفتين . وقد فعل مثلنا المشرق الروسي فعلق على الخزر وأبهمه بابن فضلان من هذا المكان - انظر طبعة كرفالفسكي ص ١٦٦ - ١٧١ . وفعل قبله مثل هذا فروع حين طبع فصل الخزر عن ياقوت ، وقد رأينا أن ولبيدي فعل مثل ذلك .

رحلة ابن فضلان - عند الخزر

وييده حطب ، فإذا سلّم عليه أوقد بين يديه ذلك الحطب ، فإذا فرغ من الوقود ، جلس مع الملك على سريريه عن يمينه . ويخلفه رجلٌ يقال له كندر^(١) خاقان ، ويخلف هذا أيضاً رجلٌ يقال له جاوشينغر^(٢) .

ورسم الملك الأكبر^(٣) أن لا يجلس للناس ، ولا يكلمهم ، ولا يدخل عليه أحدٌ غير من ذكرنا . والولايات في الحلّ والعقد والمقوبات وتدير المملكة على خليفته خاقان به .

ورسمُ المَلِكِ الأكبر إذا مات أن يُبنى له دار كبيرة^(٤) فيها عشرون بيتاً ، ويحفر له في كلّ بيت منها قبر ، وتكسّر الحجارة حتى تصير مثل الكحل ؛ وتفرش فيه ، وتطرح النورة فوق ذلك^(٥) . وتحت الدار نهر ؛ والنهر^(٦) نهر كبير يجري ، ويجعلون القبر فوق ذلك النهر ، ويقولون : « حتى لا يصل إليه شيطانٌ ولا إنسان ولا دود ولا هوام » .

وإذا دُفن ضُرِبَتْ أعناقُ الذين يدفنونه حتى لا يدرى أين قبره من

-
- (١) انظر حدود العالم ، طبعة ميمبورسكي ، لندن ١٩٣٧ ، ص ٣١٣ - ٣٢٤ .
 - (٢) في بعض المصادر : « جاوشنغر » وكلمة جاوشن تركية معروفة - انظر دوزي تكملة معاجم العرب ، ودائرة المعارف الإسلامية ٨٦٤/١ .
 - (٣) في نسخة فرن : « الملك الأعظم الأكبر » .
 - (٤) يترجمها فرن بالصدر « Palatium » .
 - (٥) النورة : في الأصل حجر السكاس ، وقيل إنها عربية وقيل معربة .
 - (٦) وردت هذه الجملة كذلك في الأصل - وأورد المشرق الروسي ١٦٨ رواية أخرى في بعض النسخ هذا نصها : « وتحت الدار نهر والنهر كبير يجري فوقه ، ويجعلون ذلك القبر بينها » - وفي بعض غلطوطات يافرت الأخرى : « ويجعلون النهر فوق ذلك القبر » .

تلك البيوت . ويسمى قبره الجنة . ويقولون : « قد دخل الجنة » ، وتُفرش البيوت كلها بالديباج المنسوج بالذهب .

ورسمُ ملك الخزر أن يكون له خمس وعشرون امرأة ، كل امرأة منهن ابنة ^(١) ملك من الملوك الذين يحاذونه ، يأخذها طوعاً أو كرهاً . وله من الجواري السراي لقراشه ستون ، ما منهن إلا فائقة الجمال . وكل واحدة من الحرائر ^(٢) والسراي في قصر مفرد ^(٣) ، لها قبة منسأة بالساج ^(٤) ، وحول كل قبة مضرب ^(٥) ، ولكل واحدة منهن خادم يحجبها . فإذا أراد أن يطلأ بعضهن بعث إلى الخادم الذي يحجبها فيوافي بها في أسرع من لمح البصر حتى ^(٦) يجعلها في فراشه . ويقف الخادم على باب قبة الملك ، فإذا وطئها أخذ بيدها وانصرف ، ولم يتركها بعد ذلك لحظة واحدة .

وإذا ركب هذا الملك الكبير ركب سائر الجيوش لركوبه ، ويكون بينه وبين الموابك ميل ، فلا يراه أحد من رعيته إلا خرَّ لوجهه ساجداً له لا يرفع رأسه حتى يجوزه .

(١) في نسخة فرن : عن الخزر : « بنت » .

(٢) في نسخة فرن : « من الجراز والسراي » .

(٣) في طبعة فرن : « قصر منفرد » .

(٤) الساج : شجر يعظم جداً ، لا يبيت إلا ببلاد الهند ، خشبه أسود رزين لاتكاد الأرض تبلىه ، جمه سيجان ، الواحدة ساجة .

(٥) المقرب : الساحة والمكان كما في معجم دوزي ، وقيل هو الفساطط العظيم جمه مضارب .

(٦) في فرن : « حتى يجعلونها » وهي خطأ .

ومدة ملكهم أربعون سنة إذا جاوزها يوماً واحداً قتلتها الرعية وخاصته ، وقالوا : « هذا قد تقص عقله واضطرب رأيه » .

وإذا بعث سرية لم تولّ الدبر^(١) بوجه ولا سبب . فإن انهزمت قُتل كل من ينصرف إليه منها . فأما القواد وخليفته فتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم فوهمهم بحضرتهم لغيرهم وهم ينظرون . وكذلك دوابهم ومتاعهم وسلاحهم ودورهم ، وربما قطع كل واحد منهم قطعتين وصلبهم ، وربما علّقهم بأعناقهم في الشجر ، وربما جعلهم إذا أحسن إليهم ساسة .

ولملك الخزر مدينة عظيمة على « نهر إتل » ، وهي جانبان . في أحد الجانبين المسلمون ، وفي الجانب الآخر الملك وأصحابه . وعلى المسامين رجل من غلمان الملك^(٢) يقال له خز ، وهو مسلم . وأحكام المسامين المقيمين في بلد الخزر والمختلفين إليهم في التجارات مردودة الى ذلك الغلام المسلم لا ينظر في أمورهم ولا يقضي بينهم غيره^(٣) .

(٢) وأى المستشرق في هذه الصيغة اقتباساً من القرآن الكريم : « ويولون الدبر » هـ / ٤ من سورة الدبر . ونحن نرى في الجملة التالية : « بوجه ولا سبب » صيغة من صيغة ابن فضلان كررها في الرسالة بوضوح منها .

(٣) يروي المستشرق الروسي نصاً من بعض المخطوطات عند فرهن : « رجل من أصحاب غلمان الملك يقال له خز » واعلموا أمورهم من « خز » .

(٤) هنا رأينا أن تلف عن النقل عن ياقوت ، لأن ما بعدها لا يشبه اسلوب ابن فضلان ، وفيه جملة مؤرخة بماء محدود هو سنة ٣١٠ هـ ، وقد عرفنا أن صاحبنا غادرها قبل ذلك . فنحن لانرى رأى فرهن ووليدى ولا كوفافسكي في الحاقها بنص الخزر على أنها لابن فضلان . وإن كنا نعتقد أن الفصل ما يزال ناقصاً لم يتم ، ولكننا عملنا بالقول المشهور ما لا يدرك كآته لا يترك جله .

الفهارس

- ١ - فهرس الأعلام والقبائل والطوائف
- ٢ - فهرس المواضع والأماكن
- ٣ - فهرس الحضارة واللغة
- ٤ - فهرس الكتب والمراجع
- ٥ - فهرس محتويات هذه الطبعة

فهرس الأعلام والقبائل والطوائف

أدخلنا في هذه الفهارس ما جاء في رسالة ابن فضلان وماورد في تعليقاتنا بالحواشي وما وقع في مقدمتنا لدراسة الرسالة وصاحبها ، لم نفرق بين المتن والحاشية بأرقام صغيرة أو كبيرة كما كنا نفعل دائماً وذلك لقلّة صفحات الرسالة . واعتبرنا كلمة ابن وأب أساسية في صلب الكلمة ، وجعلنا في هذا الفهرس كتب المؤلفين إلى جانب أسمائهم داخل الأقواس ، فقد ذكرناهم في الحواشي حيناً بأسمائهم وحيناً بعناوين كتبهم .

١

آل طولون ٣٨

ابن الأثير (الكامل في التاريخ) ١١٩ ، ١٠٤ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤

ابن تغري بردي (النجوم الزاهرة) ٦٨

ابن جرير الطبري (تاريخ الامم والملوك) ١١٥ ، ٧٤ ، ٦٩ ، ٦٨

ابن حوقل (صورة الارض) ١٥ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦

١٦٩ ، ١١٩

ابن خرداذبة (المسالك والممالك) ١٥ ، ١٤

ابن رسته (الأعلام النفيسة) ١٥ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٥

ابن الطقطقي (الفخري في الآداب) ١١٥ ، ٦٧ ، ١٨

ابن الحديم (بغية الطلب) ٧٦

ابن الفقيه الهمداني (البلدان) ١٤ ، ٧٦ ، ٩١ ، ١١٥

ابن فضلان = أحمد بن فضلان

ابن قارن ٧٤

ابن مسكويه = مسكويه

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) ١٢٢ ، ٢٧

أبو جعفر المنصور (الخليفة) ١٣١

أبو دلف (مسعر بن مهلهل) ١٧ ، ١٠٦

أبو عبيدة البكري (معجم ما استعجم) ١٢٢ ، ٥٥ ، ٤٦

الأتراك (أو الترك) ٩٠ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ، ١٤٩

٩٢ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٣٤ ، ١٤٩

أترك بن القطعان ١٠١

أحمد بن علقى صعلوك ٣٨ ، ٧٤

أحمد بن فضال بن العباس (بن راشد بن حماد) ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٩ ،

٢١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨١ ، ٨٣ ، ١٠٣ ،

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ،

أحمد بن موسى الخوارزمي ٧٧ ، ٧٨

الادريسي (نزهة المشتاق) ٤٤ ، ٦٩ ، ١٤٩

اسماعيل بن أحمد (صاحب خراسان) ٢٤ ، ٦٩

الاصطخري (مسالك الممالك) ١٥ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٩١ ، ١٢٧ ،

الأطروش العلوي ٧٥

ألمش بن يلطوار (ألمش بن شلكي يلطوار) ٢٢ ، ٤٨ ، ٥٧ ، ٦٧ ، ١٠٣ ، ١١٧ ،

امرؤ القيس (الشاعر) ١٣

ايلغز ١٠٣

ب

بارس الصقلابي ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٩ ، ٨٧ ، ١٢٨ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٦٥ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

البجناك ٥٣ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ،

البخاري (الصحيح) ١١٨

برتولد (المستشرق) ٤٦ ، ٩١ ، ١١٧ ،

البرنجار ١٣٥

بروكلمن (تاريخ الأدب العربي) ٧٦

البزنطيون ٢٩

البكري = أبو عبيدة البكري

بلال (مؤذن النبي صلعم) ١٣١

البلغار ٧ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ،

٦٧ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦

بلاك (المستشرق) ٩ ، ٤٨

بيلايف (المستشرق) ١٠

ت

الترك = الأتراك

التركان ٨١

التغززية ٩١

تكين التركي ٢٣ ، ٦٩ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٣٦

ج

الجرمان ١٦

جعفر بن عبد الله (أمير بلغار) ١١٨

الجهشياري ٦٧

الجوهري (الصحاح) ٨٢ ، ١١٤

جوينبول (المستشرق) ١٢١

الجيّهاني (أبو عبد الله محمد) ٥٦ ، ٧٦

ح

حامد بن العباس (الوزير) ١٨ ، ٢٣ ، ٣٨ ، ٤١ ، ١١٤

الحسن بن بلطوار — ألمش بن يلطوار

حمويه كوسا ٧٥

خ

خاقان الخزر ٥٤ ، ٥٦ ، ١٦٩

الخز ٢٣ ، ٢٧ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٩١ ، ١٠٤ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ،
١٧٢ ، ١٧١
الخزلية ٩١
خليل مردم ٩ ، ١٠

د

الداعي (الحسن بن القاسم الحسني) ٧٤ ، ٧٥
دفورجاك (المستشرق) ٤٦
دنبوب (المستشرق) ٩ ، ٤٨
دهساي (سلفستر المستشرق) ١٤٩
دوزي (تكملة معاجم العرب ومعجم الملابس) ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ،
١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١

د

راسموسن (المستشرق) ٤٤
الروس ٧ ، ٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٦٥ ،
٦٧ ، ١٢٦ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٦٥ ، ١٦٦
الروسي = كوفالفسكي
الروم ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩
ريتر (تعليقات المستشرق ريتر) ٤٨ ، ١٣٣
ريشارد فراي = فراي
روزن (المستشرق) ٤٦

ز

زكي محمد حسن (الرحالة المسلمون) ١٧
كي وليدي طوغان (الطبعة الاولى لرسالة ابن فضلان) ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨٥ ،
٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٠ ، ١١٤ ،
١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٦٩ ، ١٧٢

س

- السامانيون ١٧
 السكاندنافيون ٢٩
 السلجوقيون ٩١
 سلام الترجبان ١٧ ، ١٣٨
 السلافيون ١٦
 سليمان النبي (صلى الله عليه وسلم) ١٥٨
 سميرادسكي (هنري) ٣٣
 سواز ١٤٠
 السودان ١٨
 سوسن الرسي ٢٣ ، ٢٤ ، ٦٩ ، ١١٦ ، ١٢٨
 السيوطي (جلال الدين) ١١٨ ، ١٥٨

ش

- شمس الدين الدمشقي = شيخ الربوة
 شيخ الربوة (نخبة الدهر) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٩ ، ١٥٦

ص

- الصايباء (المؤرخ ، تحفة الأمراء) ١٨ ، ١٩
 مساعد بن مخلد ١٩ ، ٢٠
 الصقالبة ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٨ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٥
 ٦٧ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١١٣ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٥

ط

- طالوت ٢٧ ، ٣٧ ، ١٣٥
 طاهر بن علي ٧٦
 طرخان ١٠٣ ، ١٠٤

ع

- عبد الله ٢٧ ، ٣٨ ، ١٣٥
عبد الله بن باشتو الخزري ٢٣ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ٨٠
العجم ٣٨ ، ٤٢
عديّ بن عبد الباقي (أبو عمر) ٢٠
عليّ بن أبي طالب ٨٢
عليّ بن عيسى (وزير المقتدر) ١١٥
عليّ بن عيسى بن الجراح ١٨
عليّ بن الفرات (أبو الحسن الوزير) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٦٨ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٩
عمرو بن كلثوم (الشاعر) ١٥٠
عيسى بن محمد المروذي ٩١
عيسى بن مريم (عليهما السلام) ١١٨

غ

- الغزية ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٦
عطريف بن عطاء (عامل خراسان) ٧٩

ف

- فراي ريتشارد (المستشرق تعليقات على الرسالة) ٩ ، ٤٨ ، ٧٦ ، ٨٨ ، ١٠٥ ،
١١٠ ، ١٠٧
الفرناك ٢٩
فرون (المستشرق في ترجمة ابن فضلان الى الألمانية) ٣٩ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٨ ، ١٢٦ ، ١٤٩ ،
١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ١٧٢
فستبرغ (المستشرق) ٤٦
الفضل بن موسى النصراني ٧٧ ، ٧٨ ، ١١٩
فلاديمير ٦٧

ق

- قدامة بن جعفر ١٤
قريش ١٣
القطعان (أبو أترك) ١٠٢
القفجق ١٠٦
قلواس (دليل القافلة) ٨٨

ك

- كانار (ترجمة ابن فضلان الى الفرنسية) ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤١
كراتشكوفسكي (المستشرق) ٥٨ ، ٤٩
كريمير (المستشرق) ٣٨
كندر خاقان ١٧٠
الكندي ١٤
كوذركين ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠١
كوقالشسكي (مترجم رسالة ابن فضلان الى الروسية) ٥٠ ، ١١٠ ، ١٦٩ ، ١٧٢

ل

- ليلي بن نعمان الديلمي ٧٥

م

- مأجوج (ويأجوج) ١٧ ، ٣٩ ، ١٣٨
ماركوارت (المستشرق) ٤٧
محمد (النبي صلى الله عليه وسلم) ٢٧ ، ١١٧ ، ١٢١
محمد بن سليمان (فاتح مصر) ٣٧ ، ٣٨ ، ٦٥
محمد بن عراق (خوازم شاه) ٨٠
محمد كرد علي ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ٥١
المستعين بالله (الخليفة) ١٣١

مسعر بن مهلهل = أبو دلف

المسعودي (مروج الذهب) ٣٤ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ١٤٠

مسكويه (تجارب الامم) ١٩ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٥

المعتضد بالله (الخليفة) ١٨

المقتدر بالله (الخليفة) ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ،

٦٨ ، ٦٩ ، ١١٤ ، ١١٧

المقدسي (أحسن التقاسيم) ١٥ ، ١٦ ، ٧٦ ، ٩٨ ، ٩٩

المكتفي بالله (الخليفة) ٦٩

المهلي ٧٥

النافعة الشيباني (ديوانه) ٨٢

النبي = محمد صلعم

نذير الحزمي ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٨١ ، ١٠٢ ، ١١٥

نسطور ٢٩

نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧

نيكلسون (المستشرق) ٤٥

نيكيتا اليسيف (المستشرق)

هارون الرشيد ١٧ ، ٧٩

الهنود ٣٣

الوائق بالله (الخليفة) ١٧ ، ١٣٨

وستنفلد (المستشرق) ٤٦

ويرغ ١٤٠

ويسو ١٢٦ ، ١٣٥ ، ١٣٧

ي

يأجوج (ومأجوج) ١٧ ، ٣٩ ، ١٣٨

ياقوت الحمويّ (معجم البلدان) ١٠ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ،

٤٦ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ، ٧٩ ،

٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٠٣ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ،

١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ — ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤١ ،

١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ — ١٧٢

يبنو (ملك الترك) ١٠١

اليقوي ١٤

يلطوار = ألمش بن يلطوار

ينال ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤

اليهود ٢٣ ، ٤٠ ، ١١٩

اليونان ١٤

فهرس المواضع والأماكن

بحر القبحق ١٠٦	١
بحر ورنك ٤٦	آسية الصغرى ٤٤
بخارى ٢٥ ، ٣٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٨ ،	آفريز ٧٦
٧٩ ، ٨٠ ، ٨٨ ، ٩١	آمل ٧٥ ، ٧٦
براغ ٤٦	الاتحاد السوفياتي ٩
بغداد (مدينة السلام) ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ،	إتل ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٩ ،
٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٦٨ ،	١٢٦ ، ١٣٦ ، ١٧٢
٧٣ ، ٧٧ ، ١٠٣ ، ١٢٤ ، ١٤٠ ،	أرثخشمين ٦٨ ، ٧٧
بودابست ٧	أردكو ٨٢
بيكند ٧٦ ، ٧٨	أرمينية ١٥٠
ت	استكهولم ٤٥
تركستان ١٠٦	اسكل ١٤١ ، ١٤٥
ج	اصبهان ٧٤
الجبال ٢٥ ، ٧٣ ، ٧٤	الاندلس ١٥ ، ١٦
الجبيل ١٥	أنقرة ١٣
جرجان ٧٥ ، ١٥٧	إفريقية ١٤
الجرجانية ٢٥ ، ٦٨ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ،	أوربة ١٦ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٦٩ ، ٩١ ، ١٣١ ،
٨٩ ، ٩٦ ، ١١٣	أوزبكستان ٧٦
الجزيرة العربية ١٣	ايران ٤٧
جيت ٨٩	ب
ح	باريس ٤٥
الحبشة ١٣	بحر آزوف ١٠٦
حلب ٤٤ ، ١٠٩	بحر البلطيق ١٦

فهرس المواضع : حلوان - فارس

١٩٠

الريّ ٧٥ ، ٧٤ ، ٣٨ ، ٢٥	حلوان ٧٣
ز	الحيرة ١٣
زيجان ٨٩	خ
س	خاركوف ٥٠
سان بطرسبورغ = لنغراد	خراسان ٨١ ، ٧٨ ، ٧٦ ، ٧٥ ، ٧٤ ، ٢٤
ساوة ٧٤	١٢٢
سرخس ٧٨ ، ٧٥	الخزر ١١٩ ، ٥٦ ، ٤٥ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤٢
سمرقند ٧٦ ، ٧٥	١٤٥ ، ١٣٦ ، ١٣٥
سمنان ٧٤	خلجة ١٤٠ ، ١٣٥
ش	خوار الريّ ٧٤
الشام ١٣	خوارزم ٥٣ ، ٤٦ ، ٤٢ ، ٣٠ ، ٢٤
شتوتغارت ٤٨	٨٩ ، ٨٢ ، ٨١ ، ٨٠ ، ٧٧ ، ٦٨
ص	٩٩ ، ٩٦
الصحراء الكبرى ١٥	د
الصين ٢٩ ، ١٧ ، ١٦ ، ١٥	دار البستان ٢٠
ط	الدامغان ٧٤
طبرستان ٧٥	دجلة = نهر دجلة
طهران ٧٤ ، ٢٥	الدسكرة ٧٣
طوس ٤٩ ، ٤٧	دمشق ١٣ ، ٧
ع	الدينور ٧٣
العراق ٦٩	د
غ	رباط طاهر بن عليّ ٧٦
غانة ٣٤	روستوك ٤٥
ف	الروسيا ٤٥ ، ٤٢ ، ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٢ ، ١٦
فارس ١٥	٤٦ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ١٤٩
	١٥٠

مرو ١٠٤٠٠٢٠٧٨٠٧٦٠٧٥٠٥٢

مشهد = طوس

مصر ٦٩٠٣٨٠١٧

موسكو ١٢٦٠٤٩٠٢٢

ن

نصيبين ٦٨

نهر اتل = اتل

نهر أختى ١٠٦

نهر أذل ١٠٦

نهر أرخز ١٠٧

نهر أورن ١١٠

نهر أورم ١١٠

نهر باجاغ ١٠٧

نهر بايناخ ١١٠

نهر جاخا ١٠٧

نهر جابخش ١٠٥

نهر جام ١٠٥

نهر جاوشيز ١٤١٠١٤٠٠١١٠

نهر جرمشان ١١٠

نهر جيحون ٨٣٠٨١٠٧٦٠٧٥٠٢٥

١٠٧٠٨٦

نهر جيخ ١٠٧

نهر الدانوب ٩١

نهر دجلة ١٢٦

نهر سمور ١٠٧

نهر الفرات ١٩

فرنسة ١١٥

القولغا = نهر القولغا

ق

قازان ٢٢

قرميسين (كرمانشاه) ٧٣

القسطنطينية ١٣

قشهان ٧٥

القوقاز ١٤

قورمس ٧٤

ك

كشيهن = قشهان

كبريج ٩

كوبنهاغ ١٥٩٠١٥٥٠١٥٣٠٤٥

كوغة ٣٤

كيماك ٩١

ل

لنفراد ٤٧٠٤٦٠٤٥٠٣٣

ليبتسيك ٤٧

ليدن ٦٧

م

المجمع العلمي العربي بدمشق ٧

المجمع العلمي السوفياتي ١٠

المحيط الاطلسي ٢٩٠١٦٠١٤

المحيط الهندي ١٦

المخرم ٢٠

فهرس المواضع : نهر القولغا ----- ويابة

١٩٢

النيجر ٢٩	نهر القولغا ٣٧٠٣٠٠٢٥٠٢٤٠٢٢
نيسابور ٩٨٠٧٥٠٧٤٠٢٥	١٠٦٠٩٤٠٩١٠٥٠٠٤٦
ه	نهر كنال ١٠٧
حراقة ٨٤	نهر كنجلو ١٠٧
همدان ٧٤٠٧٣٠٢٥	نهر الملك ٧٣
الهند ١٥٧٠١٤٢٠٣٤٠٢٩٠١٤	نهر وتبا ١٠٦
و	نهر وارش ١٠٦
واسط ٧٣	نهر وتينغ ١١٠
الولايات المتحدة ٩	نهر يغندي ١٠٥٠١٠٤
ويابة (كييف) ٤٦	نهر يناسنه ١١٠
	النهر وان ٧٣

فهرس الحضارة واللغة

جعلنا هذا الفهرس لترتيب الكلمات اللغوية التي شرحناها، وألفاظ الحضارة
وكلماتها مما يتعلق بالمأكل والمشرب والمسكن واللباس والرياش وأسماء الحيوان
والنبات ، ومما يصور الحياة الاجتماعية في ذلك العصر عند العرب وعند غيرهم
من الأمم التي زارها ابن فضلان .
والرقم الأول بعد الكلمة يدل على مكان شرحها والتعليق عليها في هذه الطبعة ؛
وأما الأرقام التالية فتدل على أما كن وجودها وتكرر ورودها .

فهرس الحضارة واللغة : أزاح — السيور ١٩٥

د	أ
الدائق ٧٩	أزاح العلة ٧٦
الدراهم السرقندية ٧٩	أقاده به ١٣٢
الدراهم الطازجة ٨٢	الأنابير ١٥٧
الدراهم العطريفية ٧٩	ب
الدراهم المزيفة ٨٢	باي باف ١٠٤، ٩٨
الدراهم المسيية = الدناير المسيية	بذرة ٧٧
درز القرطق ١٠٨	برنس ٨٧
الدناير المسيية ١٠٢، ٨٨	البوستين ١٠١، ٨٥
الدوامات ٨٢	ت
الدياج الرومي ١٥، ١٣١، ١٥٨	تبلد ١٦١
د	ج
ران ١٥٨، ٨٧	الجاورس ١٣٩، ١٠٤، ١٠١، ٩٥، ٨٦
رمدد ١٦٤	الجواري الروقة ١٥١
رمان أمليسي ١٢٨	جوان بيرة ١٥٨
س	ح
الساج (خشب) ١٧١	حراقة ٨٤
ساخرخ (مقياس) ١٣٠	خ
سبال، أسبله ١٠٣، ١٠٠	خدنج = خدنك
السجو ١١٦	الخدنك (خشب) ١٠٥، ١٣٢، ١٤١، ١٠٤
سروال ٨٧، ١٥٨	١٦٥، ١٥٧
الشقر ٨٦، ١٠٤، ١٠٧	خفتان ٨٧، ٩٨، ١٠٤، ١٤٩، ١٥٨
ستور ١٢٩، ١٣٥، ١٤٥، ١٥٣، ١٥٩	خلنج = خدنك
السيور ١٤٤	

فهرس الحضارة واللغة : الشبه - النمكسود

١٩٦

١٥٨٤ ١٤٩	ش
القفير ١٤٠	الشبكة ٧٩
قلانس ، قلنسوة ١٣١ ، ١٥٩٤	الشبانج ١٣٢
القولنج ١٤٣	شيرج ١٣٠
ك	ض
الكعاب (دراهم) ٨٢	ضبة ١٠١
كيمخت ٨٧	ط
م	الطاغ (حطب) ٨٣ ، ٩٠
المرصد ٧٨	طاق ٨٧
المضرب ١٧١	الطقس ١٥٢
المضربات ١٥٨	الطيفورية ١٤٢
المطر ١١٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤	ع
المقنعة ٩٤ ، ١٠٢	عامل المعاون ٧٨
ملبن الباب ١٦٠	عراجين النخل ١٤٠
ن	غ
النبيذ ٩٦ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩	غلوة سهم ١٢٥
النمكسود ٨٦	ق
	قرطق ٨٦ ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١٠٨٤

فهرس الكتب والمراجع

أوردنا في هذا الفهرس أسماء الكتب والمراجع التي وردت في هذه الطبعة ، وذكرنا السنين والمدن لبيان الطبعات وتحديدھا ، وجعلنا ترتيب المصادر العربية أو المعربة أولاً ثم أوردنا بعدها المصادر الغربية . وقد اخترنا أن نذكر هذه المصادر الأوربية بالحروف العربية تجنباً لصعوبة طباعتها فهي بالروسية والألمانية والمجرية والفرنسية ، لذلك ترجمنا العناوين تعريفاً بما فيها ، والمطلعون على اللغات الأجنبية يعرفون مظاهنها ويحسنون الرجوع إليها في يسر وسهولة .

- ١٠ — تقويم البلدان — لأبي الفداء (طبعة رينو وده سلان بباريس ١٨٤٠) ١١٣
- ١١ --- حدود العالم — (طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧) ١٧٠
- ١٢ --- الحضارة الاسلامية — لآدم منتر (ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريده ، القاهرة ١٩٤١) ٧٩ ، ٨٢ ، ١١٥
- ١٣ — خريدة العجائب وفريدة الغرائب — لسراج الدين عمر بن الوردي (القاهرة ١٩٣٩) ٩٠ ، ١٣٥
- ١٤ --- ديوان أبي فراس الحمداني — (طبعة سامي الدهان ، بيروت ودمشق ١٩٤٤) ١٤٤
- ١٥ --- ديوان النابغة الشيباني — (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢) ٨٢
- ١٦ --- الرحالة المسلمون في العصور الوسطى — تأليف المرحوم الدكتور زكي محمد حسن (القاهرة ١٩٤٥) ١٧
- ١٧ — رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظر في غرائب الامصار (طبعة باريس ١٩٢٧) ٩٤ ، ١٤٢
- ١٨ — رحلة عبد اللطيف البغدادي — (طبعة مصر بغير تاريخ) ١٥٣
- ١٩ --- رسوم دار الخلافة — للصابي (مخطوطة) ١١٧
- ٢٠ --- صلة تاريخ الطبري — لعريب القرطبي (المطبعة الحسينية بمصر) ٧٤
- ٢١ --- صورة الارض — لابن حوقل (طبعة كرامرز في ليدن ١٩٣٨) ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٦٩
- ٢٢ --- صور الأقاليم — للبلخي (طبعة ليدن ١٩٢٧) ٥٤
- ٢٣ --- الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير — للسيوطي (طبعة دار الكتب العربية بمصر) ١١٨
- ٢٤ --- الفخري في الآداب السلطانية — لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي (غريفزولد ١٨٥٨) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥

- ١٠ — تقويم البلدان — لأبي الفداء (طبعة رينو وده سلان بياريس ١٨٤٠) ١١٣
- ١١ — حدود العالم — (طبعة مينورسكي ، لندن ١٩٣٧) ١٧٠
- ١٢ — الحضارة الاسلامية — لآدم مئز (ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريده ، القاهرة ١٩٤١) ٧٩ ، ٨٢ ، ١١٥
- ١٣ — خريدة العجائب وفريدة الغرائب — لسراج الدين عمر بن الوردي (القاهرة ١٩٣٩) ٩٠ ، ١٣٥
- ١٤ — ديوان أبي فراس الحمداني — (طبعة سامي الدهان ، بيروت ودمشق ١٩٤٤) ١٤٤
- ١٥ — ديوان النابغة الشيباني — (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢) ٨٢
- ١٦ — الرحالة المسلمون في العصور الوسطى — تأليف المرحوم الدكتور زكي محمد حسن (القاهرة ١٩٤٥) ١٧
- ١٧ — رحلة ابن بطوطة أو تحفة النظر في غرائب الامصار (طبعة باريس ١٩٢٧) ٩٤ ، ١٤٢
- ١٨ — رحلة عبد اللطيف البغدادي — (طبعة مصر بغير تاريخ) ١٥٣
- ١٩ — رسوم دار الخلافة — للصابي (مخطوطة) ١١٧
- ٢٠ — صلة تاريخ الطبري — لعريب القرطبي (المطبعة الحسينية بمصر) ٧٤
- ٢١ — صورة الارض — لابن حوقل (طبعة كرامرز في ليدن ١٩٣٨) ٧٥ ، ٧٦ ، ١١٩ ، ١٦٩
- ٢٢ — صور الأقاليم — للبلخي (طبعة ليدن ١٩٢٧) ٥٤
- ٢٣ — الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير — للسيوطي (طبعة دار الكتب العربية بمصر) ١١٨
- ٢٤ — الفخري في الآداب السلطانية — لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطمطلقي (غريفزولد ١٨٥٨) ١٨ ، ٦٧ ، ١١٥

- ٢٥ — الفرج بعد الشدة — تأليف أبي علي المحسن التنوخي (الهلال بمصر ١٩٠٣) ٣٨
- ٢٦ — فهرست الكتب والمخطوطات بمدينة مشهد (بالفارسية — طوس ١٣٤٥) ٤٧
- ٢٧ — الكامل في التاريخ — لابن الأثير (مصر ١٣٤٨ — ١٣٥٣) ٧٤ ، ٧٥ ، ١١٩ ، ١٠٤ ، ٧٦
- ٢٨ — مروج الذهب — للمسعودي (طبعة ده مينار في باريس ١٨٦١) ٣٤ ، ١٤٠ ، ٧٤
- ٢٩ — مسالك الممالك — للاصطخري (ليدن ١٩٢٧) ٥٤ ، ٧٩ ، ٩١ ، ١٢٧ ، ١٦٩
- ٣٠ — المسالك والممالك — للجيهاني (ذكره ابن العديم في بغية الطلب) ٧٦
- ٣١ — مجمع الزوائد ومنبع الفوائد — للحافظ عليّ الهيثمي (القاهرة ١٣٥٢ هـ) ١٢١
- ٣٢ — معجم الأنساب والأسرات الحاكمة — زامباور (ترجمة المرحوم الدكتور زكي محمد حسن وزملائه ، القاهرة ١٩٥١) ٧٤ ، ٨٠
- ٣٣ — معجم البلدان — لياقوت الحموي (طبعة وستنفلد في ليتسيك ١٨٦٦)
ذكرنا أرقامه في فهرس الاعلام فيحسن الرجوع اليه هناك باسم ياقوت
- ٣٤ — معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع — للبكري (القاهرة ١٩٤٩)
- ٣٥ — العرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم — لأبي منصور الجواليقي (طبعة المرحوم أحمد محمد شاكر ، مصر ١٣٦١ هـ) ٨٢
- ٣٦ — مفاتيح العلوم — لمحمد بن أحمد الكاتب الخوارزمي (القاهرة ١٣٤٢ هـ) ١٠١ ، ٩٧
- ٣٧ — النجوم الزاهرة — لابن تغري بردي (طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٦) ٦٨
- ٣٨ — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر — لشمس الدين الدمشقي المعروف بشيخ الربوة (طبعة مهران في ليتسيك ١٩٢٣) ٦٧ ، ٦٩ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١٤٩ ، ١٣٥ ، ١٢٢ ، ١١٩

٣٩ — نزهة المشتاق في اختراق الآفاق — للادريسي (مخطوطة) ٦٩

ب — المصادر العربية والمجلدات الأجنبية

(بعنوانين ترجمناها الى العربية)

- ٤٠ — تعليقات المستشرق ريتز في مجلة المستشرقين الالمان (ليبتيك ١٩٤٢
بالجزء ٩٦ ص ٩٨ — ١٢٦) على طبعة زكي وليدي لرسالة ابن فضلان
- ٤١ — تعليقات المستشرقين بلاك وفراي ، على رسالة ابن فضلان طبعة زكي وليدي
(في مجلة بيزانطينا ١٩٤٩ في ٣٧ صفحة)
- ٤٢ — تعليقات المستشرق دنلوب على طبعة وليدي للرسالة (في المجلة الالمانية
دنيا الشرق ، شتوتغارت من الصفحة ٣٠٧ — ٣١٢)
- ٤٣ — تعليقات المستشرق تشاكدادي في المجلة المجرية (بودابست ١٩٥١ من
الصفحة ٢١٧ — ٢٤٣ مع الصور الشمسية لرسالة ابن فضلان)
- ٤٤ — ترجمة رسالة ابن فضلان الى الفرنسية^(١) مع خرائط الرحلة والتعليقات،
عن طبعة وليدي (بقلم ماريوس كانار في مجلة معهد الدراسات الشرقية ،
الجزائر ١٩٥٨ من الصفحة ٤١ — ١٤٦)
- ٤٥ — الثقافة في عهد الخلفاء — فون كريم (بالالمانية ١٨٨٨) ٣٨
- ٤٦ — رحلة ابن فضلان^(١) — طبعة زكي وليدي طوغان مع التحقيق والترجمة
والدراسة (في مجلة المستشرقين الالمان ١٩٣٩ ، الجزء الرابع والعشرون)
- ٤٧ — رحلة ابن فضلان الى البلغار — ترجمة وتعليق المستشرق الروسي
كوخالفسكي مع مقدمة المستشرق كراتشكوفسكي وكل ذلك بالروسية ،
(موسكو ١٩٣٩ في ١٩٣ صفحة مع صور شمسية للمخطوطة)

(١) وصلتني هذه الترجمة بعد طبع المقدمة ، في الوقت الذي وصلتني فيه الصورة
الشمسية لطبعة زكي وليدي وتعليقاته على رحلة ابن فضلان ، فافدت من هذين العاملين
النفيسين .

فهرس الكتب والمراجع : رحلة — الموسوعة ٢٠٣

- ٤٨ — رحلة ابن فضلان الى الروسية ، وما ذكره الجغرافيون عن رحلات العرب الى روسيا منذ أقدم الازمان (نص بالعربية مع الترجمة والتعليق والدراسة باللغة الالمانية ، للمستشرق فرن بطرسبورغ ١٨٢٣)
- طبعة وليدي = رحلة ابن فضلان
- ٤٩ — معجم لتكملة معاجم العرب — تأليف دوزي (بالفرنسية في باريس ١٩٢٧)
- ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ *
- معجم الملابس لدوزي = المعجم المفصل لاسماء
- ٥٠ — المعجم المفصل لاسماء الملابس عند العرب — تأليف دوزي (بالفرنسية في امستردام ١٨٤٥)
- ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٤ ، ١٣١
- ٥١ — الموسوعة الاسلامية أو دائرة المعارف الاسلامية — للمستشرقين (بالفرنسية في ليدن ١٩١٣)
- ٦٧ ، ٧٤ ، ٩١ ، ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٧٠

فهرس محتويات هذه الطبعة

الصفحة

١ — مقدمة المحقق

٧ تمهيد

الفصل الاول — رحلة ابن فضلان

١٣ كتب الرحلة في العصر
١٨ حال العصر
٢٢ الوفد والخطبة
٢٩ أهمية الرحلة

الفصل الثاني — تحقيق الرسالة

٣٧ مؤلف الرسالة
٤٢ فصول من الرسالة
٤٧ مخطوطة الرسالة
٥١ طريقتنا في التحقيق
٦١ بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة
٦٠ ستة نماذج وألواح المخطوطة والرحلة

ب — رسالة ابن فضلان

عن المخطوطة الوعيرة في مدينة مشهد

٦٧ فاتحة الكتاب
العجم والأتراك
٧٣ في فارس

الصفحة	
٧٦	في بخارى
٨٠	في خوارزم
٨٣	في الجرجانية
٩١	عند الغزية
١٠٦	عند البجنالك
١٠٧	عند الباشغرد
	الصقالبة
١١٣	عند الصقالبة
	الروسية
١٤٩	عند الروسية
	الخزر
١٦٩	عند الخزر

ج - الفهارس

١٧٥	١ - فهرس الاعلام والقبائل والطوائف
١٨٧	٢ - فهرس المواضع والاماكن
١٩٣	٣ - فهرس الحضارة واللغة
١٩٧	٤ - فهرس الكتب والمراجع
٢٠٤	٥ - فهرس محتويات هذه الطبعة

